كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء الثاني والعشرون

تحقيق

علي السباعي   عبد الكريم العزباوي

إشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للكتاب

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان

اشترك فى تحقيق هذا الجزء الأساتذة على السباعى وعبد الكريم إبراهيم العزباوى ومحمود محمد غنيم ، وقام بمراجعته الأستاذ حسن على عطية . وروجعت تراجمه وأخباره وأشعاره على ما يقابلها من المخطوطات المعتمدة فى التحقيق ، وقد وصفت فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

وضم إلى تراجم هذا الجزء ترجمة الربيع بن أبى الحقيق . وهى من التراجم التى لم ترد فى طبعة بولاق ووردت فى ملحق برنو لهذه الطبعة ، وقد وضعت فى موضعها بحسب النسخ المخطوطة المعتمدة .

وقد ألحقت به الفهارس المتنوعة طبقا لنظام طبعة دار الكتب بعد إدخال بعض التعديلات كما ذكرنا ذلك من قبل ؛ وقام بإعداد هذه الفهارس الأستاذ على عبد المحسن .

أما الجزآن الأخيران : الثالث والعشرون والرابع والعشرون فإن العمل يجرى فيهما ، ونرجو أن يظهرا قريبا إن شاء الله .

والله الموفق للرشاد

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبار خالد بن عبد الله

هو خالدُ بنُ عبدالله بنِ يزيدَ بنِ أَسدِ بنِ كُرْزِ بنِ عامرِ بنِ عبدالله بن عبد شمس بن غَمغمةَ بن جرير بن شِقِّ بن صَعْب — وشِقُّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور — بن يَشكرَ بن رُهم بن أفزل[1] — وهو سعدُ الصبح — بن زيد بن قَسْر بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيانَ بن الغوث بن القرز ، ويقال : الفرز بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُبَ بن قحطانَ .

فأما غَلبةُ بجيلةَ على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلةَ ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختُلِف في نسبها ، فقال ابن الكلبي : يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصُهَيْبَةَ وجَذِيمَةَ وأشهل وشهلاء وطريفًا والحارث وبالكتا وفهمًا وشيبة. قال ابنُ الكلبي : ويقال : إن بجيلة إمرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خَثعَم ، فإنه انفرد فصار قبيلة على حِدَتِه ، ولم تحضنْهُ بجيلةُ ، واحتج مَنْ قال هذا القول بقول شاعرهم[2] :

وما قَرُبت بجيلةُ منك قربى ... بشيء غيرِ ما دُعِيَتْ بجَيله[3]
وما للغوثِ عندك أن نُسِبْنَا ... علينا في القرابة من فضيله[4]
* ولكنَّـا وإيَّاكم كذلنا ... فصِرنا في المحلِّ على جَديله

بجديلة هاهنا موضع لا قبيلة ، وهم أملكُ بيت شرف في بجيلةَ ، لولا ما يقال في عبد الله

(1) في بعض النسخ : «أفرك» وإلى آخر الاختلاف في نسبة أفرك هذا عما هو وارد في هذا الأصل .

(2) شاعرهم : شاعر خثعم على ما يبدو .

(3) «ما» من قوله «غير ما دعيت بجيلة» مصدرية ، أي أنت لا تمت إلى بجيلة بقربى غير مجرد الدعوى ، فإنها ليست أمي ولا أمك .

(4) الغوث : من أجداد خالد ، راجع سلسلة النسب .

ابن أسد ؛ فإن أصحابَ المثالب يَنفونه عن أبيه(١) ، ويقولون فيه أقوالا أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا — إن شاء الله — وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له(٢) ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود .

جده كرز

وكان يقال لكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة ، وإياه عنى قيسُ بن الخطيم بقوله — لما خرج يطلب النصر على الخزرج — :

فإن تنزِلْ بذى النَّجدَاتِ كُرْزٍ   تُلاقِ لديه شَرْباً غيرَ نَزْرِ(٣)
له سَجْلان سَجْلٌ من صريحٍ   وسجلُ رثيئةٍ بعتيق خمرِ(٤)
ويمنعُ مَن أراد ولا يُمايا   مُقاماً في المحَلّة وسْطَ قسرِ(٥)

جده أسد بن كرز

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى في الجاهلية رَبَّ بجيلة ، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزُّهاً عنها ، وله يقول القتَّال السَّحَميّ :

فأبلغ ربَّنا أسَدَ بن كُرْزٍ   بأنّ النأىَ لم يك عن تَقالى

وله يقول القتَّال يعتذر :

فأبلغ ربَّنا أسدَ بنَ كُرْزٍ   بأنّى قد ضَلَلْتُ، وما اهتديْتُ

(١) في هج : « عن أمه »
(٢) ضمير له يعود على عبد الله من قوله : « لولا مايقال في عبد الله » .
(٣) شربا : جمع شارب ، كسفر وركب .
(٤) سجلان : تثنية سجل ، وهو الدلو العظيمة، صريح : لبن صريح ، الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، فلعله يريد أنه كان يقدم هذا المشروب ممزوجا بالخمر ، أو يريد أنه يقدم دلو الرثيئة مملوءا بالخمر لا بالرثيئة، وفي هج ، هد « وثيلة » بدل « رثيئة » ولا وجه له ، وفي بعض النسخ « ربيلة » والربيلة : الخفض والنعمة ، والتخريج على هذا المعنى مقبول .
(٥) لا يمايا : من المماياة بمعنى لا يضار ، قسر : بطن من بجيلة ، نائب فاعل « يمايا » ضمير من أراد ، مقاما : تمييز ، وفي هج « مقيم » بدل « مقاما » وعليه يكون كلمة « مقيم » نائب فاعل يمايا ، وفي هد « مقيما » على الحالية من « أراد » وفحوى البيت أن كرزا يمنع النزيل ، فلا تلحقه مضارة مادام نازلا وسط قسر .

وله يقول تأبّط شرّا :

وجدتُ ابنَ كُرْز تستهلُّ يمينُه ويُطلق أغلالَ الأسير المكَبَّل[1]

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فأطْرَدوا إبلاً له ، فأوقع بهم جده أسد وبنو سحمة أسد وقعة عظيمة فى الجاهلية ، وتتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه ، ويستقيله فعلَهم[2] بجاره ، ولم أذكرها هنا لطولها ، وأنّ ذلك ليس من الغرض المطلوب فى هذا الكتاب ، وإنما نذكرها هنا لُمَعاً[3] وسائِرُه مذكور فى جمهرة أنساب العرب الذى جمعت فيه أنسابَها وأخبارها ، وسمّيته كتابَ التعديل والانتصاف.

ولبنى سُحمة يقول أسد بن كرز فى هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً :

ألا أبلغا أبنــاءَ سُحْمةَ كُلَّها بنى خثعمٍ عنىّ وذَلَّ لخثعم[4]
فمــا أنتُم منّى ولا أنا منــكم فراش حريقِ العَرْفَجِ المتضرِّم[5]
فلستُ كمَن تُزرى المقالةُ عِرضَه دنيئاً كعود الدوحةِ المترنِّم[6]
وما جارُ بيتى بالذليل فَتُرْتَجى ظُلامَتُه يوماً ولا المتهضَّم
وأَقْوَلُ آبائى وقسرٌ عمارتى هما ردّيانى عِزّتى وتكرُّمى
وأحمسُ يوما إن دعوتُ أجابنى عرانينُ منهم أهل أيدٍ وأنعم[7]

(١) تستهل يمينه : تجود ، مأخوذ من استهل المطر : بمعنى تدفق

(٢) يستقيله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم

(٣) لمعا : جمع لمعة : بمعنى بلغة من العيش ، شبه بها النتف من الأخبار .

(٤) بنى خثعم : بدل من أبناء سحمة ، وفى الأصل « فتى خثعم » بدل « بنى خثعم » .

(٥) العرفج : شجر يتخذ منه الوقود ، كأنه يقول : بينى وبينكم فراش حريق العرفج المتضرم .

(٦) المترنم : من الرنمة ، وهى نبات دقيق ، يقول : لست ممن تدنس أعراضهم قالة السوء ، وليس عرضى حقيرا كعود الشجرة الرنمى الدقيق .

(٧) عرانين : جمع عرنين : السيد الشريف ، الأيد : القوة والبطش .

فمن جار مَوْلىً يدفع الضيمَ جارُهُ إذا ضاع جارى يا أميمةُ أوْ دمى (١)
وكيف يخاف الضيمَ من كان جاره مع الشمس ما إن يستطاع بسلم

وهى قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها هاهنا لأنْ تعلم إعراقهم فى العلم والشعر، وسائرُها يُذكر فى كتاب الشعر مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

إسلام جده أسد وابنه يزيد

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال :

أسلم أسدُ بن كرز، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قوساً ، فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النَّبْعَةُ؟ فقال : يا رسول الله تنبُتُ بجبالنا بالسراة ، فقال الثقفىّ :يا رسول الله، الجبلُ لنا أم لهم ؟ فقال: بل الجبل جبل قسر ، به سمى أبوهم (٢) قسر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادْعُ لى . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصرَ دينك فى عقب أسد بن كُرْز . وما أدرى ما أقول فى هذا الحديث ، وأكره أن أكذِّب (٣) بما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٤ ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه ٤) لو كان رسول الله صلى الله عليهُ وسلم دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفّين على علىّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعنه ، على

(١) دمى : الدم الذى أطلبه فى ثأر ونحوه ، وفى الأصل كان المصراع الثانى من هذا البيت مع المصراع الأول من البيت التالى ، وكان المصراع الثانى من البيت التالى مكانه ، وهو خطأ .
(٢) فى الأصل بدل « أبوهم » « ابراهيم » وهو تحريف .
(٣) فى هج : « وأكره أن أكذب من روى عن ......الخ » .
(٤-٤) تكملة من « هج » .

المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره — قبحه الله ولعنه — إلا أنى أذكر الشىء كما رُوِى ، ومَنْ قال على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يَقُل فقد تبوّأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

منافرة بين جده جرير وقضاعة

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ[1] قضاعة ، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه — أعنى جريراً — تباعدٌ ، فأقبل فى فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل فى أصحابه ، فرآه جرير ، ورأى أصحابَه فى السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جرير : ليت لى بكل بلد ابنَ عم عاقًّا مثلَ أسد ، فقال جعدةُ بنُ عبد الله الخزاعى يذكر ذلك من فعل أسد :

تدارك رَكْضُ المرء من آل مبشّر جريراً وقد رانت عليه حلائبُه[2]
فنفّسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما تغشّاه يوم لا تَوارى كواكبه[3]
وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعال بنفسه وما كنتَ وَصّالا له إذ تحاربُهْ
إلى أسدٍ يأوِى الذليلُ ببيتهِ ويلجأ إذ أعيت عليه مذاهبُه
فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعْظَماً إذا المجتدَى المسئول ضَنّت رواجِبُه[4]

جده يزيد يروى حديثا

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبى صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطىّ عن سنان بن أبى الحكم قال : سمعتُ خالدَ بن عبد الله القسرىّ ، وهو على المنبر يقول :

(١) نافره : خاصمه وفاخره .
(٢) الركض : العدو السريع ، رانت عليه : غلبت عليه ، والضمير يعود على المرء لا على جرير ، والمراد أنه غلب عليه لبن الرضاع ، فتدارك ذا رحمه ، على ما بينهما من شقاق .
(٣) نفس : نفّس ، والفاعل ضمير جرير ، توارى : أصله تتوارى ، وكنى بقوله : لا تواري كواكبه عن طول الليل ، وكنى بطويل الليل عن الهم والأرق .
(٤) الرواجب : أصول الأصابع ، معظما : عظيما من الأعطية والديات ونحوها ، ضنت رواجبه : بخلت يده . وفى الأصل المجدول بدل المسئول ، والمثبت من هد ، هج .

حدثنى أبى عن جدّى يزيدَ بن أسد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا يزيد، أحبِبْ للناس ما تُحبُّه لنفسك. وخرج يزيدُ بن أسد فى أيام عمر بن الخطاب فى بعوث المسلمين إلى الشام، فكان بها، وكان مطاعاً فى اليمن عَظِيم الشأن.

جده يزيد يخف لنصرة عثمان

ولما كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد فى أربعة آلاف من أهل الشام، فوجد عثمانَ قد قُتِل. فانصرف إلى معاويةَ، ولم يُحْدِثْ شيئاً، ولما كان يوم صِفِّينَ قام فى الناس فخطب خطبة مذكورة، حرضهم فيها. فذكر من روى عنه خبره فى ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خَزٍّ سوداء، وهو متكئ على قائم سيفه، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم: وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا فى هذه الرقعة من الأرض، واللهُ يعلم أنى كنت لذلك كارها، ولكنهم لم يُبْلِعُونا ريقنا، ولم يدعونا نرتاد لديننا وننظر لمعادنا، حتى نزلوا فى حريمنا وبيضتنا(1). وقد علمنا أنَّ بالقوم حلماءَ وطَغامًا. فلسنا نأمن طَغامهم على ذرارينا ونسائنا، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيَّةً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، والذى بعث محمدًا بالحق لوددتُ أنى مِتُّ قبل هذا، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمرا لم يستطع العبادُ ردّه، فنستعين بالله العظيم، ثم انكفأ.

خطبة جده يزيد فى صفين

خمول أبيه عبد الله

ولم تكن لعبدالله بن يزيد نباهةُ مَنْ ذكرت من آبائه، وأهلُ المثالب يقولون: إنه دَعِىٌّ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان، فلما قُتِل عمرو هرَبَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما آمَنَ الناس عامَ الجماعة، فأمّنه، ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة، وكان فى حداثته يتخنّث، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشى بين عُمَرَ بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائلهن إليه وفى رسائله إليهن، وكان يقال له خالد الخِرِّيت(2).

خنوثة خالد فى نشأته

(1) البيضة: الحوزة والحمى.

(2) الخريت: الدليل الماهر فى أمر الدلالة.

فقال مصعب الزبيرى : كل ما ذكره عمر بن أبى ربيعة فى شعره ، فقال : أرسلت الجِرِّيت أو قال : أرسلت الجَرِىّ[1] فإنما يعنى خالداً القسرىّ ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

أخبرنى بذلك الحرمىّ ومحمد بن مزْيد وغيرُهما، عن الزبير، عن عمه ، وأخبرنى عمى : قال : حدثنى الكرانى ، عن العمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، قال :

يظلل بن أبى ربيعه وعشيقته

بينما عمر بن أبى ربيعة ذات يوم يمشى ومعه خالد بن عبد الله القسرى ، وهو خالد الخزاعى الذى يذكره فى شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما مليًّا ، فأَخذتهم السماء ، ومُطِروا ، فقام خالد وجاريتان المرأتين ، فظلّلوا عليهم بمِطرفة[2] وبردين له ، حتى كف المطر ، وتفرقوا ، وفى ذلك يقول عمر بن أبى ربيعة :

أفى رسم دارٍ دمعُكَ المترقرقُ ... سفاهًا وما استنطاق ما ليس ينطِقُ؟
بحيث التقى جمعٌ ومُفْضَى مُحسِّرٍ ... معالمُ قد كادت على الدهر تَخْلُق[3]
ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا ... وذكرُكَ رسمَ الدّار مما يشوِّق
مُقاما لنا عند المساء ومجلسا ... لنا لم يكدِّره علينا مُعوّق
وممشَى فتاةٍ بالكساء يَكُنُّها ... به تحت عينٍ برقُها يتألّق[4]
يُبلُّ أعالى الثوب قطرٌ وتحته ... شُعاعٌ بدا يُعشِى العيونَ ويُشرِق[5]
فأحسنُ شىء بدء أولِ ليلةٍ ... وآخرُها حُزْنٌ إذا نتفرّق

(١) الجرى : الرسول ، أو الوكيل .
(٢) المطرفة : رداء من خز مربع فيه أعلام .
(٣) محسر : اسم مكان ، وفى هد « فنان » « بدل » معالم » وبها يختل الوزن ، تخلق : تبلى .
(٤) ممشى : معطوف على « مقاما ومجلسا » يكنها : يسترها ، يريد أن الكساء يستر جسمها لا عينها الشبيهة بالبرق المتألق .
(٥) سكن ياء « أعالى » لضرورة الشعر ، يعشى العيون : يجعلها لا تبصر ، وفى هد : « يغشى العيون » .

الغناء فى هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكى ، وذكر الهشامى أنه منحول .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى أبو العباس المروزىّ ، قال : حدثنا ابن عائشة قال :

عمر وابن أبى عتيق يستنجزان ابن أبى ربيعة وعده

حضر ابنُ أبى عتيق عُمَرَ بن أبى ربيعة يوما وهو ينشد قوله :

ومن كان محزونًا لإهراق دمعة ... وَهَى غربُها فليأتنا نَبْكِهِ غدا(١)

نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكلا ... وإن كان محزونا وإن كان مُقْصَدا(٢)

قال: فلما أصبح ابن أبى عتيق أخذ معه خالدا الخِرّيت ، وقال: قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبى عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأى موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكِه غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكى إن كنت صادقا فى قولك ، أو ننصرف على أنك غير صادق ، ثم مضى وتركه(٣) .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسرى .

يجمع بين ابن أبى ربيعة ومعشوقاته

أخبرنا على بن صالح بن الهيثم : قال : حدثنا أبو هفّان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مزيد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزامىّ والمثنى ومحمد بن سلام ، قالوا :

خرجت هند والرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق فى نسوة فجلستا هناك تتحدثان مليًّا ، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسرىُّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمخنّثين ، ويترسّل بين عمر بن أبى ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبى ربيعة ،

(١) الغرب : مسيل الدمع من العيون ، وفى هـ : « ومن كان محزونا لإهراق دمعة » . نبكه — بفتح النون أو ضمها — بمعنى نبكى بدله أو نجعله يبكى ، كلا الوجهين مقبول .

(٢) المقصد : من أقصد فلان فلانا : طعنه فلم يخطئ [illegible] .

(٣) كان السياق يقتضى « ثم مضيا وتركاه » .

وتشوقتاه، فقالتا لخالد: يا خرِّيت — وكان يعرف بذلك — لك عندنا حُكْمُك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه، فقال: أفعل فكيف تريان أن أقول له؟ قالتا: تُؤْذِنه[1] بنا، وتُعلمه أنا خرجنا في سرٍّ منه، ومُرْهُ أن يتنكر، ويلبس لِبْسة الأعراب، ليرانا في أحسن صورة، ونراه في أسوإ حال، فنمزح بذلك معه، فجاء خالد إلى عمر، فقال له: هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَرٍ منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما[2]؟ قال: والله إني إلى لقائهن لمشتاق، قال: فتنكر، والبس لِبْسة الأعراب، وهلمّ نمضِ إليهن، ففعل ذلك عمر، ولبس ثيابا جافيةً، وتعمّم عِمّة الأعراب، وركب قعوداً له على رحل غير جيد، وصار إليهن، فوقف منهن قريباً، وسلّم، فعرفنه، فقلن: هَلُمّ إلينا يا أعرابيّ، فجاءهن، وأناخ قعوده، وجعل يحدثهن، وينشدهن، فقلن له: يا أعرابي: ما أظرفك، وأحسن إنشادَك! فما جاء بك إلى هذه الناحية؟ قال: جئتُ أَنْشُدُ ضالّة لي، فقالت له هند: انزل إلينا، واحسِرْ عمامتك عن وجهك، فقد عرفنا ضالّتك، وأنت الآن تُقدِّر أنك قد احتلت علينا، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخرّيت، حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوإ حالاتك، وأقبح ملابسك، فضحك عمرُ، ونزل إليهن، فتحدّث معهن، حتى أمسوا، ثم إنهم تفرقوا، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ... ببطن حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلْقَعا[3]
إلى السَّرْحِ من وادي المغمَّس بُدِّلَتْ ... معالمُه وبلاً ونكباءَ زعزعا[4]

(1) تؤذنه: تعلمه.
(2) أمرهما: مفعول المصدر «كتمان».
(3) حليات: جمع حلية، وهي ماابيض من يبس النصي، وهو نبت سبط من أجود المراعي، وفي هج: «خليات» — بالخاء المعجمة — «دوارس بلقعا» حالان من الأطلال لاصفتان لحليات، وفي هج: «ألم تسأل» بدل «ألم تعرف».
(4) في هج: «السفح» بدل «السرح»، المغمس: مكان. النكباء. الزعزع: الريح العاتية.

فَيَنْكَأْنَ أو يُخبِرن بالعلم بعد ما ... نَكَأْنَ فؤاداً كان قِدْمًا مفجَّعا[1]

لهندٍ وأترابٍ لهند إذ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نخشَ أن يتصدَّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول ابن محرز :

تبالهنَ بالعِرفان لمّا رأينني ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا[2]

وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ ... يقيس ذِراعًا كلّما قِسْنَ إصبعا

كان جده عبدا آبقا

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل ذلك أبو عُبَيدة معمر بن المثنى :

أنّ كُرزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله جدِّه كان آبقا عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تَيْماء ، وكان أَبَقَ[3] ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غنمة بن شِقٍّ الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأَخَذَتْه بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنَب ، ويقال : إنها كانت بغِياً ، فأصابها ، فولدت له أسدَ بن كُرْز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لرِقِّه[4] كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نفراً من أهل هجر مرّوا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبته ، فاشترى نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادَّعى[5] إليهم وعاونه على ذلك حيٌّ من أحمس يقال لهم :

---

(١) نكأن فؤادا : من نكأ الجرح ، قشرة قبل أن يبرأ ، فدمى .

(٢) تبالهن : تظاهرن بالبله ، أكل : أرهق دابته ، أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها ، والمراد أنهن ظاهرن بعدم معرفته ، وقلن : أعرابي أجهده السير ، وأجهد راحلته .

(٣) أبق يأبق — من باب ضرب وعلم — هرب يهرب .

(٤) كذا في النسخ ، ولعل الصواب « لرقه كان فيهم » بدل « لرقة كانت فيهم »

(٥) ادعى : انتسب .

بنو مُنَبِّة(١) ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة — سُمِّى بذلك لأن عينه أصيبت ، فكان يغطيها بخرقة — وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ ، فنزل كرز فى بنى سُحْمة هاربا من ذى الرُّقعة ، ثم وثب على ابن عم للقَتَّال بن مالك السُّحمىّ فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدَّعى فى بَجِيلة ، ولا تُلْحِقُه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهرى ، وكتب له ، وكان كاتبا مُفوَّها ، وذلك فى إمارة عثمان بن عفان . فنال حظا وشرفا ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسَم(٢) خيلَه : القسرىّ ، ثم تَدَسَّسَ ليملك خيلا(٣) فى بلاد قسر ، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع ، فلم يقدر(٤) عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد فى مرتبته ، ثم ولى العراق ، وقال قيس بن القتال له فى هذا المعنى :

أبو خطيب الشيطان

ومن سَمَّاك باسمك يا بن كرز ؟ وأين المولد المعروف تدرى ؟(٥)

وقال بُجير بن ربيعة السُّحْمِىّ :

نفته من الشَّعبين قَسرٌ بعزّها إلى دار عبد القيس نَفْىَ المُزَنَّم(٦)

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبى موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال : اسكت ،

بن أبيه وأبى موسى بن نصير

(١) فى بعض النسخ « منبه » بدل « منية » وفى بعضها « أمية »

(٢) وسم خيله القسرى : وضع عليها علامة قبيلة قسر ، ويبدو أن القبائل كانت تسم الخيل بما يميز خيل كل قبيلة عن خيل سواها .

(٣) فى هد ، هج : ليملك أرضاً .

(٤) لعلها «تقدر» أو « يقدروا » « بدل » « يقدر » ولا مانع أن تكون «يقدر» بالبناء للمجهول ، والمراد – كما يبدو – أنه استطاع أن يمتلك الخيل أو الأرض على رغم منع بجيلة له من ذلك .

(٥) فى رواية : « وأين المولد المعروف أنى ؟ » .

(٦) المزنم : الدعى فى قوم ليس منهم .

فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسماء بن كرز ، نحن الذين نحن من الشهر[1] ، ونحامِ الدهر ، فقال له : ثلاثة نفر ، واحد منهم ، وإنما أنت عبدٌ آبقٌ ، قد كنتُ أراك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم[2] نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حنين ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أتراك منهم وأنت عبدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكنتهما عبد الملك ، ولم يسرّه ما قال عبد الله لأبى موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال فى ذلك أبو موسى بن نصير :

جاريت غيرَ سئومٍ فى مُطاولة   يا بنَ الوشائط من أبناء ذى هجر[3]
لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم   سوى عبيدِ امرئ القيس أو مُضر

تتوارث أسرته الكذب كابرا عن كابر

وقال أبو عبيدة : فأخبرنى عبد الله بن عمر بن زيد الحكمى قال :

كان يزيد بن أسد يلقب بخطيب الشيطان ، وكان أكذبَ الناس فى كل شىء معروفا بذلك ، ثم نشأ ابنُه عبدُ الله فسلك منهاجَه فى الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره .

قال عُمَر بن زيد : فإنى لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتى بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا بن أخى ؟ قال إسماعيل بن عبد الله

(١) لعله يريد نحن من شهر السيوف عند الحرب ، أو نحن من شهر اسم من نريد رفعته .

(٢) كان سياق الكلام ينبغى أن يقول : ثم نفاك ... الخ بكاف الخطاب ، ولكن على الرواية التى بين أيدينا ينبغى أن نعيد ضمير نفاه إلى كلمة عبد من قوله : « أنت عبد آبق » وقد يكون فى العبارة خرم

(٣) الوشائط : الدخلاء ينتمون إلى قوم ليسوا منهم .

بن يزيد القسرى . فقلت : يا بن أخى . لقد أنكرتُ ماجرى حتى عرفتُ نسبك[1] . فجل يضحك .

خطب على المنبر أن يطعموه ماء

أخبرنى اليزيدىُّ ، عن سليمانَ بن أبى شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة — واللفظ له — قالا :

كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحيّر ، فقال : أطعمونى ماء ، فقال الكميتُ فى ذلك ، ومدح يوسفَ ابن عمر :

خرجتَ لهم تمشى البَرَاحَ ولم تكن كمن حِصْنُهُ فيه الرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[2]

وما خالدٌ يستطعم الماء فاغرا بِعِدْلِكَ والداعى إلى الموت ينعَبُ[3]

أول كذبات الكلبى

وقال ابن الكلبى : أول كذبة كذبتها فى النسب ، أن خالد بن عبد الله سألنى عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغيًّا لبنى أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هى زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فَسُرَّ بذلك ، ووصلنى .

بنو أسد ينكر

قال : قال خالد ذات يوم لحمد بن منظور الأسدى : يا أبا الصباح ، قد ولد تمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقيل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك ، قال : أأفسد وأستنبط[4] ما ليس منى ، وأقرّ بالكذب

(١) يريد أنه إذا عرف النسب بطل العجب ، فهو من أسرة يجرى الكذب فى دمائها .

(٢) البراح : البين الواضح ، فهو مفعول مطلق ، أى تمشى المشى البراح . والرتاج المضبب : غلق الباب المصنوع من الحديد ، يريد أنه خرج لأعدائه سافرا ، ولم يتحصن بحصن مغلق .

(٣) العدل — بكسر العين — المعادل ، يقول له : لم تكن كخالد حين استطعم الماء عندما سمع بنبأ الإغارة عليه .

(٤) فى هد ، هج « وأستلحق من ليس منى » بدل « وأستنبط » وهى رواية أدق ، واستلاطه : ادعى بنوته زورا .

على قومى ؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكندىّ — وكان عاملَه — بضرب مولًى لعبّاد بن إياس الأسدىّ ، فقتله ، فرُفع إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله ، وقال :

لعمرِى لئن جارتْ قضيةُ خالدٍ عن القصد ما جارت سيوفُ بنى نَصْر

يتطاول على السماء

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائنى ، عن سحيم بن حفص قال :

قتل خداشٌ الكندىّ رجلا من بنى أسد ، وكان الكندىّ عاملا لخالد القسرى ، فطُولِب بالقَوَد ، وهو على دَهْلَك[1] ، فقال : والله لئن أقدتُ من عاملى لأُقيدنّ من نفسى ، ولئن أقدتُ من نفسى لَيُقِيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، ليُقِيدَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ ![2] يعرِّض بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

أمه نصرانية بظراء

أخبرنى الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائنى ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبى اليقظان ، قالوا :

كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنيسةً فى ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن فى المسجد أن يؤذن ضُربَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم .

أعشى همدان يفحش فى هجائه

فقال أعشى همدان يهجوه ، ويعيّره بأمه — وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه فى ذلك الوقت قالوا : ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهى كارهة ، فعيّره الأعشى بذلك حين يقول — .

(١) الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب ، وليس كلا المعنيين مناسبا هنا ، ورواية هد ، هج ، وهو على « المنبر » بدل « الدهلك » .

(٢) هاه هاه : حكاية الضاحك .

لعمرُكَ ما أدرى وإنى لسائلٌ　أبظراءُ أم مختونةٌ أمُّ خالد
فإن كانت الموسى جرت فوق بَظرها　فما خُتِنت إلا وَمَصّانُ قاعد[1]
يرى سوأة من حيث أطلع رأسه　تمرّ عليها مرهفاتُ الحدائدِ

وقال أيضا فيه، يرميه باللّواط :

ألم ترَ خالدا يختار ميماً　ويترك فى النّكاح مَشَقّ صادِ[2]
ويُبغِض كلّ آنسةٍ لعوبٍ　ويَنكِح كلّ عبدٍ مستقاد[3]
ألا لعن الإلهُ بنى كُرَيْزٍ　فكرزٌ من خنازير السواد[4]

يكره مضر، ويسب على بن أبى طالب

قال المدائنى فى خبره: وأخبرنى ابن شهاب بن عبدالله قال: قال لى خالد بن عبد الله القسرى: اكتبْ لى النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياما، ثم أتيته. فقال: ماصنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممته. فقال: اقطعْه — قطعه الله مع أصولهم — وا كتب لى السيرة، فقلت له: فإنه يمرّ بى الشىء من سيَر على بن أبى طالب — صلوات الله عليه — فأذكُره، فقال: لا، إلا أن تراه فى قعر الجحيم[5]. لعن الله خالداً ومن ولاه، وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين[6] :

(١) مصان : يقال للرجل : يامصان، وللمرأة يامصانة، مرادا بكل منهما أنه يمص بظرامه، وعلى هذه الرواية يكون ثمة إقواء فى البيت الثانى، ورواية هد : «فما ختنت الا بمصان قاعد» وهى رواية سليمة تضع عن البيت وزر الإقواء، وعلى كل فالمراد بالمصان هنا خالد نفسه بدليل قوله فى البيت التالى «يرى سوأة من حيث أطلع رأسه» يريد الأعشى أن الحجام حين استأصل بظر أم خالد كان خالد يراقب عملية استئصال ذلك البظر الذى كان يمصه، ويرى السوأة التى أطلعت رأسه يوم ولادته.

(٢) يكنى بالميم عن الاست، لأن حلقتها مستديرة، وبالصاد عن فرج المرأة لأن حلقته مستطيلة، وفى هج: «ويكره» بدل «ويترك».

(٣) مستقاد : تابع مقود، وفى الأصل «مستفاد» وهو تصحيف، والمثبت من هج.

(٤) كريز : تصغير كرز جد خالد، والسواد، اسم يطلق على العراق.

(٥) يريد ألا يذكر شيئا عنه إلا أن يراه فى قعر الجحيم، فيذكر ذلك.

(٦) لعن الله... الخ من كلام أبى الفرج، ويبدو فيه تشيعه، ولعل لهذا التشيع أثرا فى تلك الحملة الشعواء التى شنها على خالد بن عبد الله القسرى.

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاّف ، قال :

من مظاهر زندقته وانحرافه

صعِدَ خالدٌ القسرى المنبر ، فقال : إلى كم يغلبُ باطلُنا حقَّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقا ، أمه نصرانية ، فكان يولّى النصارى والمجوسَ على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضَرْبهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجوارىَ المسلماتِ ويطئونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغَيِّرُ[1] عليهم.

وقال المدائنى : كان خالد يقول : لو أمرنى أمير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجرا حجرا ، ونقلتها إلى الشام.

قال : ودخل عليه فراسُ بنُ جعدةَ بن هبيرةَ وبين يديه نبقٌ ، فقال له : العَن عليَّ ابنَ أبى طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة دينارا.

قال المدائنى : وكان له عامل يقال له : خالدُ بنُ أُمَىَّ[2] . وكان يقول: والله لخالد ابنُ أُمىّ أفضل أمانة من على بن أبى طالب صلوات الله عليه.

وقال له[3] يوماً : أيّما أعظم ركيتنا[4] أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير : من يجعل الماء العذب النُّقَاخ[5] مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمى زمزم أم الجعلان[6].

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى ، قال : حدثنا أبو غسّانَ دَماذُ ، عن أبى عبيدة ، قال :

بينه وبين الفرزدق

أتى الفرزدقُ خالد بن عبد الله القسرى ، يستحمِله فى ديات حَمَلها، فقال له : إيه

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصل العبارة « ولا يغيره عليهم » أو « ولا ينكر عليهن ».
(٢) فى بعض النسخ « خالد بن الحى » وفى بعضها « خالد بن آمى ».
(٣) قال له : قال خالد الوالى لخالد عامله.
(٤) الركية : البئر غير مطوية.
(٥) النقاخ : الماء العذب الصافى البارد.
(٦) الجعلان : جمع جعل - كزفر - وهو حيوان كالخنفساء يكثر فى الأماكن الندية.

يا فرزدق ، كأنى بك قد قلتَ : آتى الحائكَ بنَ الحائك ، فأخدعَه عن ماله إن أعطانى ، أو أذمّه إن منعنى . فأنا حائكٌ ابن حائك . ولستُ أعطيك شيئًا . فاذممنى كيف شئت ، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها :

ليتنى من بَجِيلةِ اللؤم حتى ‏ يُعْزَلَ ‏ الـ امل الذى بالعراق
فإذا عامل العراقين ولّى ‏ عدت فى أسرة الكرام العتاق(١)

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائكَ بنَ الحائك تصحيح نسبه فى اليمن ، والانتفاء من العبودية لأهل هجر .

يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله

وكان خالد شديدَ العصبية على مضر . وبلغ هشاما أنه قال : ما ابنى يزيدُ بنُ خالدٍ بدون مسلمةَ بنِ هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .

يتطاول على مقام النبوة

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين ، فحبسه فى دور آل الحضرمى ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغنى ما أنكرتم من أخذى عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبةَ حجرا حجرا لنقضتُها ، واللهِ لأميرُ المؤمنين أكرمُ على اللهِ من أنبيائه عليهم السلام، ولعن الله تعالى خالدًا وأخزاه .

أخبرنى أبو عبيدة الصّيرفىّ ، قال : حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصرىّ ، قال : حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى عبيد الله بن حُباب ، قال : حدّثنى عطاء بنُ مسلم قال : قال خالدُ بنُ عبد الله ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(١) رواية هد: « عدت فى أسرتى » وهى أجود .

أيُّما أكرم(١) عندكم على الرجل: رسوله فى حاجته أو خليفته فى أهله؟ يُعرِّض بأنَّ هشاما خيرٌ من النبى صلى الله عليه وسلم.

وازن بين إبراهيم الخليل والخليفة

قال أبو عبيدة: خطب خالد يوما، فقال: إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء، فسقاه الله ملحا أجاجا، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء، فسقاه اللهُ عَذبا نُقاخاً(٢)، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذى طُوى وثنيّة الحَجون، فكان خالد ينقل ماءها، فيوضع فى حوض إلى جنب زمزم. ليرى الناسُ فضلَها. قال: فغارت تلك البئر، فلا يُدْرَى أين هى إلى اليوم؟

ينال من على بن أبى طالب

أخبرنى أبو الحسن الأسدىُّ: قال: حدثنا العباس بن ميمون طايع، عن ابن عائشة، قال:

كان خالد بن عبد الله زِنديقًا، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه. فرأى يوما عِكرمةَ، مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامةٌ سوداء، فقال: إنه بلغنى أنَّ هذا العبدَ يشبه عَلِيَّ بن أبى طالب صلوات الله عليه وسلامُه، وإنى لأرجو أن يسوِّدَ اللهُ وجهَه كما سوّد وجه ذاك.

قال: حدثنى مَنْ سمعه، وقد لعن عليًّا صلوات الله عليه وسلامه — فقال فى ذكره: علىُّ بن أبى طالب بنُ عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وزوجُ ابنته فاطمةَ، وأبو الحسن والحسين، هل كَنَّيْتُه(٣). اللهم العن خالدا واخزِه، وجدِّد على روحه العذابَ.

اسماعيل بن خالد يذم بنى أمية فى مجلس السفاح

وقال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسرىُّ بنى أُمية عند أبى العباس

(١) كأنه يعتقد أن الخليفة خليفة الله، ونسى أن الخليفة خليفة رسول الله، وعليه فلا مجال للمقارنة.

(٢) النقاخ: الماء العذب الصافى البارد.

(٣) استفهام انكارى، يريد به أنه عرف عليا بجميع أدوات التعريف، حتى لا تخطئه اللعنة.

السفاح فى دولة بنى هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس[١] الشاعر مولى عثمان ابن عفان : يا أمير المؤمنين : أيشتمُ بنِى عمك وعُمَّالَهم وعماتِك رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ فى نسب ؟ إن بنى أمية لحمُك ودمُك ، فكلْهم ولا تؤكِّلهم[٢] . فقال له : صدقتَ . وأمسك إسماعيل فلم يُحرْ جوابا .

سليمان يضربه مائة سوط

وقال ابن الكلبى : كان خالدُ بن عبد الله أميرا على مكة فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب[٣] وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشَّيْبِىُّ[٤] إلى سليمان ابن عبد الملك يشكوه فصادف الفرزدقَ بالباب ، فاسترفده[٥] . فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبىُّ ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول :

سلُوا خالداً لا أكرم الله خالداً ... متى ولِيَتْ قسرٌ قريشاً تدينُها[٦]

أقبْلَ رسول الله أم ذاك بعدَه ! ... فتلك قريشٌ قد أغثَّ سمينُها[٧]

رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً ... فما أمُّه بالأم يُهْدَى جنينُها

فحمِىَ سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيد بن المهلَّب عنده ، فما زال

(١) كذا بالأصل ، وفى بعض الأصول جماس – بالجيم المعجمة وتشديد الميم – ولعل هذا وذاك محرفان عن الجماز الشاعر المعروف .

(٢) يريد أن يقول له : تول أنت بيدك عقوبتهم ، ولا تكل ذلك إلى غيرك ، على حد قول الشاعر :

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى ... وإلا فأدركنى ولما أمزق

وقد تمثل بهذا البيت الخليفة عثمان بن عفان فى خطاب بعث به إلى على بن أبى طالب ، يستعديه فيه على الثائرين عليه .

(٣) يريد برأس الحجبة رأس حجبة الكعبة ، وبالباب باب الكعبة .

(٤) الشيبى : نسبة إلى بنى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

(٥) استرفده : استعان به .

(٦) تدينها : تخدمها ، وتذلها ، وفى هج : « تهينها » بدل « تدينها » .

(٧) أغث سمينها : هزل ما كان سمينا من إبلها وشائها .

يُفَدِّيه(١) ، ويقبِّل يدَه ، حتى أمر بضربه مائةَ سوط ، ويُعفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك :

لعمرى لقد صُبَّتْ على ظهر خالد شآبيبُ ما استهلَلْنَ من سَبَل القَطْر(٢)
أيُضْرَبُ فى العِصيان من كان طائعاً ويَعصِى أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ ؟(٣)
فنفسَكَ لُمْ فيما أتيتَ فإنما جُزِيتَ جزاءً بالمُحَدْرَجَةِ السُّمْرِ(٤)
وأنتَ ابنُ نصرانيّةٍ طال بَظْرُها غَذَتْكَ بأولاد الخنازير والخمر
فلولا يزيدُ بن المهلّب حَلَّقَتْ بكفك فتخاءُ إلى الفرخ فى الوكرِ(٥)
لَعمرِى لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسرى(٦)

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّى ، وحفر نهر العراق(٧) بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها : سجن الفرزدق

وأهلكتَ مَالَ الله فى غير حقِّه على النَّهَر المشئوم غيرِ المبارك
وتضرب أقواماً صِحاحاً ظهورُهم وتترُكُ حقَّ الله فى ظهر مالِك(٨)

(١) يفديه : يقول له : جعلنى الله فداءك .
(٢) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر ، والسبل : المطر .
(٣) يريد أن خالدا يضرب الطائعين ، ويعصى هو . وفى المختار : « أيضرب فى الإسلام » .
(٤) المحدرجة السمر : السياط .
(٥) الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين ، يريد : لولا يزيد لقطعت يدك ، فالتقطتها عقاب لينة الجناحين ، وجعلت منها غذاء لفرخها فى وكره .
(٦) يريد أن هذه الصولة أرقتك ، فجعلت تراقب النجوم فى مساريها .
(٧) فى هـ ، مج : « وحفر نهر المبارك بالعراق »
(٨) تقدم هذان البيتان فى ترجمة الفرزدق .

وقال، ويقال: إنها للمفرج بن المرقع[1].

كأنك بالمبارك بعد شهر ... يخوض غمارَه بقعُ الكلاب[2]
كذبتَ خليفةَ الرحمن عنه ... وكيف يرى الكذوبُ جَزا الكِذاب[3]

فأخذ خالد الفرزدق فحبسه، واعتل عليه بهجائه إياه فى حفر المبارك، فقال الفرزدق فى السجن:

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً ... فعجِّل هداكَ الله نزعَك خالدًا[4]
بَنَى بِيعةً فيها الصليبُ لأمّه ... وهدَّم من بغض الإله المساجدَا

فبعث هشامٌ إلى خالدِ بنَ سويد[5] يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالداً القَسْرىّ:

ألا لعَن الرحمنُ ظهرَ مطيةٍ ... أتتنا تَخَطَّى من بعيد بخالد[6]
وكيف يؤمُّ المسلمين وأمُّه ... تدين بأنّ الله ليس بواحد؟

أخبرنا الحسن، قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارث، قال: حدثنا المدائنى، قال: ابن عيّاش يهجوه
شتم عبد الله بن عيّاش الهمدانىّ خالدَ بن عبد الله فى أيام منصور بن جمهور، فحبسه رجل من لخم، فقدَّمه إلى منصور واستعداه عليه، فقال له منصور: ما تريدُ؟

(١) فى بعض النسخ: «المربع».
(٢) نقع الكلاب: جيف الكلاب المنقوعة فى الماء، وفى هج، هد: «بقع الكلاب».
(٣) فى هد، هج «وسوف» بدل «وكيف» جزا: مقصور جزاء، الكذاب: الكذب.
(٤) تقدم هذان البيتان أيضا فى ترجمة الفرزدق.
(٥) ابن سويد مفعول «بعث» وفى «نسخة»: فبعث هشام إلى خالد رسولا».
(٦) تقدم البيتان أيضا فى ترجمة الفرزدق، وفى هد، هج «من دمشق» بدل «من بعيد». وفى الكامل: «تهادى» بدل «تخطى».

فقال ابن عيّاش : أمرنا أيها الأمير برقية العقرب . وفيه[1] عجب ، لخمىٌّ يشتم كلبيًّا على همذانىٍّ لبجلىٍّ دعىٍّ .

يدل على هشام

وقال المدائنى فى خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده فأدلّ ، وتمرّغ[2] عليه ، حتى إنه التفت يوما إلى ابنه يزيدَ بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف بك يابنىّ إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أواسيهم ولو فى قميصى . فتبين الغضب فى وجه هشام[3] ، واحتملها .

يلقب هشاما بابن الحمقاء

قال المدائنى : حدثنى بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ، فسمع هذا من[4] خالد ؛ قال : وكان[5] إذا ذُكر هشامٌ قال له : ابنُ الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا البَطِر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول قال : لا والله ، ولكن مالا تنشق به الشفتان قال : فلعله قال : ابن الحمقاء ، فأمسك الشامى ، فقال : قد بلغنى كل ذلك عنه .

يثقل نفوذه فى تضاعف دخله

واتخذ خالد ضياعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمك ، وأنا أحِبُّ جسمك

(١) فى العبارة التواء ، ونرجح أن قوله : « وفيه عجب » تحريف « والرقية عجب » ويقصد بالعقرب خالدا ، وبالرقية الأسجاع التالية ، اللخمى هو الواشى ، والكلبى هو منصور بن جمهور ، والهمذانى هو المتكلم ، أى الذى شتم خالدا ، والبجلى الدعى هو خالد ، والكلام مسوق مساق التهكم .

(٢) تمرغ عليه : تابعه عنده ، وأطال الترداد عليه .

(٣) سبب الغضب أن السؤال يؤذن بحاجة بنى أمية وزوال ملكهم .

(٤) هذا : هذا الخبر ، ونرجح أن « من » هنا تحريف عن ، أى سمع رواية الشامى لهذه القصة .

(٥) عبارة هج : « وكان إذا ذكر هشام قال : ماقال لكم ابن الحمقاء ؟ » .

وروحك ، قد بلغت غَلَّةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّاته[١] ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخى أسد بن عبد الله قد كلمنى بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعْه ، فرُبَّ يومٍ كان يطلُب فيه الدرهم ، فلا يجده .

كان بخيلا بطعامه

وقال المدائنى فى خبره : كان خالد بنُ عبد الله بخيلا على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم[٢] ، وحضر الطعامُ ، فأتِىَ به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض علىّ صكّه ، فعرّفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشترى غداً كل ما يُحتاجُ إليه فى مَطْبخه ، وتهبُ الطبّاخَ دراهم ، حتى لا يشترىَ شيْئا ، وتسأله إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليومَ فى ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطبَ ، فبلغَ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ، فاستطاب ما صُنِعَ له . فقال له الطبّاخ : إنك كنتَ اليومَ فى ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبرَه ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه ، فصيّره ثلاثين ألفًا ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .

مواة بين الما تاجر عليه

قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استعداء خالدٍ عليه ، فلاذ الرجل ببواب خالد ، وبرّه ، فقال له : سأحتال لك فى أمر هذا بحيلة ، لايُدخِلُه عليه أبداً ، قال : فافعلْ ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلا شنيعًا كثيراً ، فغاظ ذلك خالداً ، فلمّا خرج قال

(١) فى هج : « قد بلغت غلتك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلة ابنك » .

(٢) فى هج : « بعشرين ألف درهم » .

لبوابه : فيم أتانى هذا ؟ قال : يستعدى على فلان فى دَين يدعيه عليه . قال : والله إنى لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلن علىّ . وتقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه[1] .

وقال المدائنى فى خبره :

خبير بلغة الحمير

كان خالد يوما يخاطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رَهمة[2] الكلبىّ ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك فى شىء أومأ إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبى فى وسط خطبته ، وقال : قد حضرتنى مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه فى عينى ، يعنى حُسينا ، قال : لابد والله منها ، قال : هاتها، قال: أخبرْنى ، قَلْمسانُ[3] إذا ساف[4]، ثم رفع رأسه وكرف[5] أىّ شىء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أطيبه يا رباه ، قال : صدقتَ ما كان ليستشهدَ على هذا سوى ربه .

رأيه فى حفظة القرآن

قال المدائنى : وقال خالد يومًا على المنبر : هذا كما قال الله عز وجل : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ثم أُرتِجَ عليه ، فقال للتغلبى : قم فافتح علىّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خفِّضْ عليكَ أيها الأمير ، لا يهولَنَّك ذاك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمق من الرجال ، قال : صدقتَ ، يرحمُك الله .

يهب النفسية للقصاص

وقال المدائنىّ : حدّثنى أبو يعقوب الثقفىّ ، قال :

قال خالد بن عبد الله للعُريان : ياعُريَانُ ، أعجزت عن الشُّرَط ، حتى أوَلّى

(١) فى هد ، هج « بأن يقبض يده عن خصمه » ولعل المراد أنه خلى بين التاجر والمدين ، ومنع الشرطة أن تحمى الثانى من الأول .

(٢) فى بعض النسخ : دهمة .

(٣) كذا بالأصل ، والذى فى هج ، هد : أخبرنى عن الحمار إذا ساف وكرف ، ثم رفع رأسه ، وكرف ، أى شىء يقول ؟ » وليس بين أيدينا من المعاجم ما يفيد أن كلمة « قلمسان » تطلق على الحمار أو غيره .

(٤) ساف : شم .

(٥) كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفلته .

غيرك! فإن الغناء قد فشا وظهر قال: لم أعجز، وإن شئت فاعزلني، فقال له: خذلي المغنيات، فأحضره خمسًا منهن أو ستًّا، فأدخلهن إليه، فنظر إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء؛ كأنها أشربت ماء الذهب، فدعا لها بكرسي، فجلست. ثم قال لها: أين البربط[1] الذى كانت تضرب به؟ فأحضر، ثم سوته، فغنت:

إلى خالدٍ حتى أنخنَ بخالدٍ   فنعم الفتى يُرجَى ونعم المؤمَّلُ

فقال: اعدلى عن هذا إلى غيره، فغنت:

أروحُ إلى القصّاص كل عشيّةٍ   أرجِّى ثوابَ الله فى عدد الخُطَا

قال: وأقبل قاصُّ المِصر. فقال له خالد: أكانت هذه تروح إليك؟ قال: لا، وما مثلها يروحُ إلىَّ، قال: خذ بيدها فهى لك، ومولاها بالباب، فسأل عنها فقيل: وهبها للقاصّ، فتحمّل[2] عليه بأشراف الكوفة، فلم يردُدْها، حتى اشتراها منه بمائتى دينار.

هشام يضيق به ذرعا فيقرعه

وقال المدائنىّ: قال خالد فى خطبته: والله ما إمارة العِراق مما يشرفنى، فبلغ ذلك هشامًا، فغاظه جدًّا، وكتب إليه:

بلغنى يا بنَ النصرانية أنك تقول: إن إمارةَ العراق ليست مما يشرفك، صدقت والله، ما شىء يشرفك، وكيف تشرُف وأنت دَعىٌّ إلى بجيلةَ القبيلةِ القليلةِ الذليلةِ، أما والله إنى لأظنُّ أن أولَ ما يأتيكَ ضَغِنٌ من قيس[3]، فيَشُد يديك إلى عنقك.

هشام ينكل به تنكيلا

وقال المدائنى: حدثنى شَبيبُ بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم

---

(١) البربط — كجعفر — العود، وهو لفظ معرب عن «بر» و«بط» بمعنى صدر الإوز، لأن شكل العود يشبه شكل صدر الأوز.

(٢) تحمل: توسل.

(٣) ضغن: حاقد عليك من قيس الذين لا تفتأ تنال منهم.

قال : لم تزل أفعالُ خالد به[١]، حتى عزلَه هشام، وعذَّبه، وقتل ابنَه يزيد بن خَالد، فرأيتُ في رِجْلِه شريطًا قد شُدَّ به، والصبيان يجرونه، فدخلتُ إلى هشام يومًا، فحدثته، وأطلت، فتنفس. ثم قال: ياخالدُ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إليَّ قربا، وألذَّ عندى حديثا منك، قال: يعنى خالداً القسرى، فانتهزتُها، ورجوت أن أشفع له فتكون لى عند خالدٍ يدٌ، فقلت: يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده؟ فقد أدَّبْتَهَ بما فَرَطمنه، فقال: هيهات، إن خالداً أوجف[٢] فأعجف، وأدلَّ[٣] فأملَّ، وأفرط في الإسَاءة فأفرطْنا في المكافأة، فحَلِم الأديمُ[٤]، ونَغِلَ الجرح[٥]، وبلغ السيلُ الزُّبى[٦] والحزام الطُّبْيَيْن[٧]، فلم يبق فيه مُسْتَصْلَح، ولا للصنيعة عنده موضع، عُدْ إلى حديثك.

عود إلى تخنثه ودورانه فى فلك عمر بن أبى ربيعة

فأمَّا أخباره في تخنثه وإرسال عمرَ بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هِفّان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي، وأخبرني الحَرَميُّ بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال:

(١) متعلق الجار والمجرور محذوف، تقديره «عالقة» أو مزرية به، أو نحو ذلك.

(٢) لعله يريد بقوله: «أوجف فأعجف» أسرع في الإساءة، وتمادى فيها، فأصاب منزلته عندنا بالهزال والعجف.

(٣) أدل فأمل، أكثر من الإدلال، فقرب لنا السآمة والإملال.

(٤) الأديم: الجلد، حلم: كثر دوده، حتى تثقب وفسد.

(٥) نغل الجرح: تعفن، وفسد.

(٦) الزبى: جمع زبية، وهي الربوة لا يعلوها الماء، فإذا وصل إليها كان ذلك نذيرا بخطر السيل، وجملة «بلغ السيل الزبى» مثل يضرب عند تفاقم الخطر، وبلوغه مداه.

(٧) الطبى – بضم الطاء وكسرها – حلمة ثدى الناقة ونحوها، وجملة «جاوز الحزام الطبيين» كسابقتها تضرب مثلا في تفاقم الأمر، وبها تمثل عثمان بن عفان في خطابه إلى علي بن أبي طالب، مستنجدا لمواجهة الثائرين عليه».

حدثني محمد بن الحارث بن سعد الأسيدي، عن إبراهيم بن قُدَامة الحاطبيّ، عن أبيه، واللفظُ لعلي بن صالح في خبره، قالا (١) : قال الحاطبي :

أتيتُ عمر بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين ، فانتظرته في مجلس قومه ، حتّى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه ، ومعي صاحب لي ، فقال لي صاحبي : هل لك في أن تُرِيغَه (٢) عن الغزل ، فننظر هل بقي منه شيء عنده ؟ فقلتُ له : دونك . فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسَان العذري ـ قاتله الله ـ قال : وفيم أحسن ؟ قال : حيث يقول :

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودّتها لمالَ لا شك يَهوِي نحوَها راسي

فقال : نعم أحسن ، فقال : يا أبا الخطاب ، وأحسنَ واللهِ تَحِيَّةُ بنُ جُنادة العذريّ ، قال : في ماذا ؟ قلت : حيث يقول :

سرت لعينيك سَلْمى بعد مَغْفاها فبتُّ مستوهناً من بَعْدِ مسراها
فقلت : أهلاً وسهلاً من هَدَاكِ لنا إن كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيّاها

وفي رواية الزبيري خاصة :

تأتي الرياحُ التي من نَحْوِ أرضكمُ حتّى أقول : دنَتْ منّا بريّاها
وقد تراخت بها عنّا نوًى قَذَفٌ هيهاتَ مُصْبَحُها من بعدِ مُمْساها(٣)
مِنْ حُبِّها أتمنّى أنْ يلاقِيَني من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاء له وتُضمر اليأسَ نفسي ثم تَسلاها

(١) ضمير « قالا » لعلي بن صالح والحرمي بن أبي العلاء .
(٢) تريغه : من أراغه عن الأمر وعليه : طلبه منه .
(٣) قذف : بعيدة تتقاذف بمن تسير به ، ومصبح وممسى : مصدران ميميان ، أو اسما مكان أو زمان من أصبح وأمسى ، وفي هد ، هج « هيهات مصبحها عنا وممساها » .

ولو تموت لراعتني وقلتُ لها : يا بؤسَ للدهر ليتَ الدهرَ أبقاها

ويروى :

... لراعتني منيّتُها وقلتُ يا بؤسَ ليتَ الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسن والله ، لقد هيّجتَ عليّ ما كان ساكناً مني فلأحدّثنّك حديثاً حلواً : بينا أنا أوّل أعوامي جالس إذا بخالد الخرّيت ، قال : مررت بأربع نسوة قُبيل[1] ، يرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أر مثلَهن قط ، فيهن هند ، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمع من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لي بأن يخفى ذلك ؟ قال : تلبس لِبسةَ الأعراب ، ثم تعمدُ على قعود ، كأنك تَنْشُدُ ضالة ، فلا يَشْعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن ، قال : ففعلت على قعود . ثم أتيتُهنّ فسلمت عليهن ، فآنسْنني ، وَسَأَلنني أن أنشدَهن ، فأنشدتهن لكُثيِّر وجميل وغيرهما ، وقلن : يا أعرابي ، ما أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت ، فأنختُ قعودي ، وجلستُ معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّتْ يدها ، فجذبتْ عمامتي ، فألقتها عن رأسي ، ثم قالت : تالله أظننتَ أنك خدعتنا ، نحن والله خدعْناك ، أرسلنا إليك خالداً الخرّيتَ في إتياننا بك على أقبح هيئتك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنَ بنا في الحديث ، فقالت إحداهن : يا سيدي لو رأيتني[2] منذ أيام ، وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي

(١) قبيل : جماعات

(٢) في هد « لقد رأيتني » بضم التاء .

في جيبي ، فنظرت إلى حِجري ، فرأيته ملء العُسّ والقَسّ[1] فصِحتُ : يا عمراه ! فصحتَ[2] : لبيك لبيك ، ولم أزل معه في أحسن وقت إلى أن أصبحنا ، فتفرقنا عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول :

ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطن حُلَيّات دوارسَ بَلْقَعا[3]

وذكر الأبيات .

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

(١) العس : القدح الكبير ، أما القس فلا مكان له هنا ، ونرجح أنهما تحريف « العين والنفس » .
(٢) تاء « صحت » الأولى ضمير المرأة المتحدثة ، وتاء « صحت » الثانية ضمير ابن أبي ربيعة .
(٣) مضى هذا البيت وما بعده في حديث سابق ، كما مضى الحديث كله في هذه الترجمة نفسها مع اختلاف في الرواية .

صوت

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتِها   لنا عجبٌ لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ
أنائلُ ما للعيش بعدكِ لذةٌ   ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرَنَّقُ (١)
أنائلُ إنِّى والذى أنا عبدُه   لقد جعلَتْ نفسى من البين تُشْفِقُ
لعمرُكَ إن البين منك يشوقنى   وبعضُ بُعادِ البين والنأيِ أشوقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضْرِىّ

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر ابن الجعد الخضرى ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر . ومن الناس من يروى هذه الأبيات لجميل ، ولم يأت ذلك من وجه يصحّ ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين .

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامى، وفيه لابن المكى ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

(١) مشرب مرنق : مشوب غير صاف .

أخبار صخر بن الجعد ونسبه

نسبه

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْرىّ،والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس ابن عَيْلان بن مُضَر ، وصخر أحد بنى جحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف ، قال : وسُمِّى ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم ، وكان مالك شديد الأُدْمة [1]. وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر ، والعرب تسمى الأسودَ الأَخْضَرَ .

ابن ميادة يترفع عن مهاجاته

وهو شاعر فصيح من مُخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ،وقد كان يَعْرِض لابن ميادة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخُضْرىّ من المهاجاة ، ورام أن يهاجيَه ، فترفّع ابنُ ميّادة عنه .

أخبرنى بخبره علىُّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن الزبير بن بكار مجموعاً ، وأخبرنى بأخْبار له متفرقة الحَرَمىُّ بن أبى العلاء ، عن الزبير ابنِ بكار .

وحدثنى بها غيرُهما من غير رواية الزبير ، فذكرت كلَّ شىء من ذلك مفرداً ، ونسبته إلى راويه

قال الزبيرُ فيما رواه هارون عنه :

قصته مع محبوبته كأس

حدثنى مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَون قال :

كان صخرُ بن الجَعْد مغرما بكأسٍ بنت بُجَيْر بن جُنْدب ، وكان يشبب بها ، فلقيه أخوها وقّاصٌ [2] ، وكان شجاعا ، فقال له : يا صخرُ ، إنك تشبب [3] بابنة عمك وشهَرتَها ، ولعمرى ما بها عنك مذهبٌ ؛ ولا لنا عنك مرغَب ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوّجْكَها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلَمَنْ ما عرضت لها

(١) الأدمة : السواد .

(٢) فى هج « الحكم » بدل « حكم » .

(٣) فى بعض النسخ : إنك نسبت « بدل » إنك تشبب ، وهذه الرواية أنسب .

بذكر ، ولا أسمّيته منه . فأقسمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطنّك سيفى ، فقال له : بل والله إن لى لأشدَّ الحاجة إليها ، فوعده موعدًا وخرج صخرٌ لموعِدِه ، حتى نزل بأبياتِ القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقّاصٌ فذبَح ، وجمع أصحابَه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه : أن هلمّ لحاجتك ، فأبطأ[1] ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله[2] ، فغضب . وعمِدَ إلى رجل من الحيّ ليس يُعْدَلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو مُغْضَبٌ لما صنع ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، وزوّجه كأسَ ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ، فأعلموه تزويجَ كأسٍ بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبياتِ التى قذَفها فيها فيما قذفَها ، وذلك قوله حين يقول :

وأنكحَها حصنًا لِيَطْمِسَ حَمْلَها ... وقد حملَتْ من قبلِ حصنٍ وجرّتِ

أى زادت على تسعة أشهر ، قال : وترافع القومُ إلى المدينة ، وأميرُها يومئذ طارق مولى عثمان ، قال : فتنازعوا إليه . ومعهم يومئذ رجل يقال له حَزْمٌ ، وكان من أشد الناس على صخر شرًّا . قال : وفيه يقول صخر :

كفى حَزَنًا لو يعلمُ النّاسُ أنّنى ... أدافعُ كأسًا عند أبوابِ طارقِ[3]
أتنسَيْنَ أيامًا لنا بسُوَيْقَةٍ ... وأيامَنا بالجِزع جِزْعِ الخلائقِ
ليالىَ لا نخشى انصداعًا من الهوى ... وأيامَ حزمٌ عندنا غيرُ لائقِ[4]

(١) ضمير « أبطأ » يصح أن يكون عائدا على صخر ، وعلى الرسول .
(٢) فى العبارة التواء فلم يتقدم مرجع الضمير « قوله » .
(٣) يريد بالمدافعة المقاضاة ، وتنوين « كأسا » ليس ضرورة ، فهو مؤنث ثلاثى ساكن الوسط يجوز تنوينه ومنعه من الصرف .
(٤) يريد حزما عدوه الذى تقدمت الإشارة اليه ، و « حزم » مرفوع على الابتداء ، وأيام مضافة إلى الجملة بعدها .

إذا قلت لا تفشى حديثى تجرفت زياداً لودٍّ ها هنا غير صادق (١)

قال: فأقاموا عليه البيِّنة بقذف كأس، فضُرب الحدّ، وعاد إلى قومه، وأسِف على مافاته من تزويج كأس، فطفق يقول فيها الشعر.

شعره فى كأس

قال الزبير: فأنشدنى عمّى وغيره لصخر قوله:

لقد عاود النفسَ الشقيَّةَ عيدُها ... نعم إنّهُ قد عاد نحساً سُعودُها (٢)

وَعاوَدَهُ من حُبِّ كأسٍ ضمانةٌ ... على النأى كانت هيضةً تستقيدُها (٣)

وَأنّى تُرجِّيها وأمست همَّهُ لا يكيدُها ... ضعيفا وأمسى وأصبحَ وصلُها (٤)

وقد مرَّ عصرٌ وهى لا تستزيدُنى ... لما استُودِعت عندى ولا أستزيدُها

فما زلتَ حتى زلّتِ النعلُ زلّةً ... برجلك فى زوراءَ وعثٍ صعودُها (٥)

ألا قل لكأسٍ إن عرضتَ لبيتِها ... فأين بكا عينى وأين قصيدُها؟

لعل البُكا يا كأسُ إن نفع البكا ... يقرِّب دنيانا لنا فيعيدُها

وكانتْ تناهتْ لوعةُ الودِّ بيننا ... فقدأصبحتْ يُبْساً وأذبل عودُها (٦)

(١) تعجرفت: تكبرت، زيادا: مفعول لأجله، أى تكبرت لتزيد ودا بيننا غير صادق، وفى هد، هج: «ديارا» بدل «زيادا» ولامعنى له.

(٢) العيد هنا: ما يعتاد الأنسان.

(٣) الضمانة: العلة، الهيضة: المرض بعد المرض، فاعل «تستقيدها» ضمير كأس، يريد أن كأسا تأخذ القود منه، وتثأر لنفسها بما أصابته به من علة بعد علة.

(٤) أمست همه لا يكيدها، أى أمست كأس وليس من همه أن يضمر لها كيدا.

(٥) زوراء: أرض بعيدة، وعثصعودها: من وعث الطريق وعثا: تعسر سلوكه، يريد أنه كان مع كأس على وفاق، حتى زلت به النعل زلة لا إقالة منها.

(٦) فى هد، هج «زرعة» بدل «لوعة» والمعنى يستقيم على روايتهما

ويروى : وقد ذاء عودُها يقال: ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

لياليَ ذاتُ الرمْسِ لا زال هيْجُها جنوبا ولا زالت سحابٌ تجودُها (١)
وعيشٌ لنا فى الدهر إذ كان قلبُه يطيب لديه بُخْلُ كأسٍ وجودُها (٢)
تذكّرْتُ كأساً إذ سَمِعتُ حمامةً بكت فى ذُرَا نخلٍ طِوالٍ جريدُها
دعت ساقَ حُرٍّ فاستجبتُ لصوتِها مولّهةً لم يبقَ إلا شريدُها (٣)
فيانفسُ صبرًا كلُّ أسبابِ واصلٍ ستنمِى لها أسباب هَجْرٍ تُبيدُها

قال أبو الحسن الأخفش :

ستنمى لها أسباب صَرْمٍ تُبيدها أجود .

وليلٍ بَدَتْ للعين نارٌ كأنها سنا كوكبٍ للمستبين خُمودها (٤)
فقلت : عساها نارُ كأسٍ وعلّها تَشكّى فأمْضِى نحوَها وأعودُها (٥)
فتسمع قولى قبل حتف يَصِيدُنى تُسَرُّ به أو قَبْلَ حتفٍ يصيدها
كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلْفَى مَودةٍ إذِ الناسُ والأيامُ تُرْعَى عهودُها

من شعره فى تجواله

أخبرنى عبد الله بن مالك النحوى ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال :

لما ضربَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ ، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه ،

---

(١) ليالى مضاف إلى الجملة بعدها ، ذات الرمس : مكان ، الهيج : الريح ، يقول : إن زرعة الود كانت تناهت بينهما ليالى كانت تهب الريح فيها جنوبا ، وكانت السحاب تمطر فيها ، والسحاب يذكر ويؤنث .

(٢) عيش : معطوف على « ذات الرمس »

(٣) ساق حر : ذكر القمارى ، وفى رواية « فاستحثت » وفى الأصل « فاستحث » وفى هد : « فاستجبت » وهذا هو الذى نرجحه ، يريد أن الحمامة دعت القمرى فاستجبت أنا لندائها حال كونها مولهة .....الخ .

(٤) وليل واورب ، ورابط جملة الخبر محذوف ، تقديره بدت للعين نار فيه . وفى هج « لا تستبين » بدل « للمستبين » أى أنها نار لا ترى العين لها خمودا ، بل هى متقدة دائما .

(٥) رفع « أمضى » « وأعود » لضرورة الشعر ، فالقياس النصب .

واستحيا من الناس للحدّ الذى ضُرِبَه ، فلحِقَ بالشام ، فطالت غيبتُه بها ، ثم عاد فمرّ بنخل كان لأهله ولأهل كأسٍ ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يَصْرِمونها(١) ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً ، وأنشأ يقول :

مررتُ على خَيماتِ كأسٍ فأَسبلتْ مدامعُ عينى والرياحُ تُذيلُها
وفى دارهمْ قومٌ سواهم فأَسبلتْ دموعٌ من الأجفان فاض مسيلُها
كذاكَ الليالى ليسَ فيها بسالمٍ صديقٌ ولا يبقى عليها خَليلُها

وقال وهو بالشام :

أَلا ليتَ شعرى هل تغيَّرَ بَعدَنا عن العهدِ أم أمْسَى على حاله نجدُ ؟
وعهدِى بنجدٍ منذ عشرين حِجّةً ونحن بُدنيا ثَمَّ لمْ نَأْتِهَا بعدُ
به الحوصَةُ الدهماءُ تحت ظلالها رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعدُ(٢)

قال: ومرّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه، فوقف طويلا عليه يبكى وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخر :

بَلِيتُ كما يَبْلَى الرِّداءُ ولا أَرَى جَنانًا ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ(٣)
أُلَوِّى حيازيمى بِهِنَّ صبابةً كما تتلوَّى الحيَّةُ المُتَشَرِّقُ(٤)

تموت كأس فيرثيها

أخبرنى عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السعيدىّ(٥) : حدثنى سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام ، قال :

(١) صرم النخلة : جدها .
(٢) الحوص : ورق النخل والمقل والنار جيل وما شاكلها ، الحوذان : نبات عشبى ، النفل : نبات طيب الرائحة أصفر الزهر ، وفى الأصل « بقل » وهو تصحيف .
(٣) جنان ، وذروة : مكانان .
(٤) الحيزوم : الصدر أو وسطه ، الحية المتشرق : التى تحاول الدفء عند شروق الشمس .
(٥) فى هج : « السعدى » بدل « السعيدى » .

كان صخر بن الجعد المحاربى خِدْناً لعوّام بن عقبة ، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومه ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمع صخرُ بن الجَعْد المرثية ، قال : ودِدتُ أن أعيش حتى تموت كأس ، فأرثيَها ، فماتت كأس ، فقال :

على أمّ داودَ السلامُ ورحمةٌ   من الله يجرى كلَّ يوم بشيرُها
غداةَ غدا الغادون عنها وغُودِرَتْ   بلمّاعةِ القِيعان يستنُّ مورُها(١)
وغُيِّبتُ عنها يوم ذاك وليتَنى   شهِدت فيحوىَ مَنْكِبِىَّ سريرُها(٢)

ويروى : فيعلو منكبى .

نزَت كبدِى لمّا أتانى نعيُّها   فقلت : أدانٍ صدعُها فمُطيرُها ؟(٣)

أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره

أخبرنى الحرَمِىُّ بن أبى العلاء ،قال: حدثنى الزبير،قال: حدثنى خالد بن الوضاح قال : قال عبدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِىُّ لعبد الله بن مصعب : سألنى أمير المؤمنين اليوم فى موكبه : مَنِ الذى يقول :

ألا يا كأسُ قد أفنيتُ شِعْرى   فلستُ بقائلٍ إلا رجيعا ؟(٤)

ولم أدر لمن الشعر ؟ فقال عبد الله بن مصعب : هو لصخرٍ الحَضْرِىِّ ، وأنشده باقىَ الأبيات ، وهى :

(١) لمّاعة القيعان : فلاة يلمع السراب أو البرق فى قيعانها ، يستن : يسرع ، المور : الغبار تطير به الرياح كل مطار .

(٢) يكنى بقوله : « يحوى منكبى سريرها » عن احتضانها أو حملها إلى القبر ، ويؤيد المعنى الثانى رواية « فيعلو » التى أشار إليها المؤلف ، وهى أجود

(٣) فى رواية « برت » بدل « نزت » وفى أخرى « أدام » بدل « أدان » وهى أجود، مطيرها : اسم فاعل من أطار ، والنعى – بالتشديد – كالنعى – بالتخفيف .

(٤) فى الأصل « فلست بنائل بالا رجيعا » . وهو تحريف « فلست بقائل إلا رجيعا » ويعين ذلك قوله: « أفنيت شعرى » .

تُرَجِّى أنْ تلاقِىَ آلَ كأسٍ ... كما يرْجو أخو السَّنَةِ الربيعا(١)

فأصبحتَ بن أثيم إلا بحُزْنٍ ... ولا ... إلا مَرُوعا

فإنَّكَ لو نظرتَ إذا التقينا ... إلى كبدِى رأيتَ بها صُدوعا

قال ابن حبيب في رواية عبد الله بن مالك: لما زُوِّجَتْ كأسٌ جزع صخرُ بن الجعد لما فرط منه وندِم وأسِفَ ، وقال في ذلك :

من شعره حينما ندم على عدم زواجها

هنيئًا لكأسٍ قطعُها الحبلَ بعدما ... عقدْنا لكأس موثِقًا لا نخونُها

وإشماتُها الأعداءَ لمّا تألَّبوا ... حوالىَّ واشتدَّت علىَّ ضُغُونُها

فإن حَرامًا أنْ أخونَكِ ما دعا ... بيليلَ قُمْرِىُّ الحمام وجُونُها(٢)

وقد أيقنَتْ نفسى لقد حِيلَ دونها ... ودونكَ لو يأتى بيأسٍ يقينُها(٣)

ولكنْ أبتْ لا تستفيقُ ولا ترى ... عَزَاءً ولا مجلودَ صبرٍ يُعينُها(٤)

لو أنَّا إذ الدنيا لنا مطمئنةٌ ... دَحَا ظِلُّها ثم ارجحنَّت غُصونُها(٥)

لهونا ولكنا بغرَّة عيشِنا ... عجبنا لدُنيانا فكِدنا نُهينُها(٦)

(١) السنة هنا : الجدب والمحل .

(٢) يليل – بياءين مثناتين – اسم موضع ، الجون : جمع جوناء ، وهى الناقة السوداء ، والمعنى : لن أخونك ما ناح الحمام ، أو أرزمت الإبل بهذا المكان ، وفى النسخ اضطراب كثير فى هذا البيت .

(٣) لو هنا للتمنى لا شرطية : يتمنى لو أن يقينه بالحيلولة بينه وبينها أراح قلبه باليأس منها وسلوة حبها .

(٤) مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه ، وإضافة «مجلود» إلى «صبر» من إضافة الموصوف إلى الصفة ، أى الصبر الذى أكره نفسى عليه .

(٥) دحا الظل : استرخى وامتد ، ارجحنت : تمايلت .

(٦) لهونا : خبر لوانا فى البيت السابق ، عجبنا لدنيانا : أنكرناها : يقول : ليتنا نعمنا بالحياة ، وهى مواتية ، ولكننا تنكرنا لها ، فكدنا نهينها على إساءتها لنا .

وكنا إذا نحن التقينا وما نُرى ... لعينين إلا من حجابٍ يَصونُها(1)
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وأوساطِها حتى تَمَلَّ فنونُها(2)

تراه كأس فى النوم

قال ابن حبيب: أرسلت كأسٌ بعد أنْ زُوِّجت، إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يَرَى النائم: كأنه يُلْبِسُها خماراً، وأنّ ذلك جدّد لها شوقًا إليه وصَبابة، فقال صخر:

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتِها ... لنا عجبٌ لو أنّ رؤياكِ تَصْدُقُ
أنائلُ لولا الودُّ ما كان بيننا ... نضا مثل ما ينضو الخضابُ فيخلُق(3)

يشترى نسيئة ثم يهرب من البائع

أخبرنا حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدثنى محمد بن عبد الله البكرى، قال:

قدم صخر بن الجعد الخضْرىّ المدينة، فأتى تاجراً من تجارها، يقال له سَيّارٌ فابتاع منه بُرًّا وعطراً، وقال: تأتينا غُدوة فأقضيك، وركب من تحت ليلته، فخرج إلى البادية، فلما أصبح سيّار سأل عنه، فعُرِف خبرُه، فركب فى جماعة من أصحابه فى طلبه، حتى أتوا بئرَ مُطّلِب، وهى على سبعة أميال من المدينة، وقد جهدوا من الحرّ، فنزلوا عليها، فأكلوا تمراً كان معهم، وأراحوا دوابّهم وسَقَوْها، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد، فقال:

أَهْوِنْ علىَّ بسيّارٍ وصفوته ... إذا جعلتُ صِراراً دون سيّار(4)

(1) جواب إذا فى البيت التالى، ويريد بقوله: «وما نرى. الخ» أنهما كانا مستترين عن العيون، فلا تقع عليهما إلا من وراء حجاب.

(2) فى «هد، هج»: «حتى ترق فنونها».

(3) بيننا: فراقنا، نضا: نصل، يخلق: يبلى، يقول: إن الفراق يؤثر فى الود، ولكن ودنا متين، ولولا متانته ما وهى أثر الفراق، كما يبلى الخضاب وينصل.

(4) صرار: موضع قرب المدينة، يقول: ماذا عساه يفعل هو وعترته إذا تجاوزت المدينة، وكان بينى وبينه هذا الموضع.

إنّ القضاء سيأتى دونه زمن   فاطوِ الصّحيفةَ واحفظها من العار (١)
يسائل الناسَ هل أحسستُمُ جَلباً   محاربيًّا أتى من نحو أظفارِ (٢)
وما جَلَبْتُ إليهم غيرَ راحلة   وغيرَ رحل وسيف جَفنُهُ عار
وما أريتُ لهم إلا لأدفعهم   عنى ويخرجُنى نقضى وإمرارى (٣)
حتى استغاثوا بأرْوَى بئر مُطّلِب   وقد تحرّق منهم كلُّ تمّار (٤)
وقال أوّلُهم نُصحا لآخرِهم :   ألا ارجِعُوا واتركوا الأعرابَ فى النار

جاريته تخدعه

أخبرنى عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابى ، قال :

كان الجعد المحاربىّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِف ، وكان يكنى أبا الصموت ، وكانت له وليدة (٥) يقال لها سمحاء ، فقالت له يوماً : يا أبا الصموت ، زعم بَنُوكَ أنك إن متَّ قَتَلُونى ، قال : ولم ؟ قالت : مالى إليهم ذنب غير حبّى لك ، فأعتِقها على أن تكون معه ، فمكث يسيراً ، ثم قالت له : يا أبا الصموت ، هذا عَرابةُ من أهل المدن يخطُبنى ، قال : أينَ هذا مما قلت لى ؟ قالت : إنَّهُ ذو مال ، وإنما أردت مالَهُ لك ،

(١) يريد بالقضاء قضاء الدين ، وبالعار فشل سيار فى إدراكه .

(٢) فاعل يسائل ضمير سيار ، الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك ، محاربيا : منسوبا إلى محارب : يعنى نفسه ، أظفار : طائفة من الكواكب ، وقوله : « أتى من نحو أظفار » كلام مسوق مساق التهكم ، وفى الأصل « احسستم » بدل « أحسستم » وهو تحريف ، والمثبت من هد ، هج .

(٣) ضمير « لهم » يعود على الناس ، الإمرار : فتل الحبل ونحوه ، النقض : ضد الفتل ، ويريد بالنقض والإمرار : المراوغة والخداع ، يريد أنى كنت أظهر نفسى للناس ، ثم أغير الطرق ، لأضلل المقتفين أثرى ، وفى هد : « وما أريتهم » بدل « وما أريت لهم » .

(٤) الأروى : إناث الوعول ، وبئر مطلب : المكان الذى نزل فيه سيار ورفقته ، والكلام مسوق مساق التهكم ، أى أنهم نزلوا بئر مطلب ، وأكلوا فيه التمر ، وجعلوا يسألون الوعول عنه ، وقد تحرق من الغيظ كل آكل تمر منهم .

(٥) وليدة : جارية .

قال : فأتنى(1) به، فأتته فزوّجه إياها، فولدت له أولاداً، وقوّته بما كانت تصيبه من الجند، وكانت تأتى الجند فى أيام، فتنصب رأسه، ثم تطلبه، فأنشأ الجند يقول :

أمسى عرابةُ ذا مال وذا ولدٍ — من مالِ جندلٍ وجندلٌ غيرُ محمود
تظل تنشده الكافورَ متكئاً — على السرير وتطلى على العُود

قال والجند هو القائل لامرأته :

من قوله لامرأته

تُعالجنى أمّ الصموت كأنما — تُداوى جماناً أوهنَ العظمَ كاسِرُه(2)
فلا تعجبى أمّ الصموت فإنّه — لكل جواد عثرةٌ هو عاثِره
وقد كنتُ أمطاد النباء مُوَطّئاً — وأضربُ رأسَ القِرن والرمحُ شاجِره(3)
فأصبحتُ مثل العشّ طارَت فراخُه — وغودر فى رأس الهشيمة سائره(4)

أولاده يرثونه حيا

فلما كبر حَمَلَهُ بنوه، فأتوا به مكة، وقالوا له : تعبّدْ هاهنا، ثم اقتسموا المال، وتركوا له منه ما يُصلِحُه، فقال :

ألا أبلغ بنى جندلٍ رسولا — وإن حالت جبالُ الغَوْرِ دُونى
فلم أرَ معشراً تركوا أباهُم — من الآفاق حيث تركتمونى
فإنى والرّوافض حول جَمْعٍ — ومحطمهنّ من صحرا الحجون(5)

(١) «فأتنى» كذا بالأصل، والقياس «فأتينى» بإثبات ياء المؤنثة.

(٢) الهاء من كاسره تعود على الجمان لا على العظم.

(٣) موطئا : منحدرا، شاجره : داخل فيه مشتبك به

(٤) الهشيمة : الشجرة البالية، سائره : باقيه.

(٥) فى هد، هج «الرواقص» بدل «الروافض» ويريد بها الإبل التى تحمل الحجيج، والواو: واو القسم، جمع : علم على المزدلفة، محطمهن : من الحطم بمعنى الازدحام، الحجون : جبل بمعلاة مكة، يقسم بجموع الحجيج المزدحمة فى المزدلفة وفى صحراء الحجون، وتتمة الكلام فى البيتين التاليين.

لو أني ذو مدافعةٍ وحولى   كما قد كنتُ أحيانًا كُونِى(1)

إذا لأتيتُكُمْ مالِي ونفسِى   بنصلِ السيفِ أو اقتلتُمونِى

وأخبرنى الحرمى بن أبى العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنا محمدُ ابن عبد الله بن عثمان البكرىّ ، عن عروة بن زيد(2) الحضرى ، عن أبيه ، قال :

يعيا وعبده حاضر البديهة

كنتُ فى ركبٍ فيهم صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الحضريين معنا ، ونحن نريد خيبر ، فنزلنا منزلا تعشَّينا فيه ، فهيّجنا إبلَ صخر ، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُزُ(3) ، ويقول :

* لقد بعثتُ حاديا قراصِفا(4) *

فردّده قِطعًا من الليل لا يُنْفِده(5) ، ولا يقول غيرَه ، ثم قال لنا : إنى نسيتُ عِقالا ، فرجع يطلبه فى المتعشَّى ، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز دَرَن بشعر صخر ، وقال :

لقد بعثتُ حاديًا قُراصِفَا   من منزلٍ رَحَلْتُ عنه آنفا

يسوق خُوصًا رجَّفًا حواجفا   مثلَ القِسِىّ تقذف المقاذفا(6)

(1) الحول : القوة ، كوني : بدل من التاء فى « كنت » والمراد كمونه لعدوه ، كى يأخذه على غرة : يقسم أنه لو بقيت له قوته وحيله فى مداورة أعدائه ما استطاع أبناؤه أن يؤذوه فى نفسه وماله ، ولو هلك فى سبيل الدفاع عنهما .

(2) فى هج : « عن محمد بن يزيد » بدل « عن عروة بن زيد » .

(3) يرجز : ينشد شعرا من الرجز .

(4) قراصفا : مسرعا .

(5) فى بعض النسخ : « شطرا من الليل » بدل « قطعا من الليل » . ضمير ينفده يعود على البيت « لقد بعثت حاديا قراصفا » وهو من مشطور الرجز ، ويريد بقوله « لا ينفده » : لا يجاوزه ينفد ؛ وينتهى لكثرة ترداده .

(6) خوصا : جمع خوصاء ، وهى الناقة ونحوها غارت عينها ، رجفا : مهتزة ، وفى هد، هج « حراجفا » بدل « حواجفا » وليس لكلتيهما من المعنى ما يناسب المقام ، فلعلها محرفة عن « خرانف » بمعنى الإبل الغزيرة ، أو « خذارف » بمعنى القطيع من الإبل .

حتى ترى الرَّبَاعِيَ العُتَارِفا من شدة السير يُزَجَّى واجفا(١)

قال : فأدركه صخر ، وهو فى ذلك ، فقال له : يا بن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتا أعيانى ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

(١) الرباعى : من ربعت الإبل : سرحت فى المرعى ، العتارف : لعله من العترفة ، وهى فى الجمل بمعنى الشدة والقوة ، والذى فى المعاجم «عتريف» و «عتروف» يزجى : يساق ، واجفا : مسرعا ، يقول : وهذا الرجز من التفاهة بحيث لا يستحق أن يغضب من أجله صخر على غلامه .

صوت

إذا سرّها أمر وفيه مساءتى   قضيتُ لها فيما تحبُّ على نفسى(1)
وما مرّ يومٌ أرتجى منه راحةً   فأذكره إلا بكيتُ على أمسى

الشعر لأبى حفصٍ الشطرنجىّ ، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

(١) فى هد ، هج «تريد» بدل «تحب» .

أخبار أبى حفص الشطرنجى ونسبه

نشأته

أبو حفص: عمر بن عبد العزيز، مولى بنى العباس، وكان أبوه من موالى المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غيّرَهُ وسمّاه عبد العزيز.

أخبرنى بذلك عمّى، عن أحمد بن الطيب، عن جماعة من موالى المهدى.

ونشأ أبو حفص فى دار المهدىّ ومع أولاد مواليه، وكان كأحدهم، وتأدّب، وكان لاعباً بالشِّطرنج مشغوفاً به، فلُقّب به لغلبته عليه.

انقطاعه إلى علية بنت المهدى

فلما مات المهدى انقطع إلى عُلية، وخرج معها لما زوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبنى أخيها من الخلفاء، فتَنتحِل(1) بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك فى أغانيها وأخبارها:

* تحبّبْ فإن الحبّ داعيةُ الحبّ *

وهو صوت مشهور لها.

يثنون عليه بأحسن الأوصاف

حدثنى الحسن بن على الخفاف، قال: حدثنى أحمد بن الطيب السَّرخَسِى قال: حدثنى السكندىّ، عن محمد بن إبراهيم البرمكىّ، قال:

رأيت أبا حفص الشّطرنجىّ الشاعر، فرأيت منه إنسانا يُلهيك حضورُه عن كل غائب، وتُسليك مجالستُهُ عن هموم المصائب، قُرْبُهُ عُرْس، وحديثُه أُنس، جِدُّه لَعِب، ولعبه

(1) تنتحله: تنسبه إلى نفسها.

جدّ، ديّن ماجد[1]، إن لابستَه على ظاهره لبستَه موموقاً لا تملّه، وإن تتبّعته لتستبطن خبرتَه وقفتَ على مُرُوّة[2] لا تطير الفواحشُ بجَنَباتها؛ وكان فيما علمته أقلّ ما فيه الشعر، وهو الذى يقول:

صوت

تحبّبْ فإنّ الحبَّ داعيةُ الحبّ ... وكم من بعيد الدار مُستوجِبِ القُرب[3]

إذا لم يكن فى الحبّ سخطٌ ولا رضاً ... فأين حلاوات الرسائل والكُتْب؟

تفكّرْ فإن حُدّثتَ أنّ أخا هوًى ... نجا سالماً فارجُ النّجاة من الكرب[4]

وأطيبُ أيامِ الهوى يومُك الذى ... تُرَوَّعُ بالتحريش فيه وبالعَتْب[5]

قال: وفى هذه الأبيات غناء لعُلَيّة بنتِ المهدىّ، وكانت تأمره أن يقول الشعر فى المعانى التى تريدها، فيقولها، وتغنى فيها.

قال: وأنشدنى لأبى حفص أيضاً:

صوت

عَرِّضَنْ للذى تُحِبّ بحبٍّ ... ثم دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ

فلعَلَّ الزّمانَ يُدْنيك منه ... إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ

(١) فى هد، هج «دين ماجن».
(٢) فى هد، هج «مروة» كما أثبتناها، وفى الأصل كتبت هكذا «مرواة» مضبوطة بكسر الميم وسكون الراء، ولم نجد لها معنى، و «مروة»: تخفيف «مروءة».
(٣) فى هج: «فإن القرب داعية الحب».
(٤) هكذا ورد فى هد، وفى الأصل: فارج النجاة من الحب.
(٥) التحريش: الحك والدلك بشدة ونحوه، وقد استعير هنا لما يحدث بين المحبين من تجن ودلال وملاحاة.

صابر الحبّ لا يصرّفك فيه من حبيبٍ تجهّمٌ وعبوسُ(1)
وأقِلّ اللجاجَ واصبر على الجهـ ـد فإن الهوى نعيمٌ وبُوسُ

فى هذه الأبيات لداودَ هزج ذكره لى جحظة وغيرُه عنه .

وأمّا قوله :

* تحبَّبْ فإن الحبّ داعية الحبّ *

فقد مضت نسبته فى أخبار عُلَيّة .

مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة

أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك ، وأخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثنى أبو العباس الكاتب ، قال :

كان الرشيد يحبّ ماردةَ جاريتَه ، وكان خلّفها بالرَّقّة ، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها ، فكتب إليها :

صوت

سلامٌ على النازح المغتربْ تحيّةَ صبٍّ به مكتئبْ
غَزالٌ مراتعُه بالبليخِ إلى دَيرِ زكّى فقصرِ الخشبْ
أيا مَنْ أعان على نفسه بتخليفه طائعاً مَنْ أحبّْ(2)
سأستر والسّترُ من شيمتى هوى من أحبّ بمَنْ لا أحبّْ(3)

(1) فى هج : « لايغرنك » بدل « لايصرفك » ، وفى المختار : « تجنّب » بدل « تجهم » ويريد الشاعر بهذا البيت ما أراده بشار بقوله :

لا يؤيسنّك من مخدّرة قول تغلّظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

(2) من فى المصراع الثانى مفعول تخليفه ، ويريد بإعانتها على نفسها أنها تسببت فى هجر الخليفة إياها .

(3) يريد أنه سيتظاهر بحب من لا يحب ليستر حبها هى فى نفسه على حد قول الشاعر :

أصانع من لاقيت فى البيت غيرها وكل هوى نفسى لمن لا أصانع

فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجيّ صاحب عُلَيَّة، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال:

أتاني كتابُك يا سيدي ... وفيه العجائبُ كلّ العجبْ
أتزعم أنّك لي عاشقٌ ... وأنك بي مُستهامٌ وصبّ
فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركني نُهْزَةً للكُرَبْ
وأنت ببغدادَ ترعى بها ... نباتَ اللّذاذةِ مَعْ مَنْ تُحِبّ
فيا مَن جفاني ولم أجفُه ... ويا مَن شجاني بما في الكتبْ
كتابُك قد زادني صبوةً ... وأسعرَ قلبي بحرّ اللهبْ
فهَبْنِي نعَمْ قد كتمتُ الهوى ... فكيف بكتمانِ دمعٍ سَرَبْ
ولولا اتقاؤك يا سيدي ... لوافتك بي النّاجياتُ النُّجُبْ[1]

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد، حتى حَدَرَها[2] إلى بغداد في الفرات، وأمر المغنين جميعاً، فغنَّوْا في شعره.

قال الأصبهاني: فممّن غنّى فيه إبراهيم الموصليّ؛ غنى فيه لحنَيْن، أحدهما ماخوريّ، والآخر ثاني ثقيل عن الهشامي. وغنى يحيى بن سعد[3] بن بكر بن صغير العين فيه رملا. ولابن جامع فيه رمل بالبنصر، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى، وللملّي خفيف رمل بالوسطى، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامي، وقال: كان المختار من هذه الألحان كلها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم.

(١) الناجيات النجب: الإبل الأصيلة السريعة.
(٢) حدر الشيء: دحرجه من علو إلى أسفل، والمراد هنا أنه استقدمها من الرقة.
(٣) في هد، هج: «يحيى بن صفر».

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب، قال:

يصالح بين الرشيد وعلية بأبياته

حدثني محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني جماعة من كُتّاب السلطان: أن الرشيد غضب على عُلَيّة بنت المهدي، فأمرت أبا حفص الشِّطْرنجيّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد، ويسأله الرضا عنها، فيستعطفه لها فقال:

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحبَه ... من أن يكون له ذنبٌ إلى أحدِ
كانت عُلَيّةُ أبرا الناس كلِّهمُ ... من أن تُكافَا بسوءٍ آخرَ الأبدِ(1)
مالي إذا غِبْتُ لم أُذكَر بواحدةٍ ... وإن سَقِمْتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ(2)
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه ... قد كنتُ أحسبُ أني قد ملأتُ يدي(3)

فأتاها بالأبيات، فاستحسنتها، وغنت فيها، وألقت الغناء على جماعة من جواري الرشيد، فغنَّيْنَه إيّاه في أول مجلس جلس فيه معهن، فطرِبَ طرباً شديداً، وسألهن عن القصة، فأخبرنه بها، فبعث إليها، فحضرت، فقبّل رأسها، واعتذرت، فقَبِل عُذرَها، وسألها إعادةَ الصوت، فأعادته عليه، فبكى، وقال: لاجرم أني لا أغضب أبداً عليك ما عشت.

بيتان في دنانير بمائتي دينار

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا الحسين بن يحيى، عن عمرو بن بانة، قال:

دخل أبو حفص الشِّطْرنجيّ على يحيى بن خالد، وعنده ابن جامع، وهو يلقي على

(1) أبرا: كذا في هد، وهج والمختار من البراءة، وفي النسخ: أربى. تكافا: من المكافأة وبالتخفيف أيضا.

(2) هذا البيت منقول من هد والمختار وساقط من الأصل، وقولها: «بواحدة» تعني بواحدة من الذكريات.

(3) تريد بملء اليد الثقة بمودة الرشيد.

دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبى حفص : قل فى دنانير بيتين يُغنّى فيهما ابنُ جامع ، ولك بكل بيت مائة دينار(1) إن جاءت كما أريد ، فقال أبو حفص :

٧٢
١٩

صوت

أشبهَكِ المسكُ وأشبهتِهِ ... قائمةً فى لونه قاعدَه
لاشكَّ إذْ لونُكما واحدٌ ... أنكما من طينةٍ واحدَه

قال : فأمر له يحيى بمائة دينار ، وغنى فيهما ابنُ جامع .

قال الأصبهانى : لحن ابن جامع فى هذين البيتين هزج .

أخبرنى جعفر بن قدامة ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

صديق حميم لأسرة الخلافة

كان أبو حفص الشِّطرنجىّ ينادم أبا عيسى بنَ الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته ، وكذلك بعُلَيَّة عمّتهم ، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به ، فمرض ، فعادوه جميعاً سوى أبى عيسى فكتب إليه :

يعاتب ابن الرشيد لأنه لم يعده فى مرضه

إخاءُ أبى عيسى إخاءُ ابنِ ضَرَّةٍ ... ووُدِّىَ وُدٌّ لابنِ أمٍّ ووالدِ(2)
ألمْ يأته أنّ التأدّبَ نِسبةٌ ... تلاصق أهواءَ الرجالِ الأباعدِ
فما بالُه مُستعذِباً من جفائنا ... مواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ
أقمتُ ثلاثاً حِلْفَ حُمَّى مُضِرَّةٍ ... فلم أرَه فى أهل ودّى وعائدى
[illegible]لام هى الدنيا قروضٌ وإنما ... أخوكَ مُديمُ الوصلِ عندَ الشدائد

(١) فى هج : « ولك بكل بيت ديناران » .

(٢) فى هج : « وودى له ود ابن أم ووالد » ، وكلتا الروايتين سليمتان .

نقد الرشيد له

حدثنى جعفر بن الحسين ، قال : حدثنى ميمون بن هارون ، قال : حدثنا أبى عن أبى حفص الشطرنجى : قال :

قال لى الرشيد يوماً : يا حبيبى ، لقد أحسنت ما شئت فى بيتين قلتهما ، قلت : ما هما يا سيدى ؟ فمن شرفهما استحسانك لهما ، فقال : قولك :

صـوت

لم ألقَ ذا شَجَن يبوح بحُبِّه ٭ إلا حَسِبتُك ذلك المحبوبَا
حذرًا عليك وإننى بك واثقٌ ٭ ألَّا ينالَ سواىَ منكِ نصيبَا

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ليسا لى ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقْتَ والله أعجبُ إلىّ ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول : ٢

إذا سرّها أمرٌ وفيه مساءتى ٭ قضيتُ لها فيما تريد على نفسى
وما مرّ يوم أرتجِى فيه راحةً ٭ فأذكُرَه إلا بكيتُ على أمسِى

فى البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلى ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشامى ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفى أبيات أبى حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس .

ينعى نفسه قبل أن يموت

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنى الحسين بن يحيى ، قال : حدثنى عبد الله ابن الفضل ، قال :

دخلت على أبى حفص الشّطرنجى شاعرِ عُلَيّة بنتِ المهدىّ أعوده فى علته التى مات فيها ، قال : فجلست عنده فأنشدنى لنفسه :

صوت

نعى لك ظلَّ الشباب المشيبُ ... ونادتك باسم سواك الخطوبُ (١)

فكن مستعدًّا لداعى الفناء ... فإن الذى هو آتٍ قريبُ ٧٣

ألسنا نرى شهوات النفو ... س تفنى وتبقى علينا الذنوبُ ١٩

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ

يخاف على نفسه من يتوبُ ... فكيف ترى حال من لا يتوب؟

غنى فى الأول والثانى إبراهيم هزجا.

انقضت أخباره.

(١) يريد بمناداة الخطوب إياه باسم سواه أن موت لداته نذير موته.

صوت

أبى القلبُ لِيَ أن يذهبْ ... ونيطا الطرفُ بالكوكبْ
ونجمٍ دونه النسرا ... نِ بين الدَّلْوِ والعقربْ(١)
وهذا الصبحُ لا يَأتِي ... ولا يدنو ولا يَقْرُبْ

الشعر لأميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى.

تسرق لحن إسحاق وهو سكران

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوي، قالا: حدثنا محمد بن حماد، قال: التقيتُ مع دِمَنَ جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلي يوما، فقلت لها: أسمعيني شيئاً أخذتِه من إسحاق، فقالت: والله ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتا قط (٢ ولا ألقى علينا شيئاً قط٢) وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويه ووجه القرعة الخزاعيّ وجواري الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون(٣) من أغانيهم، وأما عنه فما أخذت شيئاً قط إلا ليلة، فإنه انصرف من عند المعتصم، وهو سكران، فقال للخادم القيّم على حُرَمه: جئني بدِمَن، فجاءني الخادم، فدعاني، فخرجت معه، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه، وهو يصنع في هذا الشعر:

أبى القلبُ لِيَ أن يَذْهَبْ ... ونيطا الطَّرْفُ بالكوكبْ

وهو يتزايد فيه، ويقومه، حتى استوى له، ثم قام إلى عُودٍ مصلحٍ معلّق كان يكون في بيت منامه، فأخذه، فغنى الصوت، حتى صحَّ له، واستقام عليه، وأخذته عنه، فلما

(١) النسران: مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية، والدلو والعقرب: برجان من بروج السماء.

(٢ – ٢) ما بين القوسين تكملة من هد.

(٣) في هد، هج «ما يختاره».

فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقالت : هو ذا[1] أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أنتِ هاهنا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدِك ، فقال : خذى العود ، فغنيه ، فأخذته ، فغنيته ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً ، ثم قال : قد بقى عليك فيه شىء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقالت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلِحه لنفسك ، فاضطجع فى فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أياما إذا رآنى قطّب[2] وجهه .

وهذا الشعر تقوله أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثى به من قُتِلَ فى حروب الفِجار[3] من قريش .

(١) كذا فى النسخ ، والقياس « هى ذى أنا » بدل « هو ذا أنا » وربما صح أن يكون : هو ضمير الشان .

(٢) فى هد ، هج : « قطب فى وجهى » بدل « قطب وجهه » والظاهر أن سبب هذا التقطيب أخذها اللحن عنه دون أن يشعر .

(٣) الفجار – بكسر الفاء – جمع فجرة ، وإنما سميت بذلك لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، ولأن قيسا لما انهزمت فيها قالت : « قد فجرنا » .

ذكر الخبر فى حروب الفجار و حروب عكاظ

ونسب أمية بن عبد شمس

نسب أمية

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها تفخَر(١) بنت عبيد بن رواس بن كلاب، وكانت عند حارثة بن الأوقص(٢) بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمى، فولدت له أميةَ بنَ حارثة.

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان فى أربعة أعوام متواليات، ولم يكن لقريش فى أولها مَدْخَل، ثم التحقت بها.

فأما الفِجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، ولم تسمَّ باسم لشهرتها(٣).

وأما الفِجار الثانى فإنه كان أعظمها؛ لأنهم استحلوا فيه الحرم، وكانت أيامه ٧٤
يوم نخلة، وهو الذى لم يشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وشهد سائرها، وكان ١٩
الرؤساء فيه حربَ بن أمية فى القلب، وعبدَ الله بن جُدْعان، وهشام بن المُغيرة فى المجنّبتين ثم يوم شمطة(٤)، ثم يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ، ثم يوم الحرة.

الشرارة الأولى فى حرب الفجار

قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغفارى أحد بنى غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلا منيعا مستطيلا بمنعته على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ، وقعد فيه وجعل يَبذخ(٥) على الناس ويقول:

نحن بنو مدركةَ بنِ خِنْدِف ... مَن يطعنوا فى عينه لا يَطْرِف(٦)

(١) فى هد، هج: «هجر» بدل «تفخر».
(٢) فى هج: «الأرقم» بدل «الأوقص».
(٣) فى الأصل «تشهر بها» وهو تحريف «لشهرتها» والمثبت من هج.
(٤) فى هد: «سمطة»، وفى هج «سمخلة» بدل «شمطة».
(٥) يبذخ: يفخر، ويغالى فى فخره، وفى ب «يبرح» وفى هد «يبزخ» وكلاهما تحريف.
(٦) لا يطرف: من طرف البصر: تحرك جفناه.

ومَنْ يكونوا قومه يُغطرف كأنهم لُجّةُ بحرٍ مُسْدِفِ(1)

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه، يقول: أنا أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزُّ منى فليضرب هذه(2) بالسيف، فهو أعز منى، فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية، يقال له الأحمر(3) ابن مازن بن أوس بن النابغة، فضربه بالسيف على ركبته، فأَنْدَرَها(4)، ثم قال: خذها إليك أيها المخندِف، وهو ماسك(5) سيفه، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ، فقال:

أنا ابن هَمْدَانَ ذوى التَّغطرفِ بحرٌ بحورٍ زاخرٌ لم يُنْزَفِ(6)

نحن ضربنا ركبةَ المخندِفِ إذ مدّها فى أشهر المُعَرَّفِ(7)

وفى هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها.

اليوم الثانى من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثانى من أيام الفِجار الأول، وكان السبب فى ذلك أن شبابا من قريش وبنى كنانة كانوا ذوى غرام، فرأوا امرأة من بنى عامرٍ جميلةً وسيمةً، وهى جالسة بسوق عكاظ فى درع وهى فُضُل(8) عليها برقع لها، وقد اكتنفها شباب من العرب، وهى تحدثهم، فجاء الشباب من بنى كنانة وقريش، فأطافوا بها، وسألوها أن تُسفِر، فأبت، فقام أحدهم، فجلس خلفها، وحل طرف ردائها(9)، وشدّهُ إلى فوق

(1) يغطرف: من الغطرفة بمعنى التيه والخيلاء، مسدف: من الإسداف بمعنى الظلام، وذلك كناية عن كثرة الامواج.

(2) هذه: إشارة إلى رجليه، والعرب كثيرا ما تعيد الضمير على المثنى مفردا فى مثل يدين وعينين ورجلين.

(3) فى بعض النسخ: «الأحيمر» بالتصغير بدل الأحمر.

(4) أندرها: أسقطها، وقطعها.

(5) كذا فى النسخ، والمسموع ممسك سيفه، أو ماسك بسيفه.

(6) الشعر من الرجز — وفى هد، هج «أنا أبو الدهقان ذو التغطرف» ولا يستقيم الوزن، والتغطرف: التيه والخيلاء، لم ينزف: لم ينضب ماؤه.

(7) فى أشهر المعرف: فى أشهر الوقوف بعرفات.

(8) فضل: يقال: امرأة فضل — بضمتين — أى مختالة تسبل من فضل ردائها.

(9) فى هد، هج: «طرف درعها».

حُجْزَتِها(١) بشوكة ، وهى لا تعلم ، فلما قامت انكشفت درعها عن دبرها ، فضحكوا ، وقالوا : منعتِنا النظر إلى وجهك ، وجُدْتِ لنا بالنظر إلى دبرك ، فنادت : يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسطها حربُ بنُ أمية ، واحتمل دماء القوم ، وأرْضَى بنى عامر من مُثْلَةِ(٢) صاحبتهم .

اليوم الثالث من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثالث من الفِجار الأول ، وكان سببه أنَّه كان لرجل من بنى جُشَم ابن بكر بن هوازنَ دَيْن على رجل من بنى كنانة فلواه(٣) به ، وطال اقتضاؤه إياه ، فلم يُعطِه شيئاً ، فلما أعياه ، وافاه الجشمى فى سوق عكاظ بقِرْدٍ ، ثم جعل ينادى : من يبيعنى مثل هذا الرُّبّاح(٤) بما لِىَ على فلان بن فلان الكنانى ؟ من يعطينى مثل هذا بما لِىَ على فلان بن فلان الكنانى ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلما طال نداؤه بذلك وتعييرُه به كنانةَ مرّ به رجل منهم فضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشمىّ : يا آل هوازنَ ، وهتف الكنانىّ : يا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلَى ، ثم كفوا ، وقالوا : أفى رُبّاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ؟ وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك فى ماله بين الفريقين .

اليوم الأول من أيام الفجار الثانى

٧٥
١٩

قال : ثم كان يوم الفِجار الثانى ، وأول يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ست وعشرون سنة ، وشهد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم مع قومه ، وله أربعَ عشْرةَ سنةً ، وكان يناول عمومتَه النَّبل ، هذا قول أبى عبيدة . وقال غيره : بل شهِدَها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

قال أبو عُبيدة : كان الذى هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخرَ ، أن البراض بن قيس بن رافع ، أحَد بنى ضَمْرةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سِكِّيراً فاسقاً ، خلعه

(١) الحجزة : معقد تكة السراويل ، وفى هج : « فوق عجزها » بدل « فوق حجزتها » .
(٢) من مثلة صاحبتهم : من تنكيلهم وتمثيلهم بها .
(٣) لواه : ماطله .
(٤) الرباح : الذكر من القرود .

قومُه ، وتبرءوا منه فشرب فى بنى الدِّيل ، فطردوه ، فأتى مكة ، وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أمية ، فحالفه فأحسن حَرْبٌ جِواره ، وشرب بمكة ، حتى همّ حربٌ أن يخلعه ، فقال لحرب : إنه لم يبق أحد ، ممن يعرفنى إلّا خلعنى سواك ، وإنك إن خلعتنى لم ينظر إلىّ أحد بعدك ، فدعنى على حِلْفِك ، وأنا خارج عنك ، فتركه . وخرج ، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

من يجيز اللطيمة للنعمان

وكان النعمان يبعث إلى سوق عكاظ فى وقتها بلطيمة[1] يُجيزُها له سيّدُ مُضَر ، فتباع ، ويُشترى له بثمنها الأدَمُ والحريرُ والوِكاء والحِذَاءُ والبرُودُ من العصب[2] والوشى والمُسَيَّر[3] والعَدَنى[4] ، وكانت سوق عكاظ فى أول ذى القعدة ، فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج ، وكان قيامها فيما بين النخلة[5] والطائف عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النعمان لطيمة له ، وقال : من يجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أجيزها على بنى كِنانة ، فقال النعمان : إنما أريد رجلا يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرحال[6] بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ رجل من هوازن : أنا أجيزها — أبيت اللعن — فقال له البراض : مِن[7] بنى كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى الناس جميعاً أفكلبٌ خليع يجيزها[8] ! .

البراض يقتل عروة

قال : ثم شخص بها ، وشخص البرّاض ، وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ، حتى إذا كان بين ظَهْرَىْ غطفان إلى جانب فَدَك ، بأرض يقال لها أُوارةُ قريب من

(١) اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .

(٢) كذا فى النسخ ، ولعل «العصب» تحريف «القصب» بالقاف لا بالعين ، وهو ثياب رقيقة منسوجة من الكتان .

(٣) المسير : ثوب به خطوط من القز والحرير ونحو ذلك .

(٤) العدنى ، لعله نوع من عروض التجارة ينسب إلى عدن .

(٥) فى هد ، هج : « نخلة » بدون أداة التعريف .

(٦) فى هج : « عروة الرجال » بالجيم لا بالحاء .

(٧) فى هد ، هج : « وعلى بنى كنانة تجيزها يا عروة ؟ »

(٨) يقصد بالكلب البراض نفسه .

الوادى الذى يقال له تَيْمَنُ نام عروة فى ظلّ شجرة ، ووجد البرّاضُ غفلتَه ، فقتله وهرب فى عضاريط(١) الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض فى ذلك :

وداهيةٍ يُهال الناسُ منها ... شددتُ لها بنى بكر ضلوعى(٢)
هتكتُ بها بيوتَ بنى كلاب ... وأرضعتُ الموالى بالضروع(٣)
جمعتُ لها يدىَّ بنصل سيفٍ ... أفلّ تخرَّ كالجِذع الصّريع(٤)

وقال أيضاً فى ذلك :

نقمتُ على المرء الكلابىّ فخرَه ... وكنتُ قديماً لا أُقِرُّ فخارا
علوتُ بحدّ السيف مفرقَ رأسه ... فأسمع أهلَ الواديين خُوارا

قال : وأمُّ عروة الرحّال نُفَيْرَةُ بنت أبى ربيعة بن نَهِيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه :

فأبلغْ إن عرضتَ بنى نُمَيْرٍ ... وأخوالَ القتيل بنى هِلالِ
بأنّ الوافدَ الرحّالَ أضحى ... مقيما عند تَيْمَنَ ذى الظِّلالِ(٥)

قال أبو عبيدة : فحدثنى أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقى البرّاضُ بشرَ بن أبى خازم ، فقال له : هذه القلائص لك على أن تأتى حربَ بن أمية وعبدَ الله بن جُدْعانَ وهِشاماً والوليد ابنى المغيرة ، فتخبرَهم أن البرّاض قتل عروة ، فإنى أخاف أن يسبق الخبرُ إلى

(١) العضاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .
(٢) بنى بكر : منادى ، ضلوعى : مفعول « شددت » ، وقد يصح اعتبار بنى بكر مفعول « شددت » وعليه تكون « ضلوعى » بدلا من بنى بكر ، بمعنى أنصارى وأعوانى .
(٣) فى ب : الرضوع ، تحريف « الضروع » ، كما فى هج ، له ، والمراد أنى بهذه الداهية أو هتكت بنى كلاب ، وأرضعت قومى لبان المجد والفخار من ضروعها .
(٤) لها : للداهية ، وفى نسخة « له » أى لعروة القتيل ، أفل : به فلول من كثرة الصراع .
(٥) يريد بقوله : « مقيما » أنه دفين هناك .

٧٦ ١٩ قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلا من قومك عظيما . فقال له : وَمَا يؤمنك أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طريداً من بنى ضَمْرَةَ ، قال : ومرّ بهما الحُلَيْسُ بنُ يزيدَ أحدُ بنى الحارث بن عبد مناةَ بن كِنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأَحابيش من بنى كنانة . والأَحابيشُ(١) من بنى الحارث بن عبد مناة ابن كنانة وهو نُفَاثة بن الدِّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أُثيع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل(٢) بن دَمَس بن محلِّم بن عائذ(٣) بن أُثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بنى بكر بن عبد مناة ، فقال لهم(٤) الحليس : مالى أراكم نَجِيًّا(٥) ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكتموا الخبر على اتفاق منهم .

وفاء ابن جدعان

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ ، وأخبروا حربَ بن أمية وهشاما والوليد ابنى المغيرة ، فجاء حرب إلى عبد الله بن جُدْعان ، فقال له : احتبس(٦) قِبَلك سلاح هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أبِالغَدْرِ تأمرنى يا حرب ؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيفٌ إلا ضُرِبتُ به ، ولا رمحٌ إلا طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً(٧) ، ولكن لكم

(١) ليس قوله والأحابيش عطفا على ما قبله ، بل هو كلام مستأنف ، وسموا بذلك لأنهم تحالفوا على أن يكونوا يدا على من سواهم ما أقام حبشى ، وهو جبل معروف .

(٢) فى هد ، هج : « وعقيل بن دلس » بدل « وعضل بن دمس » .

(٣) فى هد : « محلم بن عائدة » بدل « محلم بن عائذ » .

(٤) كان السياق يقتضى أن يقول « لهما » بدل « لهم » لأن الحليس إنما يخاطب البراض وبشر ابن أبى خازم فلعله أنزل الاثنين منزلة الجمع .

(٥) نجيا : فعيلا من النجوى : بمعنى متناجين ، أى مختلين فى حديث سرى .

(٦) إنما طلب ذلك إليه حتى لا تطالب هوازن بدم عروة .

(٧) نقول : وهذا مثل من أمثلة الوفاء العربى ، يفطى على ما ينسب إلى السموأل بن عادياء اليهودى .

مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف ، فى مالى تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدْعان فى الناس : مَن كان له قِبَلى سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أسلحتهم .

يخدعون هوازن فلا تجدى الخديعة

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أميَّة وهشامٌ والوليدُ إلى أبى بَرَاء[1] : إنه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خفنا تفاقم الأمر ، فلا تنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكة ، فلما كان آخرَ النهار بلغ أبابراء قتلُ البراض عُرْوَة ، فقال: خدعنى حربٌ وابنُ جُدعان ، وركب فيمَن حضر عكاظ من هوازن فى أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم ، وجنّ عليهم الليل، فكفّوا، ونادى الأَدْرَمُ بن شعيب، أحَدُ بنى عامر ابن ربيعة بن صعصعة : يامعشر قريش، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة[2] من العام المقبل بعكاظ، وكان يومئذ رؤساء قريش حربُ بن أميَّة فى القلب، وابنُ جُدعان فى إحدى المجنبتين ، وهشامُ ابنُ المغيرة فى الأخرى، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك، ملاعب الأسنَّة على بنى عامر ، وكدّامُ بن عُمَير على فَهْم وعدوان ، ومسعودُ بن سهم على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصرى[3] على بنى نصر بن معاوية ، والصِّمَّةُ بن الحارث ، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصمة على بنى جُشَم ، وكانت الراية مع حرب بن أميَّة ، وهى راية قُصَىّ التى يقال لها العُقاب .

شعر خداش بن زهير فى هذه الحرب

فقال فى ذلك خِدَاشُ بن زهير :

يا شدَّةً ما شددْنا غيرَ كاذبةٍ على سخينةَ لولا الليلُ والحَرَم[4]

(١) يبدو من سياق الحديث أن أبا براء هذا كان صاحب رأى فى هوازن .

(٢) فى هد ، هج : « هذه الليالى » .

(٣) فى هد : « النضرى » بالضاد المعجمة .

(٤) الشدة : يريد بها الهجوم ، ماشددنا : ما شددناها ، سخينة : لقب يطلق على قريش ، وهو فى الأصل طعام كانت تتخذه ، فأطلق عليها ، يريد أننا هجمنا على قريش هجمة صادقة ، فلم ينقذها من أيدينا إلا هجوم الليل واحتماؤها بالحرم .

إذ يتّقينا هشامٌ بالوليد ولو ... أنّا ثقِفنا هشاماً شالت الخدَم(١)
بين الأراكِ وبين المرج نبطحهم ... زُرقُ الأسنّة فى أطرافها السُّهُمُ(٢)
فإن سمعتم بجيش سالكٍ سَرِفاً ... وبطنَ مُرّ فأخفوا الجرس واكتتموا(٣)

عبدالملك يستنشد شعر خداش

وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلا من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد(٤) عن قوله : « سخينة » ، فقال عبد الملك : إنا قوم لم يزل يعجبنا السُّخن ، فهات ، فلما فرغ قال : يا أخا قيس ، ما أرى صاحبك زاد على التمنى والاستنشاء(٥) .

البراض يقدم باللطيمة

٧٧
١٩
قال: وقَدِمَ البرّاض باللطيمة مكّةَ ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوّح بن يعمُرَ الكنانىُّ نازلا فى أخواله من بنى نُمَيْر بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمّت بنو كلاب بقتله ، فمنعته بنو نمير ، ثم شخصوا به حتى نزل فى قومه ، واستغوَتْ(٦) كنانةُ بنى أسد وبنى نمير(٧) واستغاثوا بهم ، فلم تغثْهم ، ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحيّين .

(١) هشام : هو هشام بن المغيرة ، والوليد : هو أخوه ، ويريد بذلك أن الدائرة كانت على قريش ، حتى كان أحدهم يتقى الموت بأخيه ليقتل بدله ، ثقفه : أدركه ، شالت : ارتفعت ، الخدم : جمع خدمة ، وهى الحلقة المحكمة ، وجملة « شالت الخدم » كناية عن الهزيمة ، يقال : فض الله خدمتهم : فرق جمعهم .

(٢) السهم – بضم السين والهاء – الحرارة الغالبة ، يريد أننا كنا نبطحهم بطعن الأسنة الزرقاء الحامية الاطراف بين هذين المكانين .

(٣) سرف ، وبطن مر : مكانان ، يريد أنهم ينبغى عليهم حين يغزون بجيشهم أن يختفوا عن العيون ، ويكفوا عن الهمس ، حتى لا يعرف مكانهم .

(٤) ظاهر أن القيسى كان يحيد عن قوله « سخينة » لأنها لقب على قريش ، والخليفة من قريش .

(٥) استنشاء : طلب إنشاء الشئ ، وعبارة عبد الملك لا تخلو من غموض ، فالشعر صريح فى هزيمة قريش ، واستنصار أعدائهم عليهم ، فما معنى قوله : ما أرى صاحبك زاد على التمنى والاستنشاء ، لعله أراد بذلك التمنى قول خداش : « ولو أنا ثقفنا هشاما شالت النعم » . ومعروف أن «لو» حرف امتناع لامتناع .

(٦) استغوت كنانة بنى أسد : جروهم إلى الحرب ، وفى ب « استغوث » بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف .

(٧) فى هد : « وبنى تميم » .

اليوم الثانى من الفجار الثانى

ثم كان اليوم الثانى من الفِجار الثانى؛ وهو يوم شَمْطة، فتجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة، والأحابيش، وأعطت قريشٌ رؤوسَ القبائل أسلحةً تامّةً (١وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة١) وأداة، وجمعت هوازن، وخرجت، فلم تخرج معهم كلابٌ ولا كعبٌ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يومَ نخلة مع أبى براء عامرِ بن مالك، وكان القوم جميعا متساندين، على كل قبيلة سيّدُهم.

قوّاد قريش ومن معهم

فكان على بنى هاشم وبنى المطلب ولِفّهم(٢) الزبيرُ بن عبد المطلب، ومعهم النبى صلى الله عليه وسلم، إلا أن بنى المطلب — وإن كانوا مع بنى هاشم — كان يرأسهم الزبيرُ بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف، وأمّ الزّبير الشّفّاء بنت هاشم بن عبدمناف، وكان على بنى عبد شمس ولِفّها حربُ بن أمية ومعه أخواه أبو سُفين(٣) وسفيان، ومعهم بنو نوفلِ بن عبد مناف، يرأسهم بعدحرب مُطعمُ بن عدىّ بن نوفل، وكان على بنى عبد الدار ولِفّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث، وكان على بنى زُهرةَ ولِفّها مَخرمةُ بنُ نوفل بن وهيب ابن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان، وكان على بنى تيم بن مرة ولِفّها عبدُ الله ابنُ جُدْعان، وعلى بنى مخزوم هشامُ بن المغيرة، وعلى بنى سَهمٍ العاصى بن وائل، وعلى بنى جُمَح ولِفّها أميّةُ بن خلف، وعلى بنى عدىٍّ زيدُ بن عمرو بن نفيل، والخطابُ ابن نفيل عمّه، وعلى بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو سُهَيلِ ابن عمرو، وعلى بنى الحارث بن فِهْر عبدُ الله بن الجرّاح أبو أبى عبيدة عامر

(١-١) تكملة من هد.
(٢) اللف: الجماعة والأخلاط من الناس.
(٣) فى بعض النسخ: «أبو سفيان».

قوّاد هوازن ومن معهم

ابنِ عبد الله بن الجراح ، وعلى بنى بكر بَلْعَاءُ بن قيس ، ومات فى تلك الأيام ، وكان جثّامة بن قيس أخوه مكانَه ، وعلى الأحابيش الْحُلَيسُ بن يزيد .

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطيةُ بن عفيف النَّصْرىّ على بنى نصر ابن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أسماء بن الضّريبة ، وكان الخُنيسق الجشمى على بنى جُشَم وسعدِ ابنى بكر ، وكان وهب بن مُعَتّب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بنى عامر بن ربيعة وحلفائهم من بنى جسر بن محارب سلمةُ ابن إسماعيل[1] : أحد بنى البكّاء ، ومعه خالد بن هوذَةَ : أحدُ بنى الحارث بن ربيعة ، وعلى بنى هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبى ظبيان بن ربيعة بن أبى ربيعة ابن نُهيك بن هلال بن عامر .

هوازن تسبق قريشا وترجح كفتها

قال : فسبقت هوازنُ قريشا ، فنزلت شَمْظَة من عكاظ ، وظنوا أن كنانة لم توافهم[2] ، وأقبلت قريش ، فنزلت من دون المسيل ، وجعل حربٌ بنى كنانة فى بطن الوادى ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أبيحت[3] قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أبو عبيدة : فحدثنى أبو عمرو بنُ العلاء : قال :

كان ابن جُدعان فى إحدى المجنّبتين ، وفى الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب فى القلب ، وكانت الدائرة فى أول النهار لكنانة ، فلما كان آخر النّهار تداعت[4] هوازن ، وصبروا واستحرّ[5] القتل فى قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة

(١) فى هد ، هج : « سلمة بن يعلى » .
(٢) فى هد ، هج : « لن توافيهم» بدل « لم توافهم » ، وفى نسخة أخرى : « ظنوا أن كنانة توافيهم » وكلها معان محتملة .
(٣) ولو أبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .
(٤) تداعت : دعا بعضها بعضا .
(٥) استحر : صار حارا شديدا .

٧٨
١٩ — وهم فى بطن الوادى مالوا إلى قريش، وتركوا مكانهم، فلما استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه: ألحقو برَخَم — وهو جبل — ففعلوا، وانهزم الناس.

الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر هذه الحرب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصير فى فئة إلا انهزم من يحاذيها[1]، فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان: ألا ترون إلى هذا الغلام ما يَحمِل على فئة إلا انهزمت؟

خداش يسجل المعركة بشعره

وفى ذلك يقول خِداشُ بن زهير فى كلمة له:

فأبلغ إن عرضْتَ بنا هِشاما ... وعبدَ الله أبلغْ والوَليدا
أولئك إن يكن فى الناس خيرٌ ... فإن لديهمُ حَسَبًا وجُودا
همُ خير المعاشرِ من قريشٍ ... وأوْرَاها إذا قُدِحت زُنودا
بأنّا يومَ شَمْطةَ قد أقمنا ... عمودَ المجدِ إنّ له عمودا
جلَبْنا الخيلَ ساهمةً إليهم ... عوابسَ يدَّرِعْنَ النقعَ قودا[2]
فبِتْنا نعقِدُ السِّيما وباتوا ... وقلنا: صبِّحوا الأنسَ الحديدا[3]
فجاءُوا عارضا بَرِدًا وجئنا ... كما أضرمتَ فى الغاب الوقودا[4]
ونادوا: يا لعمرٍو لا تفرّوا ... فقلنا: لا فِرارَ ولا صُدُودَا

(١) فى هج: «من يحاربها» بالراء لا بالذال، وكلاهما سديد.
(٢) ساهمة: ضامرة، يدرعن النقع: يلبسن الغبار درعا، قودا: جمع أقود، وهو السلس القياد، أو الطويل العنق والظهر.
(٣) صبحوا القوم الحديد: اسقوهم فى الصباح الحديد بدل اللبن أو الخمر.
(٤) العارض: السحاب، البرد: ذو البرد — بفتح الراء — وهو ماء يتساقط متجمدا من السماء على شكل حبيبات صغيرة.

قوله : نمتها السيما أى العلامات :

فَعارَكْنا الكُماةَ وعاركونا عِراكَ النُّمْر عاركتِ الأسودا[1]

فولَّوْا نضْربُ الهاماتِ منهم بما انتهكوا المحارِمَ والحدُودا

تركنا بطن شَمْظَةَ من علاء كأنّ خلالها معزًا[2] شريدا

ولم أرَ مثلَهم هُزِموا وفُلُّوا ولا كذِيادِنا عَنَقًا مذودا[3]

قوله : يا لعمرو ، يعنى عمرَو بن عامرِ بنِ ربيعة بنِ عامرِ بن صعصعة .

اليوم الثالث يوم العبلاء

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار ، وهو يوم العَبْلاء ، فجمع القوم بعضهم لبعض ، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعَبْلاء — وهو موضع قريب من عكاظ — ورؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شَمْظَةَ ، وكذلك مَنْ كان على المجنّبتين ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت كنانة ، فقال خداشُ بن زهير فى ذلك :

خداش بن زهير فى التسجيل بشعره

ألم يبلغك بالعبلاء أنّا ضَرَبْنا خِنْدِفاً حتى استقادوا[4]

نُبَنِّى بالمنازل عِزَّ قيسٍ وودُّوا لو تَسِيخُ بنا البلادُ[5]

وقال أيضا :

ألم يبلغك ما لاقت قريشٌ وحىٌّ بنى كنانة إذ أُبيرُوا

(١) النمر : ككتف : ضرب من السباع ، والجمع أنمر وأنمار ونمر ونمر ونمار ، وأكثر كلام العرب نمر كقفل جمع نمر .

(٢) معز — بفتح العين أو سكونها ، أو معزى — بكسر الميم وسكون العين — كما فى بعض النسخ ، كل هذا بمعنى واحد .

(٣) فلوا : ضعفوا وانهزموا ، وفى رواية : «قلوا» بالقاف المثناة ، والمعنى متقارب ، ذياد : مصدر ذاد : دفع وصد ، العنق : الجماعة من الناس ، يقول : لم أر مثلهم فى الشجاعة انهزموا ، ولم أر مثل صدنا لجموعهم وتغلبنا عليهم .

(٤) استقادوا : انقادوا ، وخضعوا .

(٥) نبنى : مضعفة ، «بنى» بالتخفيف ، تسيخ بنا البلاد : تنخسف .

دهمناهم بأرعنَ مكفهرٍّ فظلّ لنا بعَقْوتهم زئير(١)

نقوّمُ مارنَ الخطّيّ فيهم يجيء على أسنّتنا الجزير(٢)

اليوم الرابع يوم عكاظ

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم، يوم عُكاظَ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس
الحول، وقد جمع بعضهم لبعض، واحتشدوا، والرؤساء بحالهم، وحمل عبد الله

العنابس من أولاد أمية

ابن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير. وخشيت قريش أن يجرىَ
عليها مثلُ ما جرى يومَ العَبْلاء، فقيّد حربٌ وسفيانُ(٣) وأبو سفيان بنو أمية(٤)
ابنِ عبد شمس أنفسهم، وقالوا: لا نبرح حتى نموتَ مكاننا، وعلى أبي سفيان يومئذ ٧٩
دِرعانِ قد ظاهر بينهما(٥)، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان بن أمية خاصة ١٩
قيّد نفسه، فسُمّي هؤلاء الثلاثةُ يومئذ: العَنَابِس وهي الأُسودُ واحدها عَنْبَسَةٌ —
فاقتتل الناس يومئذ قتالا شديدا، وثبَتَ الفريقان، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناةَ
وسائرُ بطون كنانة بالهرب، وكانت بنو مخزوم تَلِي كِنانة، فحافظت حفاظا
شديدا، وكان أشدَّهم يومئذ بَنُو المغيرة، فإنهم صَبَرُوا، وأبلَوْا بلاء حسنا، فلما رأت
ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا(٦) فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول:

---

(١) أرعن. يقال: جيش أرعن: عظيم جرار، العقوة: المكان المتسع أمام المحلة.

(٢) مارن الخطى: الرماح اللدنة، الجزير: فعيل بمعنى مفعول من الجزر، وفي رواية «الحرير» بالحاء: يعني حرير الدم المنبثق من أثر الطعنة.

(٣) ضبطنا سفيان بضمة واحدة على اعتبار أنه مأخوذ من السفى، فتكون نونه زائدة، ويصح اعتباره مأخوذا عن «السفون» فتكون نونه أصلية، وحينئذ لا يمتنع صرفه.

(٤) بنو أمية: نعت للأعلام الثلاثة السابقة.

(٥) ظاهر بينهما: جعل كلا منهما مقوية للأخرى.

(٦) تذامروا: حضّ بعضهم بعضا على القتال.

إنَّ عُكاظَ مأوانا نَحُلُّوهْ وذا المجاز بعد أن تَحُلوهْ(١)

مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش

وخرج الحُلَيسُ بن يزيد(٢) : أحدُ بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة — وهو رئيس الأحابيش يومئذ — فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصرى ، فطعنه الحدثان ، فدق عضده وتحاجزا .

الدائرة تدور على قيس

واقتتل القوم قتالا شديدا ، وحمَلت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كل وجه(٣) ، فانهزمت قيسٌ كلها إلا بنى نصر فإنهم صبروا ، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان ، فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا ، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبى ربيعةَ — أحدُ بنى دُهْمان ، فعقَل نفسه ونادى : يا آل هَوازن ، يا آل هَوازن ، يا آل نصر ! فلم يعرج عليه أحد ، وأجفلوا منهزمين ، فكرّ بنو أمية خاصة فى بنى دُهمان ومعهم أُلحنيسقُ وقشة الجشميّان ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئا ، فانهزموا .

من استجير بخباء سبيعة

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفىّ قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتِ عبد شمس ابن عبد مناف خِباء ، وقال لها : مَنْ دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت تُوصِل فى خبائها ليتسع(٤) ، فقال لها : لا يتجاوزنى(٥) خباؤك فإنى لا أمضى لك إلا من أحاط به الخباء ، فأحفَظَها(٦) فقالت : أما والله إنى لأظن أنك ستودّ أن لو زدتُ فى توسعته(٧) ، فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها ،

---

(١) البيت من المنسرح ، وهاء القافية فى المصراعين ساكنة ، وعكاظ وذو المجاز : مكانان مشهوران فى الجاهلية ، وبكل منهما كانت تقام سوق للشعر والتجارة .

(٢) فى هد : « الحليس بن زيد » .

(٣) ف : « من كل جانب » .

(٤) إنما فعلت ذلك على اعتبار أن الدائرة تدور على قومها من قريش ، فيتسع الخباء لأكبر عدد ممكن .

(٥) فى هد ، مج « لا يتجاوزنى خباؤك » .

(٦) أحفظها : أغضبها ، وأوغر صدرها .

(٧) تريد بعبارتها هذه أن الدائرة ستدور على قومه هو ، لا على قومها هى ، فيلوذ بهذا الخباء المنهزمون من رجاله ، وحينئذ يود لو اتسع لأكبر عدد ممكن ، وهذا هو ما حدث فى نهاية الموقعة .

وقال لها : يا عمة ، مَن تمسّك بأطناب خبائك ، أو دار حولَه فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها ، حتى كثروا جدا ، فلم يبق أحد لا نجاة[1] عنده إلا دار بخبائها فقِيلَ لذلك الموضع : مَدارُ قيس ، وكان يُضرب به المثلُ ، فتفضب قيس منه ، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن قيس — وهو من ثقيف — قد أخرج معه يومئذ بنيه من سُبَيعة ، وهم عروة ولوحة[2] ، ونُوَيْرَة ، والأسود ، فكانوا يدورون — وهم غلمان — في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

رواية أخرى لخبر خباء سبيعة

فأخبرني الحرمي والطوسي : قالا : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني محمد ابن الحسن ، عن المحرز بن جعفر وغيره :

أنّ كنانة وقيسا لما توافَوْا من العام المُقْبِل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعةَ بنت عبد شمس أمّ بنيه خِباء ، فرآها تبكي حين تدانى الناس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما[3] يُصاب غدا من قومي ، فقال لها : من دخل خباءك فهو آمن ، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَةَ والشيء ليتسع ، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلا ربطتُ به رجُلا من بني كنانة ، [4]فلما صَفَّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة[4] فنادت بأعلى صوتها : إن وهبا يأتلي ويحلف ، ألّا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلا من كنانة ، فالجدّ الجدّ ، فلما هُزِمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حَرْبُ بن أميّة .

٨٠
١٩

(١) في هد ، هج : « فلم يبق أحد أراد نجاة عنده إلا دار بخبائها » .
(٢) في هد ، هج : « الأوحد » .
(٣) كان القياس أن يقول : « لمن يصاب غدا من قومي » ولكن هكذا في جميع النسخ التي بأيدينا ، فلعلها اعتبرت أن الاصابة تقع على المحاربين والخيول والإبل ونحوها ، ومعلوم أن « ما » تقع على العاقل مع غيره .
(٤-٤) التكملة من هد ، ويبدو أن نداءها كان موجها إلى قومها من قريش ، لا إلى قوم بعلها من قيس.

أخبرنى هاشم بن محمد، قال: حدثنا أبو غسّان دَمَاذ، عن أبى عبيدة، قال:

قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أمية

لما هُزمت قيس لجأت إلى خِباء سُبَيْعة، حتى أخرجوها منه، فخرجت، فنادت: مَن تعلّق بطُنُب من أطناب بيتى فهو آمن فى ذمتى، فداروا بخبائها، حتى صاروا حلقة، فأمضى ذلك كلّه حربُ بن أمية لعمّته، فكان يضرب فى الجاهلية بمدار قيس المثل، ويُعيّرون بمدارهم يومئذ بخباء سُبَيْعة بنت عبد شمس، قال:

شاعران يسجلان الموقعة

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى قوله:

ألم تسألِ الناسَ عن شأننا ... ولم يُثبتِ الأمرَ كالخابرِ
غداةَ عُكاظ إذ استكملَتْ ... هوازنُ فى كفِّها الحاضر(١)
وجاءت سُلَيمٌ تهزّ القنا ... على كل سَلْهَبةٍ ضامر(٢)
وجئنا إليهم على المضمراتِ ... بأرْعَنَ ذى لَجَبٍ زاخِرِ(٣)
فلما التقينا أذقناهمُ ... طِعانًا بِسُمْرِ القنا العائر(٤)
ففرّت سُلَيمٌ ولم يصبروا ... وطارت شَعاعًا بنو عامر(٥)
وفرت ثقيفٌ إلى لاتِها ... بمُنْقَلَب الخائبِ الخاسرِ(٦)
وقاتلت العَنْسُ شَطْرَ النها ... رِ ثم تولّت مع الصادر(٧)

(١) كفها: لعله من الكف بمعنى ضم الشىء بعضه إلى بعض، والمراد ضم جيوشها، وفى بعض النسخ «لفها» ولا معنى له.
(٢) السلهبة من الخيل: العظيم الطويل العظام.
(٣) بأرعن: بجيش أرعن: عظيم جرار.
(٤) فى هد، هج: «بصم القنا»: بالقنا المصمت، العائر: الذى يصيب العين بالعور.
(٥) الشعاع: المتفرق المنتشر.
(٦) إلى لاتها: إلى صنمها «اللات» الذى تعبده.
(٧) العنس: إحدى القبائل المحاربة، وفى هد، هج: «العير».

على أن دُهمانَها حافظ... أخيراً لدى دارةِ الدائرِ

وقال خِداشُ بن زهير :

أتتنا قريشٌ حافلين بجمعهم عليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ
فلما دنونا للقبابِ وأهلِها أُتيحَ لنا ريبٌ مع الليل ناجرُ(1)
أُتيحت لنا بكرٌ وحول لوائها كتائبُ يخشاها العزيزُ المكاثر
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ كأنهمُ بالمشرفيّةِ سامر
وما برحت خيلٌ تثور وتدّعى ويَلْحقُ منهم أولون وآخر
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عَمايَةُ يومٍ شرُّه متظاهر(2)
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازنُ وارفضّت سُلَيمٌ وعامر
وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدُّها إذا أوهن الناسَ الجدودُ العواثرُ

اليوم الخامس يوم حريرة

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحُرَيْرَة(3) ، وهى حرّةٌ إلى جانب عُكاظَ ، والرؤساء بحالهم إلا بلعاء بن قيس ؛ فإنه قد مات فصار أخوه مكانه على عشيرته ، فاقتتلوا ، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذ أبُو سُفيانَ(4) بنُ أميّةَ وثمانيةُ رَهْطٍ من بنى كنانة ، قتلهم عُثمان بن أسدٍ من بنى عمرو بن عامر(5 بن ربيعة ، وقتل ورقاءُ ابنُ الحارث : أحدُ بنى عمرو بن عامر من بنى كنانة5) وخمسة نفر .

(1) ناجر : شديد الحرارة ، وفى هد : «أتيح لنا ريب من الدهر ناجر» وفى هج : «أبيح له حب مع الليل فاخر» .

(2) شره متظاهر : هجومه قوى ، وفى هد ، هج بدل المصراع الأول «لدن غدوة حتى أتى الليل وانجلت» .

(3) الحريرة : تصغير حرة — بفتح الحاء وتشديد الراء مع فتحها — وهى الأرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت .

(4) هو غير أبى سفيان أبى معاوية ، فالقتيل عمه .

(5—5) التكملة من هد .

خداش يسجل هذه الموقعة

وقال خداش بن زهير ، فى ذلك :

لقد بَلَوْكُمْ فأبلَوْكم بلاءهمُ   يوم الحُرَيرة ضرباً غيرَ تكذيبِ
إن تُوعدونى فإنى لَابْنُ عمِّكمُ   وقد أصابوكمُ منه بشُؤْبوبِ(1)
وإن ورقاء قد أردَى أبا كَنَفٍ   وابنَىْ إياسٍ وعمراً وابنَ أيّوب
٨١
١٩
وإن عثمانَ قد أردى ثمانيةً   منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

خداش يفقد أباه فى جدل ذلك الشويعر الليثى

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلَ ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضُهم بعضاً . فلقى ابن مَحْمِيَةَ بن عبد الله الدِّيلىّ زهيرَ بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إنى حرامٌ جئت معتمرا ، فقال له : ما تُلقى(2) طوالَ الدهر إلا قلتَ : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر الليثى ، واسمه ربيعةُ بن عَلَس(3) :

تركنا ثاوياً يزقو صداهُ   زهيراً بالعوالى والصِّفاحِ(4)
أُتيح له ابنُ مَحْمِيَةَ بنِ عبدٍ   فأعجله التسوّم بالبطاحِ(5)

صلح لا يتم

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يَدِىَ(6) مَنْ عليه فضلٌ فى القتلى ، الفضلَ إلى أهله ، فأبى ذلك وَهْب بن مُعَتِّب ، وخالف قومه ، واندسّ إلى هوازن ، حتى أغارت

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والمراد هنا شؤبوب من الدماء .
(٢) هذه رواية هد ، هج ، والذى فى ب : « ما تبقى » .
(٣) فى ب « عبس » .
(٤) يزقو : يصوت ، الصدى : طائر نزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ، فما يزال يقول : « اسقونى » حتى يؤخذ بثأره ، الصفاح : السيوف .
(٥) التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .
(٦) فى رواية « يؤدى » بدل « يدى » ، وعلى الرواية الأولى يكون المراد بالفضل المال المتبقى ، وعلى الرواية الثانية يكون المراد بالفضل القتلى الزائدين .

على بنى كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمةُ بن سَعْدَى(١) البكائى ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبى ظَبْيان الهلالى ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالكُ بن عوف ، وهو يومئذ أمْرَدُ ، فأغاروا على بنى ليث(٢) بن بكر بصحراء الغميم ، فكانت(٣) لبنى ليث أول النهار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائى ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسرى حليف بنى عامر ، ثم كانت على بنى ليث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحرَّ(٤) القتل فى بنى الملوِّح بن يعمَرَ بن ليث ، وأصابوا نَعَمًا ونساء حينئذ ، فكان(٥) ممن قُتِل فى حروب الفجار من قريش العوَّامُ بنُ خويلد ، قتله مُرَّةُ بن مُعتِّب ، وقُتِل حِزام بن خويلد ، وأحيحةُ بن أبى أُحَيحةَ ، ومعمر ابن حبيب الجُمَحى ، وجُرِح حرب بن أمية ، وقتل من قيس الصِّمَّةُ أبو دريد بن الصمة ، قتله جعفر بنُ الأحنف(٦) .

صلح يتم برهائن

ثم تراضَوا بأن يعدُّوا القتلى ، فيدُوا مَن فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألّا يعرضَ(٧) بعضُهم لبعض ، فرهن حربُ بن أميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلَدةَ العبدىّ(٨) ابنَه النضْرَ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بنى الحارث بن عبد مناة ابنَه الحارث ،

(١) فى هد ، هج : « بن سعلى » .
(٢) فى هد ، هج : « ليث بن كعب بن بكر » .
(٣) فكانت ، أى الغلبة .
(٤) استحر القتل : اشتد .
(٥) فى الأصل : فكان من قتل ، وقد صوبناها بزيادة حرف الجر « من » ولعلها : فكان من قتل حروب الفجار ... الخ .
(٦) فى هد ، هج : « حفص بن الأحنف » .
(٧) فى بعض النسخ : « فتعاقدوا على أن يرهن بعضهم لبعض » وهى أنسب لما يرد بعد .
(٨) فى هج : « العبدرى » — نسبة إلى عبد الدار — بدل « العبدى » والنضر المشار اليه هنا هو أخو قتيلة الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم فى بدر ، فرثته أخته بالأبيات القافية المعروفة .

حتى وُدِيت(1) الفضولُ ، ويقال : إن عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام والصلاح ، قالوا : وما صلاحكم هنا ، فإنّا موتورون(2) ؟ فقال : عَلَى أن نَدِىَ قتلاكم ، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضُوا بذلك ، وساد(3) عتبة مذ يومئذ ، قال : فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا فى العفو ، فأطلقوهم .

النبى شهد الفجار

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجَار من بنى هاشم غيرُ الزبيرِ بنِ عبد المطلب ، وشهد النبي صلى الله عليه وسلم وآلِهِ سائرَ الأيام إلا يومَ نخلة ، وكان يناول عمَّه وأهله النَّبلَ ، قال : وشهدها صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة ، وطَعَن النبي صلى الله عليه وسلم وآلِهِ أبا بَراء مُلاعِبَ الأسنة ، وسئل صلى الله عليه وآلِهِ عن مشهده يومئذ ، فقال : ما سرنى أنى لم أشهده ، إنهم تعدَّوا على قومى ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاضَ صاحبهم ، فأبوا .

كثرة حساب القتل

قال : وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن ، فوداهم حرب بن أمية فيما تروى قريش ، وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم ، وأنهم هم وَدَوْهم .

هل شهد أعمام النبى هذه الموقعة

٨٢ وزعم قوم من قريش أن أبا طالبٍ وحمزةَ والعباسَ بنى عبد المطلب — عليهما(4)
١٩ السلام — شهدوا هذه الحروب ، ولم يردَّ ذلك(5) أهلُ العلم بأخبار العرب .

سبيعة تجير بدارها

قال أبو عبيدة : ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعَتِّب لا يُعرِّج على شىء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفه بين ثديها ، وقال : أنا بالله(6)

(1) فى هد ، هج : «حتى أديت» وقد سبق نظير هذا .
(2) فى هج أورد العبارة كما يلى : «وما صلاحكم ؟ هؤلاء أصحابنا موتورون» .
(3) فى الأصل «وسار عتبة يومئذ على أن أقبل» ولا معنى له ، والمثبت من «ف» .
(4) ضمير عليهما يعود على حمزة والعباس ، أما أبو طالب فقد استثناه المؤلف فيما يبدو .
(5) فى هد ، هج : «ولم يرو ذلك أهل العلم» بدل «ولم يرد» .
(6) متعلق الجار والمجرور محذوف ، تقديره لائذ أو معتصم ، أو مستجير ونحو ذلك .

ويلك ، فقالت : كلا ، زعمت أنك مستولاً بيتي من أسرى قومي ، اجلس فأنت آمن .

عود إلى الصوت وبقيته

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قُتل من قومها ، والأبيات التي فيها الغناء منها :

أبى لَيلُكَ لا يذهبْ ونِيطَ الطَّرفُ بالكوكبْ[1]
ونجم دونه الأهْ وال بين الدَّلو والعقربْ
وهذا الصبحُ لا يأتي ولا يدنو ولا يقربْ
بعَقرِ عشيرةٍ منّا كرام الخِيم والمنصِبْ[2]
أحالَ عليهمُ دهرٌ حديدُ النّاب والمخلبْ
فحلَّ بهم وقد أمِنوا ولم يُقْصِرْ ولم يَشْطُبْ[3]
وما عنهُ إذا ما حلّ من مَنجى ولا مَهربْ
ألا يا عينُ فابكيهم بدمعٍ منك مستغزِبْ[4]
فإن أبكِ فهم عِزّي وهم ركني وهم منكِبْ
وهم أصلي وهم فرعي وهم نسبي إذا أُنسَبْ
وهم مجدي وهم شرفي وهم حِصني إذا أرهَبْ
وهم رُمحي وهم تُرسي وهم سيفي إذا أغضَبْ
فكم من قائلٍ منهم إذا ما قال لم يكذِبْ

(١) تقدم هذا البيت والبيتان التاليان له .
(٢) في هد ، هج : « كرام الخيم والمذهب » الخيم : الخصال والطباع .
(٣) يشطب : من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه .
(٤) مستغزب : غزير .

وكم من ناطقٍ فيهم خطيبٍ مِصْقَعٍ مُعْرِبْ
وكم من فارسٍ فيهم كمِيٍّ مُعْلَمٍ مِحْرَبْ[1]
وكم من مِدرَهٍ[2] فيهم أريبٍ حُوَّلٍ قُلَّبْ[3]
وكم من جَحفلٍ فيهم عظيمِ النّار والموكِبْ
وكم من خِضْرِمٍ فيهم نجيبٍ ماجدٍ مُنجِبْ[4]

(١) المعلم من الفرسان : من يتخذ لنفسه فى الحرب علامة تميزه ، المحرب : الخبير المضطلع بأمور الحرب .

(٢) المدره : خطيب القوم ، أو سيدهم .

(٣) الحول القلب : المحتال الحازم الذى يلبس لكل حال لبوسها ، وفى الأصل «حوله مغلب» بدل « حول قلب » وهو تحريف ، والمثبت من هد ، هج .

(٤) الخضرم : السيد الجواد ، المنجب : من ينجب أولاده .

صـوت

أحبُّ هبوطَ الواديين وإننى ... لمشتهرٌ بالواديين غريبُ
أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ خارجا ... ولا والجًا إلا علىَّ رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا فى جماعة ... من الناس إلا قيل: أنتَ مُريبُ
وهل ريبةٌ فى أن تحِنَّ نجيبةٌ ... إلى إلفِها أو أن يَحِنَّ نجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيبانى فى أشعار بنى جعدة، وذكره أبو الحسن المدائنى فى أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة[1] الجَعْدى، ومن الناس من يرويه لابن الدُّمَيْنَة ويدخله فى قصيدته التى على هذه القافية، والروى والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

(١) الصمصامة، والصمصام فى الأصل: السيف لا ينثنى، واستعمل هنا علما.

٨٣
١٩

أخبار مالك ونسبه

هو مالك بن الصَّمْصامة بن سعد بن مالك: أحد بنى جَعْدة بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة، شاعر بدوى مُقِلّ.

أخبرنى بخبره هاشم بن محمد الخزاعىّ ومحمد بن خلف بن المرزبان، قالا:

أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنى، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبى عمرو الشيبانى، قالوا:

يهوى جنوب ويحول بينه أخوها

كان مالك بن الصَّمْصامة الجعدىّ فارساً شجاعاً جوادا جميل الوجه، وكان يهوَى جَنوبَ بنت محصَن الجعديّة، وكان أخوها الأصبغ بن محصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم، فنَمَى إليه نُبَذٌ من خبر مالك، فآلى يمينا جزْما: لئن بلغه أنه عَرَضَ لها أوزارها ليقتلنه، ولئن بلغه أنه ذكرها فى شعر أو عرّض بها ليأسرنه، ولا يطلقُه إلا أن يجُزَّ ناصيته فى نادى قومه، فبلغ ذلك مالكَ ابنَ الصَّمْصامة، فقال:

إذا شئتِ فاقرِنّى إلى جَنْبِ عَيهبٍ ... أجبٍّ ونِضْوى للقلوص جنيبُ(1)

فما الحلق بعد الأسر شرٌّ بقيةً ... من الصَّدّ والهِجران وهى قريبُ

ألا أيها الساقى الذى بلّ دَلوَه ... بقُريان اسقِنى هل عليك رقيبُ(2)

(١) الخطاب لمالك بن الصمصامة أخى جنوب، أقرنى: شدنى، العيهب: الكساء من الصوف، أجب: مقطوع، النضو: الثوب الخلق، القلوص: فى الأصل الناقة الفتية، والعرب تكنى بالقلوص عن الفتاة، يقول: إذا شئت أسرى فشدنى إلى رداء من الصوف بال فى بيتك بجوار جنوب أختك، وفى ب «نجيب» بدل «جنيب»، وهو تحريف.

(٢) قريان: موضع.

إذا أنتَ لم تشرب بها ريان شربةً ... وحانيةِ الجدران ظلْتَ تلوب[١]
أحبُّ هبوطَ الواديين وإننى ... لمشتهر بالواديين غريب
أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ خارجا ... ولا والجا إلا علىَّ رقيب!
ولا زائراً وحدى ولا فى جماعةٍ ... من الناس إلا قيل: أنتَ مُريبُ
وهل ريبة فى أن تحِنَّ نجيبةٌ ... إلى إلفها أو أن يحِنَّ نجيب

يراها فلان ساع نخامل بها

وقال أبو عمرو خاصة : حدثنا فتيان من بنى جعدة أنها أقبلت ذات يوم ، وهو جالس فى مجلس فيه أخوها ، فلما رآها عرفها ، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها ، فأغمى عليه ، وفَطِن أخوها لما به ، فتغافل عنه ، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره ، فما تحرك ، ولا أحار جوابا ساعة من نهاره ، وانصرف أخوها كالخجِل ، فلما أفاق قال :

ألمّ تَر أنّا ما حيِيت وعاجتْ فأسرعت ... إلى جرعة بين المخارم فالنّحر[٢]
خليلَىَّ قد حانَتْ وفاتِىَ فاحفِرا ... برابيةٍ بين المخافر والبُتر[٣]
لكيما تقول العين دليَّةٌ كلما ... رأت جدثى: سُقِّيت ياقبرُ من قبر[٤]

جنوب ترعى عهده

وقال المدائنى فى خبره : انتجع أهل بيت جنوب ناحية حِمى والحِمى ، وقد أصابها الغيث ، فأمرعت ، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصمصامة ، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) تخاضع ... نفسه . وحانية الجدران : لعله قسم بجدران الكعبة الحانية ، أو عطف على «قوبان» وفى ... «وجانية» بالجيم . ولم نجد لها معنى ، تلوب : من لاب يلوب : عطش ، أو دار حول الماء وهو ... الوصول إليه ، يقول : إذا أنا لم أشرب من هذا الوادى فسأظل ظامئا وحق الكعبة .

(٢) عاجت : رجعت . الجرعة : الأرض ذات الحزونة ، المخارم والنحر : مكانان .

(٣) ... هج : «إن حانت» بدل «قد حانت» . وفى هج : «بين المحاضر والبئر» بدل «لى بالمخافر» ... وفى هد : «برابية لى بالمحاضر والبئر» وكلها أسماء أماكن .

(٤) ... يعنى بها حبيبته . وفى هد : «حييت» بدل «سقيت» .

أَرَيْتُكِ إن أزمعتُمُ اليوم نِيَّةً وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابعُه(1)

أَترعَيْن ما استُودِعْتِ أم أنتِ كالذى إذا ما نأى هانت عليه ودائعُهُ

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودِعْتَ ، ولا أكونُ كمن هانت عليه ودائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشيًا عليه ، وهى واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول :

٨٤ ألاَ إنَّ حبيبًا دونه قُلَّةُ الحِمى مُنَى النفس لو كانت تُنال شرائعه(2)

١٩ وكيف ، ومِن دونِ الورودِ عوائقٌ وأصبغُ حامى ما أحِبُّ ومانعُه(3)

فلا أنا فيما صدَّنى عنه طامعٌ ولا أرتجى وصلَ الذى هو قاطعه

(١) نية : رحلة وبعدا ، غالك : أخفاك عنى .

(٢) قلة كل شىء : أعلاه ، يريد أن علية الحمى حلوا بحمى ، منى النفس : بدل من « قلة الحمى » ، شرائع : جمع شريعة ، وهى مورد الماء كالغدير ونحوه .

(٣) يريد الأصبغ أخا جنوب .

صوت

يا دارَ هندٍ عفاها كلُّ هطّالِ بالجَبْتِ مثلُ سَحيقِ اليَمْنَةِ البالى(١)
أربَّ فيها ولىٌّ ما يُغَيِّرها والريحُ مما تُعَفِّيها بأذيالِ(٢)
دارٌ وقفتُ بها صَحبِي أُسائلها والدمع قد بلَّ منى جَيْبَ سِرْبالى
شوقاً إلى الحىِّ أيامَ الجميعُ بها وكيف يطربُ أو يشتاق أمثالى ؟(٣)

قوله . أَرَبَّ فيها أى أقام فيها وثبت ، والولى : الثانى من أمطار السنة ، أولها الوسمىّ ، والثانى الولىّ ، ويروى .

* جرت عليها رياح الصيف ، فاطَّرقت *

واطَّرَقَتْ : تلبدت .

الشعر لعَبِيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحْنُ إبراهيم إليه .

(١) عفاها : محاها ، وغير معالمها ، الجبت : مكان ، اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .

(٢) تولى المؤلف شرح بعض ألفاظ البيت ، الريح : معطوف على ولى ، وإثبات الأذيال للريح استعارة .

(٣) الاستفهام هنا للاستبعاد ، ولعل سبب هذا الاستبعاد يأسه من اللقاء .

أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه (1)

اسمه ونسبه

قال أبو عمرو الشيباني: هو عَبِيدُ بن الأبرص بن جُشَمِ بن عامر بن مالك ابن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر. شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرَن به طَرَفَةَ وعلقمة بن عَبَدة وعديَّ بنَ زيد.

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سَلّام، قال:

شاعر ضائع الشعر

عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر، عظيم الشهرة، وشعره مضطرب ذاهب، لا أعرف له إلا قوله في كلمته:

* أقفرَ من أهلِهِ مَلْحُوبُ *

ولا أدرى ما بعد ذلك.

يتهم بأخته

أخبرنا عبد الله بن مالك النحوي الضرير، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، قالا:

كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلا محتاجا، ولم يكن له مال، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة له، ومعه أخته ماوِيّة؛ ليوردا غنمهما الماء، فمنعه رجل من بني مالك ابن ثعلبة وجبَهه(2)، فانطلق حزينا مهموما للذي صنع به المالكي، حتى أتى شجراتٍ فاستظل تحتهن، فنام هو وأخته، فزعموا أن المالكي نظر إليه وأُخْتُهُ إلى جنبه، فقال:

ذاك عبيدٌ قد أصاب مَيّاً ... يا ليتَه ألقحها صبيّا

* فحملت فوضعت ضاوياً(3) *

(1) جاءت ترجمته في هذا المكان في النسخ المخطوطة: هد، مد، مه، والتجريد، وطبعة بولاق وجاءت في آخر الأغاني بين ترجمتي: أبي العيال، وعمارة بن عقيل في مخطوطة فيض الله، وطبعة بيروت.

(2) جبهه: صك جبهته، أو قابله بما لا يحب.

(3) ضاويا: مهزولا نحيفا.

فسمعه تعريضه ، فرفع يديه ، ثم ابتهل ، فقال : اللهم إن كان فلان ظلمنى ، ورمانى بالبهتان فأَدِلْنى منه — أى اجعل لى منه دَوْلَة ، وانصُرْنى عليه — ووضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

يهبط عليه الشعر من السماء فى النوم

فذُكِر أنه أتاه آتٍ فى المنام بكُبَّةٍ[1] من شَعْر ، حتى ألقاها فى فيه ، ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز : يعنى بنى مالك ؛ وكان يقال لهم بنو الزِّنْيَة يقول :

أيا بنى الزِّنْية ما غرَّكُمْ فلكُمُ الويلُ بسربال حَجَرْ[2]

ثم استمرَّ بعد ذلك فى الشعر ، وكان شاعرَ بنى أسد غير مدافَع .

بينه وبين امرئ القيس

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ ، قال : حدّثنا أبو غسان دَماذ ، عن ٨٥ ١٩
أبى عبيدة ، قال :

اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْرَ بن عمرو والدَ امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ؛ أو يُقِيدوه من أىّ رجل شاء من بنى أسد ، أو يُمهِلَهم حولا ؛ فقال : أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مِثْلِى ، وأما القَوَدُ فلو قِيد إلىّ ألفٌ من بنى أسد ما رَضِيتُهم ، ولا رأيتهم كفؤا لحُجْر ، وأما النَّظِرة[3] فلكم ، ثم ستعرفوننى فى فرسان قحطان ، أُحكِّم فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنّة ، حتى أشفِىَ نفسى ، وأنالَ ثأرى ، فقال عَبيدُ بنُ الأبرص فى ذلك :

(١) الكبة : مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة .

(٢) لعله يعنى بالسربال الدرع ، نقول : وهل كان الوحى يأتيه فى المنام بمثل هذا البيت التافه ؟

(٣) النظرة — بكسر الظاء — المهلة ، ومنه قوله تعالى : « فنظرة إلى ميسرة » .

صوت

يا ذا المخوِّفُنا بقتـ ـلِ أبيه إذلالا وحَيْنا[١]
أزعمتَ أنك قد قتلـ ـتَ سَراتنا كذِباً ومَيْنا ؟[٢]
هلاّ على حُجْرِ ابن أمـ ـمِ قطامِ تبكى لا علينا[٣]
إنّا إذا عَضَّ الثِّقا فُ برأس صَعْدتِنا لَوَيْنا[٤]
نحمِى حقيقتَنا وبعـ ـضُ الناس يسقط بين بينا[٥]
هلّا سألتَ جموعَ كِنْـ ـدةَ يوم وَلَّوْا أين أينا ؟

— الغناء لحنين رمل فى مجرى الوسطى مطلق عن الهشامى ، وفيه ليَحيَى المكىِّ خفيف ثقيل : —

قال : وتمام هذا الأبيات :

أيامَ نضـ ـربُ هامَهم ببواترٍ حتى انحنينا[٦]
وجموعَ غسّانَ الملو كِ أتينَهم وقد انطوَيْنا[٧]
لُحُقاً أياطِلُهنّ قد عالجن أسفاراً وأَيْنا[٨]

(١) إذلالا : مفعول « المخوفنا » الحين : الهلاك .
(٢) سراتنا : أشرافنا .
(٣) حجر ابن أم قطام : هو أبو امرئ القيس ، وإنما نسبه إلى أمه سخرية به .
(٤) الثقاف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة ، الصعدة : الرمح ، يريد أن قناتهم لا يعدلها الثقاف ، بل تلتوى عليه ، كما يقول عمرو بن كلثوم :

وإن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا
إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولتهم عشوزنة زبونا

(٥) الحقيقة : ما ينبغى حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .
(٦) نون الروى : ضمير البواتر ، والألف ألف الإشباع ، وليست « نا » من « انحنينا » ضمير المتكلم .
(٧) ضمير « انطوين » يعود على الجياد المفهومة من المقام بدليل البيت التالى ، وانطوين : من الطوى بمعنى الجوع ، يعنى بذلك أنها ضامرة بدليل البيت التالى أيضا .
(٨) الأين : التعب والمشقة .

(١والأياطل : الخواصر أى هن ضوامرها ؟١) :

نحن الألَى فاجمع جمو عك ثم وجّههم إلينا(٢)
واعلمْ بأن جيادَنا آلينَ لا يقضين دينا(٣)
ولقد أبحنَا ما حمي ت ولا مُبيحَ لما حمينا
هذا ولو قَدَرَتْ علي كَ رماحُ قومى ما انتهينا
حتى تنوشَكَ نَوْشَةً عاداتِهنَّ إذا انتوينا(٤)
نُغْلِي السِّباءَ بكل عا تقةٍ شمولٍ ما صَحَوْنا(٥)
ونُهينُ فى لذاتنا عُظْمَ التلاد إذا انتشينا
لا يبلُغ البانى ولو رفعَ الدعائمَ ما بَنَيْنا
كم من رئيسٍ قد قتلـ ـناهُ وضَيمٍ قد أبينا
ولربَّ سيّدِ معشرٍ ضخمِ الدسيعة قد رمينا(٦)
عِقْبانُه بظلالِ عِقـ ـبانٍ تُتَمِّمُ ما نوينا(٧)
حتّى تركنا شِلوَه جَزَرَ السِّباع وقد مضينا(٨)

(١–١) التكملة من هد .

(٢) صلة الألى محذوفة ، تقديرها « تعرفهم ، أو تدرى بأسهم ، ونحو ذلك » .

(٣) يريد أن كل دم أراقته جبار لا دية له ولا قود .

(٤) تنوشك : تتناولك ، يريد نوشة قاسية ، انتوين : نوين ، وعزمن .

(٥) العاتقة الشمول : الخمر المعتقة ، ما صحونا : مدة صحونا .

(٦) الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة ، وكل هذا يتفق مع معنى البيت .

(٧) يريد أن العقبان تتعاورجثته سربا بعد سرب تتمم فناءه الذى بدءوه ، وفى هد ، هج « تتمم » وفى المختار : « تتمم من نوينا » .

(٨) الشلو : بقية اللحم ونحوه ، جزر السباع : ما تأكله السباع من اللحم .

إنّا لعمرك ما يُضامُ عائذُنا أبدًا لدينا [illegible]

٨٦ وأوانِسٍ مثلِ الدُّمى حُورِ العيون قد استبينا(١)

١٩ وقرأت فى بعض الكتب ، عن ابن الكلبى ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع يتبين التوليد فيه : الشعر على ألسنة الأفاعى

أنّ عبيدَ بن الأبرص سافر فى ركب من بنى أسد ؛ فبينا هم يسيرون إذا هم بشجاعٍ يتمعّك(٢) على الرمضاء فاتحا فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِيَ وانتعش ، فانساب فى الرمل ، فلما كان من الليل ، ونام القوم ندّت رواحلهم ، فلم يُرَ لشىء منها أثر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، فتفرقوا ، فبينا عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهلكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به :

يا أيُّها السارى المضِلُّ مذهبُهْ دونكَ هذا البَكرَ منّا فاركبُهْ(٣)

وبكرُكَ الشارد أيضاً فاجنُبُهْ حتى إذا الليلُ تجلّى غيهبُهْ(٤)

* فحُطَّ عنه رحلَه وسيّبْهُ *

فقال له عبيد : يا هذا المخاطِبُ ، نشدتُك الله إلّا أخبرتنى : من أنت ؟ فأنشأ يقول :

أنا الشّجاع الذى ألفيتَه رَمِضًا فى قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ(٥)

(١) فى هج : «شبه» بدل «مثل» وربما كان الأنسب «وأوانسا» بالنصب على أنها مفعول مقدم «لاستبينا» والتنوين هنا للضرورة .

(٢) يتمعك : يتمرغ فى التراب ، ويتقلب فيه .

(٣) كان القياس إسكان باء «فاركبه» لانه ... .

(٤) فى ب : «تجنى» بدل «تجلى» .

(٥) الشجاع : الثعبان ، رمضا : حار الجوف من شدة العطش ، أعقاد : لعل المراد بها الأرض الكثيرة الشجر ، ومنه العقدة بهذا المعنى .

فَجُدْتَ بالماء لما ضَنَّ حامِلُه وزِدتَ فيه ولم تبخل بإنكادِ
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أَوْعيتَ من زادِ(١)

فركب البكرَ وجنّب بكرَه ، وسار فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عنه ، وحل رحله ، وخلّاه ، فغاب عن عينه ، وجاء من سلِمَ من القوم بعد ثلاث .

يوما المنذر بن ماء السماء

أخبرنى محمد بن عمران المؤدب وعمِّى ، قالا : حدثنا محمد بن عبيد : قال : حدثنى محمد بن يزيد بن زياد الكلبى ، عن الشرقى بن القطامى : قال :

كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بنى أسد ، أحدهما خالد بن المضلّل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة ، فأغضباه فى بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكل واحد حَفيرةٌ بظاهر الحيرة ، ثم يجعلا فى تابوتين ، ويدفنا فى الحفرتين ، ففعل ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ، فأُخبِر بهلاكهما ، فندم على ذلك ، وغَمَّه ، وفى عمرو ابن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بنى أسد :

ياقبرُ بينَ بيوتِ آل محرّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أمّا البكاء فقلَّ عنك كثيرُه ولئن بُكِيتَ فَللبُكاء خَليق(٢)

ثم ركب المنذر ، حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيّيْن(٣) عليهما ، فبُنيا عليهما ، وجعل لنفسه يومين فى السنة يجلس فيهما عند الغَرِيّيْن ، يُسمّى أحدهما يوم نعيم ،

(١) أوعيت : حملت فى وعائك . نقول : وقد نسبوا الشعر إلى آدم أبى البشر ، وإلى الملائكة ، وإلى الشياطين ، وهاهم أولاء ينسبونه إلى الثعابين .

(٢) فللبكاء خليق : جدير بك ، وفى هد ، هج والمختار : «فبالبكاء» أى فأنت بالبكاء خليق .

(٣) الغريان : بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما ، ونرجح أن هذه التسمية إنما جاءت من طلائهما بدماء من يقتل فى يوم بؤس المنذر ، والتغرية فى اللغة بمعنى الطلاية .

والآخر يوم بؤس ، فأولُ من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الأبل شُوما(١) أى : سودا ، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبَانٍ(٢) أسود ، ثم يأمرُ به ، فيذبح ويغرّى بدمه الغَرّيان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

يقتل فى يوم بؤس المنذر

ثم إن عبيدَ بنَ الأبرص كان أول من أشرف عليه فى يوم بؤسه ، فقال : هلا كان الذبح لغيرك يا عَبيد ؟ فقال : أتتك بحائنٍ(٣) رجلاه ، فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : أوأجَلٌ بلغ إناه(٤) ، فقال له(٥) المنذر : أنشدنى ، فقد كان شعرك يعجبنى ، فقال عبيد : حال الجريض(٦) دون القريض ، وبلغ الحزام الطُّبْيين(٧) فأرسلها مثلا ، فقال له النعمان : ٨٧
أسمعنى ، فقال : المنايا على الحوايا(٨) ، فأرسلها مثلا ، فقال له آخر : ما أشدّ جزعَك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلَك مَنْ ليس معك(٩) فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : ١٩
قد أمللتَنِي ، فأرِحْنى قبل أن آمر بك ، فقال عبيد : من عَزّ بَزّ(١٠) فأرسلها مثلا ، فقال المنذر : أنشدنى قولك :

* أقفرَ مِن أهله مَلحوبُ *

فقال عبيد :

(١) شوما : لعله جمع أشيم أو شيماء بمعنى فى جسدها شامة ، وليس معنى ذلك السواد ، كما شرحه المؤلف ، وفى هد : هج « سودا » بدل « شوما » وليس من معانيها السواد أيضا .

(٢) الظربان : حيوان دون السنور ، أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم كثير الفسو ، منتن الرائحة .

(٣) الحائن : الهالك . (٤) إناه : وقته .

(٥) يقتضى السياق أن يقول : « ثم قال له المنذر » بدل « فقال له المنذر » التى تكررت مرتين متتاليتين .

(٦) الجريض : الغصة ، أو اختلاف الفكين عند الموت .

(٧) الطبيان : تثنية طبى ، وهو حلمة الضرع ، أو الضرع كله ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حده .

(٨) الحوايا : ما احتوى عليه بطن الإنسان أو الحيوان ، والجملة مثل يضرب لمن يسعى إلى هلاكه بنفسه .

(٩) معنى الجملة أنه لايقاسى مشقة رحلتك من لم يعانها معك .

(١٠) بز : غلب ، ومعنى الجملة : من غلب أخذ السلب .

أقفر من أهله عَبِيدُ فليس يُبدِى ولا يُعِيدُ[1]
عَنَت له عَنَّةٌ نَكُودٌ وحان منها له ورودُ

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك ، أنشدنى قبل أن أذبحك ، فقال عبيد :

والله إن مِتُّ لما ضرّنى وإن أعشْ ما عشتُ فى واحدَه[2]

فقال المنذر : إنه لا بد من الموت ، ولو أن النعمان عرض لى فى يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئتَ الأكحلَ[3] ، وإن شئتَ الأبجلَ[4] ، وإن شئتَ الوريدَ[5] ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شرُّ ورّاد ، وحاديها شرُّ حاد ، ومعادها شرُّ معاد ، ولا خير فيه لمرتاد ، وإن كنت لا محالة قاتلى فاسقنى الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلى ، وذهلت لها ذواهلى فشأنَك وما تريد ، فأمر المنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أُخذت منه وطابت نفسه، دعا به المنذر ، ليقتله ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

وخيّرنى ذُو البؤس فى يوم بؤسه خصالاً أرى فى كلها الموتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرت عادٌ من الدهر مَرّةً سحائبَ ما فيها لذى خِيرة أنَق[6]
سحائب ريح لم تُوكَّل ببلدةٍ فتتركها إلا كما ليلةِ الطَّلَق[7]

(١) فى هد ، هج بدل المصراع الثانى : « فاليوم لا يبدى ولا يعيد » والرواية التى معنا أصوب ، لأن الأبيات من مخلع البسيط ، أما المصراع الوارد فى هد ، هج فمن الرجز .
(٢) ليس لكلمة « واحدة » هنا معنى ، ونرجح أنها « واجدة » — بالجيم — من الجدة واليسار ، أى إن عشت فلن أعيش فى رغد من العيش .
(٣) الأكحل : وريد فى وسط الذراع .
(٤) الأبجل : عرق فى الرجل ، أو فى اليد بإزاء الأكحل .
(٥) الوريد : عرق فى العنق .
(٦) الأنق : الحسن الرائع .
(٧) الطلق : البعد ، من طلق — بكسر اللام — بمعنى بعد .

فأمر به المنذر ، فَفُصِد ، فلما مات غُرِّى بدمه الغَرِيَّان .

طائى يفد على المنذر فى يوم بؤسه

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به(1) رجل من طيىء ، يقال له : حنظلةُ بن أبى عفراء ، أو ابن أبى عُفْر ، فقال له : أبيتَ اللعن ، والله ما أتيتك زائرا ، ولأهلى من خيرك مائرا(2) فلا تكن ميرتَهم قتلى ، فقال : لا بد من ذلك ، فاسأل حاجة أقضينَّها لك ، فقال : تؤجِّلُنى سنة أرجع فيها إلى أهلى ، وأُحكِم من أمرهم ما أريد ، ثم أصيرُ إليك ، فأنفِذْ فىَّ حكمَك ، فقال : ومن يكفُلُ بك حتى تعود ؟ فنظر فى وجوه جلسائه ، فعرف منهم شريكَ بن عمرو : أبا الحوفزانِ بن شريك ، فأنشأ يقول :

يا شريكٌ يا بنَ عمرٍو ما من الموت محالهْ(3)
يا شريكٌ يا بنَ عمرو يا أخا من لا أخالهْ(4)
يا أخا شيبان فُكَّ اليوم رهنا قد أناله(5)
يا أخا كلِّ مُضافٍ وحَيَا مَنْ لا حَيَا له(6)
إنَّ شيبانَ قبيلٌ أكرمَ اللهُ رجالَهْ
وأبوك الخيرُ عمرٌو وشراحيلُ الحمالهْ(7)
رَقَّيَاك اليوم فى المجد وفى حُسنِ المقالهْ

(1) ضمير « به » يعود على المنذر ، لا على عبيد .

(2) مائرا : طالبا الميرة : القوت .

(3) تنوين « شريك » للضرورة كقول الشاعر : « سلام الله يامطر عليها » .

(4) كان القياس : « لا أخ لك » بدون ألف ، ولكنهم قالوا فى مثل هذا وفى مثل قولهم : « لا أبا لك » أنهم افترضوا حذف اللام .

(5) هكذا بالأصل ، ونرجح أن عبارة « قد أناله » محرفة عن « قد أتى له » وضمير أتى يعود على « رهن » والمراد بشيبان الطائى نفسه بدليل البيت التالى .

(6) الحيا : الغيث والمطر .

(7) شراحيل : لعله من آباء شريك ، والمراد بالحمالة حمالة الديات والديون وما إليها .

شريك بن عمرو يفدى الطائى

٨٨
١٩

فوثب شريك ، وقال : أبيت اللعن ، يدى بيده ، ودمى بدمه إن لم يعد إلى أجله[1] ، فأطلقه المنذر ، فلما كان من القابل جلس فى مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك ، فقرّب ، ليقتله .

الطائى يفى بوعده

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه ، فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفّنا متحنّطا معه نادبته تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السنّة .

رواية أخرى فى سبب مقتل عبيد

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا علىّ بن الصباح ، عن هشام بن الكلبى ، قال :

كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنّ المنذرَ بن ماء السماء بنى الغرّيين ، فقيل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبرى رجلين من بنى أسد كانا نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسىّ ، والآخر عمرو بن مسعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى ، لا يَمُرَّنّ أحد من وفود العرب إلا بينهما ، وكان له يومان فى السنة يوم يسميه يوم النعيم ، ويوم يسميه يوم البؤس ، فإذا كان فى يوم نعيمه أُتِى بأول من يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، ونادمه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتِى بأول من يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظَرِبانٍ أسودَ ، ثم أمر به فذبح وغُرِّىَ بدمه الغَرِيّان ، فبينا هو جالس فى يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبِيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقىّ ؟ فقال له : هذا عَبِيدُ بن الأبرص الأسدىّ الشاعر ، فأُتِىَ به فقال له الرجل الذى كان معه :

(١) فى ب « إلى أهله » وقد رجحنا ما أثبتناه نقلا عن هد ، هج .

اتركه — أبيتَ اللعن — فإني أظن أنّ عنده من حُسن القريض أفضلَ مما تدرك[1] في قتله فاسمعْ منه ، فإن سمعتَ حسنا استزدتَه ، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله . فإذا نزلْتَ فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين الناس حجابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رَدِيفُه[2] : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أتتك بحائن رجلاه ، فأرسلها مثلا ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض ، فقال : أنشدني .

* أقفرَ من أهلِه مَلحوب *

فقال :

أقفَرَ من أهله عبيدُ فليس يُبدى ولا يعيدُ
عنّت له خُطَّةٌ نَكودُ وحان منها له ورودُ

فقال أنشدْنا :

هِيَ الخمر تُكنى بأمِّ الطِّلَى كما الذئبُ يكنى أبا جَعْدَه[3]

وأبى أن ينشدهم شيئاً مما أرادوا ، فأمِر به ، فقتل .

فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر ابن ماء السماء ، فيما ذكره خالدُ بن كلثوم — فراجعاه بعض القول على سُكْرِه ، خبر نديمى المنذر

(١) كذا في ب ، وفي هد : « أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما يترك من قتله » وفي مج تضع كلمة « تريد » بدل كلمة « يترك » والمعنى لا يختلف .

(٢) رديفه : رديف المنذر ، والرديف : نديم السلطان الذى يشاربه ، ويجالس بجواره ، وينوب عنه إذا غاب .

(٣) الطلى : اسم من أسماء الخمر ، ويطلق هذا اللفظ على اللذة ، وهذا المعنى هو المراد هنا ، لأنه لا معنى لأن يكنى الخمر بأم الخمر ، وإنما المعقول أن تكنى بأم اللذة . وأبو جعدة ، وأبو جمادة : كنية الذئب ، ولعله كنى بذلك لتجعد شعر ذنبه .

فتنضّب ، فأمر بقتلهما ، وقيل : بل دفنهما حيين ، فلما أصبح سأل عنهما ، فأُخبِر خبَرَهما فندم على فعله ، فأمر بإبل ، فنُحرت على قبريهما ، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاما لهما وحزن عليهما ، وبنى الغَرِيَّيْن فوق قبريهما ، وأمر فيهما بما قدّمتُ ذكره من أخبارهما ، فقالت نادبةُ الأسديين :

ألا بَكَرَ الناعى بخير بنى أسدْ ... بعمرِو بن مسعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ

وقال بعض شعراء بنى أسد يرثى خالد بن المُضَلَّل وعمرو بن مسعود ، وفيه غناء : ٨٩ ١٩

صوت

يا قبرُ بينَ بيوتِ آل مُحرّقٍ ... جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ ... ولئن بَكَيتَ فبالبكاء خليقُ(١)

الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق فى مجرى الوسطى من جامع أغانيه .
ومما يغنى به أيضا من شعر عبيد :

صوت

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادى ... من أمِّ عمرو ولم يُلْمِمْ لميعادِ
أنّى اهتديتِ لِركبٍ طال سيرهمُ ... فى سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ(٢)
اذهبْ إليكِ فإنى من بنى أسد ... أهلِ القباب وأهلِ الجودِ والنّادى(٣)

الغناء للغريض ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ ، وفيه ثقيل أول

(١) تقدم هذان البيتان ، ورواية هد: « ولئن بكيت فبالبكاء حقيق » .

(٢) رواية هد ، هج : « أنى اهتديت لركب طال سيرهم » السبسب : المفازة ، الدكداك : الأرض فيها غلظ ، أو فيها رمل متلبد ، أعقاد : أرض شجراء .

(٣) رجحنا رواية هد ، هج ، وفى ب : « الجرد » بالراء بدل « الجود » بالواو .

بالوسطى ، ذكر الهشامى أنه لأبى زكار الأعمى ، وذكر حبش أنه لابن سريج .

وفى هذه القصيدة يقول : يخاطب حجر بن الحارث أبا امرئ القيس ، وكان حجر يتوعده فى شىء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه :

أبلغ أبا كَرِبٍ عنّى وإخوتَه ... قولا سيذهب غَوْراً بعد إنجادِ (١)
لا أعرفنَّك بعد الموت تندُبنى ... وفى حياتىَ ما زوّدتَنى زادى
إنَّ أمامكَ يومًا أنتَ مدركُهُ ... لا حاضرٌ مفلِتٌ منه ولا بادى
فانظر إلى ظلِّ مُلْكٍ أنت تاركُهُ ... هل تُرسِيَنّ أواخيه بأوتاد (٢)
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشَّرّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد (٣)

عمر يبكى خالد بن الوليد بعد موته

أخبرنا على بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعىّ ، عن المدائنىّ ، عن أبى بكر الهذلىّ قال :

سمع عمرُ بنُ الخطّابِ نساء بنى مخزوم يبكين على خالد بن الوليد ، فبكى ، وقال : لِيقلْ نساء بنى مخزوم فى أبى سليمان ما شئن ، فإنهن لا يكذبن ، وعلى مثل أبى سليمان تبكى البواكى ، فقال له طلحةُ بنُ عبيد الله : إنك وإياه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص (٤) :

لا أُلفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبنى ... وفى حياتىَ ما زوّدتنى زادِى

عبيد فى ضيافة كلب

أخبرنى عمِّى ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد : قال : حدثنى محمد بن عبد الله العبدىّ ، قال : حدثنى سرية الكاتب ، قال :

(١) الغور : ما انخفض من الأرض ، والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة ، يريد أن هذا القول سيعم البقاع .

(٢) الأواخى جمع الآخية وهى عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشد فيها الشىء ، وفى ب : « أراجيه » والأواخى هنا : الأواصر والعرا .

(٣) تقدم هذا البيت على لسان الثعبان الذى عرض لعبيد ، فلعل عبيدا سرقه منه .

(٤) يشير طلحة إلى ما فرط من عمر فى حق خالد بن الوليد ، يوم عزله عن قيادة الجيش عقب توليه الخلافة بعد موت أبى بكر ، كأنه يقول له : أتعزله حيا ، وتبكيه ميتا ؟

وَلِيتُ ولايةً، فمررتُ بصديق لى فى بعض المنازل، فنزلت به، قال: فنلنا من الطعام والشراب، ثم غاب علينا النبيذُ، فنمنا، فانتبهتُ من نومى، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يبَشّ به ويسلّم عليه لا أنكِر من كلامهما شيئاً، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره، وقال له: هل عندك شىء تُطْعِمنيه؟ قال: نعم، قد بقى لهم فى موضع كذا وكذا طعام، وليس عليه شىء(1)، فذهبا إليه، فكأنى أسمع وُلوغَهما فى الإناء حتى أكلا ما كان هنالك فيه، ثم سأله نبيذاً، فقال: نعم، لهم نبيذ فى إناء آخَرَ ليس له غطاء، فذهبا إليه فشربا.

الكلاب تتغنى بشعره
٩٠
١٩

ثم قال له: هل تطربنى بشىء؟ قال: إى وعيشك، صوت كان أبو يزيد يغنيه فيجيده، ثم غناه فى شعر عبيد بن الأبرص.

صوت

طافَ الخيالُ علينا ليلةَ الوادى ... لآل أسماء لم يُلمِمْ لميعادِ
أنّى اهتديت لركبٍ طال سيرهمُ ... فى سبسبٍ بين دكْداكٍ وأعقادِ(2)

قال: فلم يزل يغنيه هذا الصوت، ويشربان معاً، حتى فنِىَ ذلك النبيذ، ثم خرج الكلبُ الداخل، فخفتُ والله على نفسى أن أذكر ذلك لصاحب المنزل، فأمسكتُ، وما أذكر أنى سمعت أحسن من ذلك الغناء.

ومما يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

لمن جِمالٌ قُبيلَ الصبح مزمُومَه ... ميمّماتٌ بلاداً غيرَ معلومه
فيهنّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها ... بيضاء آنسةٌ بالحسن موسومهْ

(1) يريد أن هذا الطعام ليس فى حرز.

(2) تقدم هذان البيتان، نقول: ويبدو أن عبيد بن الأبرص كان رجل الخوارق، فقد رأينا فمه يحشى بالشعر، فيلهم الشعر وهو نائم، ورأينا الأفاعى تنشده الأشعار ثم ها هو ذا تتغنى بشعره الكلاب.

الغناء لابن سريج رمل عن يونُس والهشاميّ وحبش .

ومنها(١) قوله :

صـوت

دَرَّ دَرُّ الشباب والشَّعَرِ الأسـ ... ود والضَّامراتِ تحت الرِّحالِ

فالخناذيذِ كالقداحِ من الشّو ... حط يحملن شِكَّةَ الأبطالِ(٢)

ليس رسمٌ على الدّفين ببالٍ ... فلوَى ذروةٍ فجنبَيْ أُثالِ(٣)

تلك عِرسى قد عيّرتنى خِلالى ... أَلِبَينٍ تريد أم لدلالِ ؟(٤)

الغناء لطويس خفيف رمل لا شك فيه ، وفيه ثقيل أول ، ذكر على بن يحيى أنه لطويس أيضاً ، ووجدته فى صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفى الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر ، عن عبد الله بن موسى والهشامى .

(١) ومنها : من الأغانى التى غنى بها من شعره ، وليس المراد أن ما يأتى تتمة الأبيات السابقة .

(٢) الخناذيذ : جمع خنذيذ : الشجاع البهمة من الفرسان ، الشوحط : شجر صلب الألياف تتخذ منه القسى والقداح ، أو هو ضرب من النبع ، الشكة : ما يلبس أو يحمل من السلاح .

(٣) أثال : اسم جبل ، والبيت لا يخلو من التواء ، والذى نراه أنه يريد أن يقول : إن منازل الأحياء تبلى ، ولكن رسوم الموتى باقية ، فلدى ذروة من الذرا ، أو فى جانب جبل أثال يكون دفنى ودفن سواى ، وهذه الأماكن لا يعفى عليها الزمن .

(٤) خلالى : خصالى ، وهو مفعول ثان « لعيرتنى » .

صوت

لمن الدّيارُ كأنها لم تُحْلَلِ بجنوبِ أسنمةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ
درستْ معالمُها فباقي رسمِها خَلَقٌ كعنوان الكتاب المُحْوِلِ(١)
دارٌ لسُعدى إذ سعادٌ كأنها رشأ غضيضُ الطّرف رَخْصُ المَفْصِلِ(٢)

عروضه من الكامل ، جنوب أسنمة : أودية معروفة . والقُفّ : الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا [illegible] . والعنصل : بصل معروف .

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبيّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامي .

* * *

(١) محول : أتت عليه أحوال : سنون .
(٢) رخص المفصل : لينة المفاصل .

أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه

اسمه ونسبه

هو ربيعةُ بنُ مُقروم الضَّبِّىُّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمرِو بنِ عبد الله بنِ السِّيد ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أُدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضَر بن نزار .

شاعرٌ إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممن أصفَق(١) عليه كسرى، ثم عاش فى الإسلام زمانًا .

قال أبو عمرو الشيبانى :

يهجو ضابئ بن الحارث

كان ربيعةُ بن مقروم باع عَجْردَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم — لِقْحةً(٢) إلى أجل ، فلما بايعه وجد ابنُ مقروم ضابئَ بن الحارث عند عَجْرد ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابن مقروم يُعرّض بضابئ إنه أعان عليه وكان ضِلَعه(٣) معه :

٩١ / ١٩ أَعَجْرُ ابن المليحة إنَّ همّى إذا ما لَجّ عُذّالى لَعانِ(٤)

قوله : لعان أى عان من العناء، عنانى الشىء يعنينى ، وهو لى عانٍ .

يَرى مالاَ أرى ويقول قولاً وليس على الأمور بمستعان

ويحلِف عند صاحبه أثاة أحبُّ إلىَّ من تلك الثمان(٥)

(١) أصفق عليه : أطبق عليه وحبسه فى المشقر .
(٢) اللقحة : الناقة ذات لبن .
(٣) أى : وكان ضلع ضابئ مع عجرد .
(٤) فى هد ، هج «لعمر أبى المليحة» بدل «أعجر بن المليحة» ، وفى هج «إذا ما بج» بدل «إذا ما لج» .
(٥) المراد أنه حلاف للأيمان الباطلة .

وحامل ضِبِّ ضِغْنٍ لم يَضِرْنى ... بعيدٍ قلبُه حلوِ اللسان (1)

ولو أنى أشاء نقمتُ منه ... بِشَغْبٍ من لسانٍ تَيِّحان (2)

ولكنى وصلتُ الحبلَ منه ... مواصلةً بحبلِ أبى بيان

ترفّع فى بنى قَطَنٍ وحلّت ... بيوتَ المجد بينهنّ بانى (3)

يعنى حلّت بنو قطن بيوتَ المجد.

وضَمْرة إن ضمرةَ خيرُ جارٍ ... إلى قَطَنٍ بأسبابٍ متانِ (4)

هجانُ الحىِّ كالذهبِ المصفّى ... صبيحةَ ديمةٍ يجنيه جانِ (5)

قال أبوعمرو: الذهبُ فى معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيُتَتَبَّع ويُؤْخذ.

يمدح مخلصه من الأسر

قال أبو عمرو: وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واستِيقَ مالُه، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبى سلمى(6) بن ذُبيانَ بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السَّيِّد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله:

كَفانِى أبو الأشوسِ المنكراتِ ... كفاهُ الإلهُ الذى يَحْذَرُ

أعزُّ من السَّيِّدِ فى منصبٍ ... إليه العَزازة والمفخرُ (7)

---

(1) الضب: الضغن، وفى ب: «عبء ضغن» ولعل هذه الرواية أنسب، حتى لا يضاف الشىء إلى نفسه.

(2) الشغب: الشر والخصام، التيحان: من يتعرض للشدائد والمكرمات.

(3) فاعل ترفع ضمير «أبى بيان» فى البيت السابق، يعنى نفسه.

(4) ضمرة: معطوف على بنى قطن فى البيت السابق، وفى هج: «علقت له بأسباب متان» بدل «إلى قطن بأسباب متان».

(5) الهجان: الكريم الحسب، الديمة: السحابة الماطرة.

(6) فى هج: «سلم بن أبى ليلى».

(7) السيد: يطلق على الذئب والأسد، والمراد هنا الثانى.

وقال يمدحه أيضاً :

بَانَ الخليطُ فأمسى القلبُ معمودَا ... وأخلفتْكَ ابنةُ الحرِّ المواعيدا (١)

كأنها ظبيةٌ بِكْرٌ أطاع لها ... من حَوملٍ تَلَعاتُ الحيِّ أو أُودا (٢)

قامت تريكَ غداةَ البين مُنسدِلاً ... تخالُه فوق متنيها العناقيدا (٣)

وبارداً طيِّبا عذباً مذاقته ... شربتُه مَزَجاً بالظلم مشهودا (٤)

وجَسْرةٍ أُجُدٍ تَدمى مناسمُها ... أعملتُها بِيَ حتى تقطعَ البيدا (٥)

كأنها ، فأتت حتماً تكلُّفها ... ظهيرةٌ كأجيج النار صيخودَا (٦)

في مهمهٍ قَذُفٍ يُخشَى الهلاكُ به ... أصداؤه لا تَنِي بالليل تغريدا (٧)

لمّا تشكَّتْ إليّ الأينَ قلتُ لها : ... لا تستريحنَّ مالم ألقَ مسعودا (٨)

مالم ألاقِ امرأً جَزْلاً مواهبُه ... رحبَ الفِناء كريمَ الفعلِ محمودا

وقد سمعتُ بقوم يُحمَدون فلم ... أسمع بمثلِك لا حِلْماً ولا جودا (٩)

(١) الخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك ، معمودا : مضنى مريضا .

(٢) أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحي : روابيه العالية ، حومل ، أود : مكانان ، وإنما جر « أود » بالفتحة على معنى بقعة .

(٣) منسدلا : شعرا منسدلا ، فاعل تخالُه هي يعود على المحبوبة ، والمتنان : جانباها ، والمراد بالعناقيد عناقيد الشعر .

(٤) الظلم : ماء الأسنان وبريقها ، ويريد بالبارد الطيب ريق المحبوبة .

(٥) جسرة : ضخمة ، أى وناقة جسرة ، أجد : الناقة الأجد : القوية المتينة الأضلاع . المناسم : جمع منسم : طرف خف البعير أو الناقة .

(٦) صيخودا : شديدة الحرارة ، وهى صفة لظهيرة .

(٧) قذف : متراى الأطراف ، يتقاذف بمن يسلكه ، أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القتيل — فيما يزعم العرب — لايفتأ يصيح قائلا : « اسقونى » حتى يؤخذ بثأره .

(٨) الأين : التعب والإعياء ، وفى المختار : « لا تستريحين » بلا النافية بدل لا الناهية مع التوكيد كما فى ب .

(٩) فى ب : « بمثلك » بدل « بمثلك » والمثبت من هد ، هج ، وهو الصواب .

ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ولا أَخْبَرُ عنك الباطلَ السِّيدا (١)

السِّيد: قبيل الممدوح من آل ضبة.

لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه، ولا يُلْفَى عَطَاؤُكَ في الأقوام منكودا (٢)

وقد سبقتَ لغايات الجواد وقد أشبهتَ آباءك الشُّمّ الصناديدا

هذا ثنائي بما أوليتَ من حَسَنٍ لازلتَ برًّا قريرَ العينِ محسودا (٣) ٩٢ ١٩

يتقاضى دينه بشعر فيقضى

قال أبو عمرو: كان لضابئٍ بن الحارث البُرْجُمِيّ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَمًا، واستخار الله في ذلك، وبايعه ربيعة بن مقروم، ولم يستخر الله تعالى، ثم خافه ضابئٌ فاستجار بربيعةَ بن مقروم في مطالبته إياه، فضمن له جواره، فوفّى عَجْرَدٌ لضابئٍ، ولم يف لربيعة، فقال ربيعة:

أعَجْرَدُ إني من أمانيّ باطلٍ وقولِ غدًا شيخٌ لذاك سؤوم (٤)

وإنّ اختلافي نصفَ حولٍ محرَّمٍ إليكم بني هندٍ عليّ عظيم (٥)

فلا أعرفنّي بعد حولٍ محرَّمٍ وقولٍ خلا يُشْكُونَني فألوم (٦)

ويأتوا وُدِّي وعِطاني بعد ما تناشَدَ قولي وائلٌ وتميمُ (٧)

(١) الباطل: مفعول ثان لأخبر، والسيد: مفعول أول متأخر.

(٢) موجود عليه: من الوجد بمعنى الغيظ والاضطغان.

(٣) المختار، هد، هج: «لا زلت عوض» بدل «لا زلت برا» وعوض: ظرف زمان بمعنى أبدا.

(٤) شيخ: خبر إني: يريد أنه يسأم التسويف والأماني الباطلة.

(٥) أضاف السنة إلى أول شهورها فقال: «نصف حول محرم» يقول: لقد ترددت عليكم نصف عام في طلب ديني، وهذا كثير.

(٦) يشكونني: مضارع أشكاه: أزال أسباب شكواه، يقول: لا يكن منهم أنهم ينصفونني، ويردون إلى ديني بعد مرور عام، وبعد أن سار شعري فيهم، فألوم نفسي على ما قلت.

(٧) هذا البيت تتمة ما قبله، أي وحيننا يأتون ودي بعد أن ذهب شعري فيهم مذهب الأمثال، وحذفت نون «يأتوا» بعد واو المعية الواقعة بعد النهي في البيت السابق «لا أعرفني».

وإن لم يكن إلا اختلافي إليكم ... فإني امرؤٌ عِرضي عليّ كريم
فلا تُفسِدوا ما كان بيني وبينكم ... بني قَطَنٍ إنّ المُليم مُليمُ (١)

فاجتمعت عشيرةُ عجرَدٍ عليه، وأخذوه بإعطاء ربيعة ماله، فأعطاه إياه.

حماد الراوية يثرى على حسابه

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني حمّادُ بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم ابن عديّ، عن حمّاد الرّاوية، قال:

دخلتُ على الوليد بن يزيدَ، وهو مُصطبِح، وبين يديه معبد، ومالك، وابن عائشة وأبو كامل، وحكم الوادي، وعمر الوادي يُغنّونه، وعلى رأسه وصيفة تسقيه، لم أرَ مثلها تماماً وكمالا وجمالاً. فقال لي: يا حماد، أمرتُ هؤلاء أن يغنّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة، وجعلتُها لمن وافق صفتها نِحلةً (٢) فما أتى أحدٌ منهم بشيء، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها، وهي لك؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضبّيّ:

دارٌ لسُعدى إذ سُعاد كأنها ... رَشأٌ غريرُ الطَّرفِ رخصُ المِفصَلِ (٣)
شمّاءُ واضحةُ العوارضِ طَفلةٌ ... كالبدر من خَلَلِ السحاب المنجلي (٤)
وكأنما ريحُ القرنفُلِ نشرُها ... أو حَنْوةٌ خَلَطت خُزامى حَوْمَلِ (٥)
وكأنّ فاها بعد ما طرَق الكرى ... كأسٌ تُصَفَّقُ بالرحيق السلسلِ

(١) المليم: من أتى عملا يحق عليه اللوم، يريد أن يقول: إن المذنب هو المذنب، فلا يلقى المذنب التبعة على سواه.

(٢) نحلة: عطاء.

(٣) هذا البيت تكملة من المختار.

(٤) العوارض: جمع عارضة: الثنية من الأسنان، أو صفحة الخد، طفلة: ناعمة رخصة.

(٥) الحنوة: الريحانة، الخزامى: نبات عطرى الرائحة، حومل: اسم مكان. يقول: كأن ريحها ريح القرنفل، أو ريح الريحان المخلوط بخزامى حومل.

لو أنها عرضت لأشمطَ راهبٍ ... فى رأس مُشرفةِ الذُّرا متبتّلِ [(١)]

جار ساعاتِ النّيامِ لربِّهِ ... حتى تخدَّدَ لحمُه مستعمِلِ [(٢)]

... حَديثِها ... ولهمَّ من ناموسه بتنزُّلِ [(٣)]

، فاخترها أو ألف دينار ، اخترت الألف الدينار ،

ت المال

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّده وحسنه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

صوت

بل إنْ ترَىْ شَمَطاً تفرَّعَ لِمَّتى ... وحَنَا قناتِى وارتقى فى مِسْحَلى [(٤)]

ودَلَفْتُ من كِبَرٍ كأنِّىَ خاتلٌ ... قَنَصاً ومن يدْبِبْ لصيدٍ يختِلِ [(٥)]

فلقد أُرَى حَسَنَ القناة قويمَها ... كالنَّصْل أخلصه جَلاء الصَّيقَلِ [(٦)]

أزمانَ إذْ أنا والجديدُ إلى بلًى ... تُصبِى الغوانى مَيْعَتى وتنقُّلِى [(٧)]

(١) الأشمط : المخالط سواد شعره ببياض ، فى رأس مشرفة الذرا : فى رأس قمة عالية ، متبتل : متعبد ، وجواب الشرط فيما يأتى .

(٢) جآر : مبالغة من جأر : رفع صوته والمراد رفع الصوت بالتسبيح ونحوه ، وهو صفة لأشمط فى البيت السابق ، تخدد لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل ، مستعمل : مستعمل أعضاءه فى أعمال التعبد ، وربما كانت « يتعمل » بمعنى متكلف العمل ، مرغم نفسه عليه .

(٣) لصبا : جواب « لو » فى البيت الرابع ، الناموس : بيت الراهب . وخلاصة المعنى أن هذه الفاتنة لو عرضت لراهب هذه صفته لمال إليها ، وكاد يولى وجهه شطرها لا شطر القبلة .

(٤) الخطاب فى البيت لمحبوبته أو زوجته ، الشمط : ابيضاض يخالط سواد الشعر ، تفرع لمتى : انتشر ، وتفشى فيها ، حنا قناتى : قوس ظهرى ، المسحل : جانب اللحية .

(٥) الختل : الخداع ، شبه مشيه الشيخ الوئيدة بمشية من يريد مباغتة الطير ليصيده ، فهو يتئد فى سيره ، حتى لا يحدث حركة .

(٦) البيت جواب « ان ترى شمطا » حسن القناة : مفعول ثان « لأرى » بالبناء للمجهول ، يقول : إن شوه الشيب منظرى اليوم فقد كنت بالأمس حسن القوام .. الخ .

(٧) جملة « والجديد إلى بلى » معترضة بين المبتدأ وخبره ، الميعة من كل شىء : أوله ، والمراد هنا عهد الشباب .

غنى بذلك معبد ثقيلا أول :

٩٣ ولقد شهدتُ الخيلَ يوم طِرَادها ... بسَليمِ أوظفةِ القوائم هَيكَلِ (١)
١٩ متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشَّوى ... سبّاقِ أندية الجياد عَمَيْثَلِ (٢)
لولا أُكفكِفُه لكان إذا جرى ... منه العزيمُ يدقُّ فأسَ المِسحلِ (٣)
وإذا جرى منه الحميمُ رأيته ... يهوِى بفارسِه هُوِيَّ الأجدلِ (٤)
وإذا تعلَّلَ بالسِّياط جيادُها ... أعطاك نائيه ولم يتعلّلِ (٥)
ودعَوْا: نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ ؟
ولقد جمعتُ المالَ من جَمْعِ امرئٍ ... ورفعتُ نفسي عن لَئيمِ المأكلِ (٦)
ودخلتُ أبنية الملوك عليهمُ ... ولَشرُّ قولِ المرء ما لم يُفعَلِ
ولرُبَّ ذى حَنَقٍ علىَّ كأنما ... تَغلِى عداوةُ صَدْرِه كالمِرْجلِ (٧)

(١) سليم : صفة موصوف محذوف أى : بفرس سليم .. الخ . أوظفة : جمع وظيف : مستدق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هيكل : ضخم .

(٢) متقاذف : سريع ، شنج : منقبض ، النسا : عصب الورك يمتد منه إلى الكعب ، عبل الشوى : مندمج الأطراف ، عميثل : ضخم قوى ، « أندية الجياد » نرجح أنها تحريف آبدة الجياد أى :
١ سباق الجياد الشاردة .

(٣) العزيم : الجرى ، المسحل : اللجام ، فأس المسحل : حديدته التى فى حنك الفرس ، يقول : لولا أنى أزجره ، وأخففه ، من وطأة سيره لقضم فأس اللجام ، وفى هد ، هج ، والمختار : « الشكيم » بدل « العزيم » .

(٤) الحميم : العرق ، الأجدل : الصقر ، وسيلان العرق : كناية عن الحمو والإيغال فى العدو .

(٥) جيادها : جياد الخيل ، أى إذا احتاج جياد الخيل إلى السياط أعطاك هو المكان النائى دون
٢ حاجة إليها ، وفى هج : « أعطاك ثانية » بدل « أعطاك نائيه » .

(٦) تنكير امرىء هنا للتعظيم ، أى : من جمع امرىء عظيم كريم وفى هج « لئيم المنزل » .

(٧) فى المختار ، هد ، هج : « وألد ذى حنق » .

أزْجَيْتُهُ عنّى فأبصرَ قصدَه   وكويتُه فوق النَّواظرِ من علِ (١)
وأخى مُحافظةٍ عَصَى عُذّاله   وأطاع لذّته مُعَمٍّ مُخوِلِ
هشٍّ يُرَاحُ إلى النّدى نبّهتُه   والصبحُ ساطِعُ لونِه لم يَنْجَلِ (٢)
فأتيتُ حانوتا به فصبَحْتُه   من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتَلِ (٣)
صهباءَ إلياسيّةٍ أغلى بها   يَسَرٌ كريمُ الخِيم غيرُ مُبخَّلِ (٤)
ومُعَرَّسٍ عُرْضِ الرداء عرَسْتُهُ   من بعد آخرَ مثلِه فى المنزلِ (٥)
ولقد أصبتُ من المعيشة لِينَها   وأصابنى منه الزمانُ بكلكلِ
فإذا وذاك كأنه ما لم يكن   إلا تذكُّره لمن لم يجهلِ (٦)
ولقد أتتْ مائةٌ علىّ أعدُّها   حَوْلاً فحولا لا بَلاها مُبتلِ
فإذا الشّباب كمِبْذَلٍ أنضيتُه   والدهرُ يُبلِى كلَّ جِدّةِ مِبْذلِ (٧)
هلّا سألتِ وخُبْرُ قومٍ عندهم   وشفاءُ غَيِّكِ خابرا أن تسألى (٨)
هل نُكرم الأضيافَ إنْ نزلوا بنا   ونسودُ بالمعروف غيرَ تنحُّلِ ؟ (٩)

(١) أزجيته : دفعته ، وفى بعض النسخ : « أوجيته » والمعنى واحد .

(٢) يراح إلى الندى : يرتاح إليه ، وفى المختار : « ساطع ضوئه » .

(٣) العاتق : الخمر المعتقة .

(٤) إلياسية : نسبة إلى إلياس ، ولعله اسم الخمار ، وفى هد ، هج : « صافية القذى » بدل « إلياسية » يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر ؛ وفى المختار : « إبلية » .

(٥) المعرس : مكان التعريس : الإقامة ليلا ، وفى هج : « عرض الندى » بدل « عرض الرداء » .

(٦) لعل الأحسن « فإذا هذا وذاك » فحذف المعطوف عليه ، وقد تكون « فإذا » تحريف « هذا » فلا نحتاج إلى تقدير .

(٧) المبذل : الثوب يلبس فى المهنة .

(٨) جملة « وخبر قوم .. الخ البيت » اعتراض بين السؤال والمسئول عنه ، خابرا : مفعول مقدم لقوله : « أن تسألى » .

(٩) غير تنحل . غير ادعاء وكذب . ويروى : غير تبخل .

وتحلّ بالثغر المخوف عدوُّه ونردُّ حالَ العارض المتهلِّل (١)
ونُعين غارمَنا ونمنع جارَنا ونزينُ مولى ذِكْرِنا فى المحفِل (٢)
وإذا امرؤٌ منا حَبا فكأنَّه مما يُخافُ على مناكب يَذْبُلِ (٣)
ومتى تَقُمْ عند اجتماع عشيرةٍ خطباؤنا بين العشيرة يُفْصَل (٤)
ويرى العدوُّ لنا دروءاً صعبةً عند النجوم منيعةَ المتأوّل (٥)
وإذا الحمالةُ أثقلت حُمّالَها فعلى سوائمنا ثقيلُ المحمِلِ (٦)
ونحُقُّ فى أموالنا لحليفنا حقًّا يبوء به وإن لم يَسْأَلِ

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغانىَ من أشعار النهود، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة، فمن ذلك:

(١) العارض المتهلل : السحاب المعترض فى الأفق ، ولعله يقصد به الجيش العرمرم .

(٢) المولى : من معانيه الصديق ، يريد أن الصديق إذا ذكرهم فى محفل وجد ما يقوله .

(٣) يذبل : اسم جبل .

(٤) يفصل : جواب « متى » ، يريد أن خطباءهم أرباب القول الفصل فى الخصومات التى تقع بين العشائر . وفى المختار : تفصل .

(٥) الدروء : جمع درء ، وهو النتوء فى الجبل ، المتأول : من تأول الأمر : توسمه وتحراه ، يريد أن لهم مراكب وعرة ، لا يتوسمها أو يتحرى سلوكها إنسان .

(٦) الحمالة : ما يحمل فى الديات ونحوها ، السائمة : الماشية ، يريد أن إبلهم تتكفل بأداء الحمالات المطلوبة ، وإن ثقل محملها .

صوت

أنّى تذكّر زينبَ القلبُ وطِلابُ وصلِ عزيزةٍ صعبُ
ما روْضَةٌ جاد الربيع لها موشّيّةٌ ما حولها جدْبُ ٩٤
بألذَّ منها إذ تقول لنا سيرًا قليلا يَلْحقِ الركْبُ (١) ١٩

الشعر لأوس بن ذبّى القرظى ، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وزعم عمرو أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى لمالك ، وأن فيه صنعة لابن محرز ، ولم يجنسها .

(١) سيرا : مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى : سيروا على مهل حتى نلحق بكم : رفقا بالقوارير .

أخبار أوس ونسب اليهود
النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن دَنِىّ اليهودىُّ رجل من بنى قُرَيْظَة ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخى موسى بن عمرانْ صلى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولا بنوَاحِى يثربَ بعد وفاة موسى ابنِ عمرانَ عليه السلام ، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب .

عن العمالقة فى المدينة

أخبرنى بذلك علىُّ بنُ سليمان الأخفشُ ، عن جعفر بن محمد العاصى [1] عن أبى المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبى ، عن أبى سليمان : جعفر بن سعد ، عن العمارى ، قال :

كان ساكنُو المدينة فى أول الدهر قبل بنى إسرائيل قوما من الأمم الماضية ، يقال لهم :العماليق ، وكانوا قد تفرقوا فى البلاد ، وكانوا أهل عز وبغى شديد ، فكان ساكنِى المدينةِ منهم بنُو هف [2] وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له : الأرقم ، يقال ما بين تَيْماء إلى فَدَكَ ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشا من بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم ، ولا يستبقُوا منهم أحداً ، فقدم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم الله عز وجل على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم ؛ فإنه كان وضيئا جميلا ، فضنُّوا به على القتل ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ،

(١) فى هج : « محمد بن عاصم » وفى هد : « محمد العاصى » .
(٢) فى هج : « بنو نعف » .

فوجدوا موسى — عليه السلام — قد توفى ، فقالت لهم بنو اسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا : أظهرنا الله جل وعز عليهم ، فقتلناهم ، ولم يبق منهم أحد غيرُ غلام كان شابا جميلا ، فنفسنا به عن القتل ، وقلنا : نأتى به موسى عليه السلام ، فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية : قد أُمِرتم ألاّ تستبقوا منهم أحدا ، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً .

أول استيطان اليهود المدينة

فلما مُنِعوا ذلك قالوا : ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم(١) ، فنقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوها ، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة ، فانتشروا فى نواحى المدينة كلها إلى العالية ، فاتّخذوا بها الآطام(٢) والأموال والمزارع ، ولبثوا بالمدينة زمانا طويلا .

بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم

ثم ظهرت الروم على بنى إسرائيل جميعا بالشام ، فوطئوهم ، وقتلوهم ، ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النَّضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل(٣) هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بنى إسرائيل لمّا غلبتهم الروم على الشام ، فلما فصلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الروم فى طلبهم ؛ ليردهم ،

٩٥
١٩

فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوزَ ، فلما بلغ طلبُ الروم التمر(٤) انقطعت أعناقهم عطشا ، فماتوا ، وسمى الموضع تمر الروم ، فهو اسمه إلى اليوم ، فلما قدم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابَة ، فوجدوها وَبِيَّة(٥) فكرهوها ، وبعثوا رائدا أمروه أن يلتمس لهم منزلا سواها ، فخرج حتى أتى العالية ، وهى بُطحانُ ومَهزُورٌ : واديان من حَرَّة على تلاع أرض عذبة ، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشجر ، فرجع إليهم ، فقال :

(١) فى بعض ب : « نرجع اليها » .
(٢) الآطام : جمع أطم بضمتين ، أو أطم بضم فسكون : الحصون ، أو كل بناء مرتفع .
(٣) فى بعض النسخ : « هدل » .
(٤) فى هد ، هج : « الثمد » .
(٥) وبية : تخفيف وبيئة — بالهمز — بمعنى كثر فيها الوباء .

قد وجدتُ أكرم بلداً مليا نزِها على حَرّة يصب فيها واديان على تلاع عذبة ومَدرة[١] طيبة في مُتأخَّر الحرة ومدافع الشَّرْج ، قال : فتحوّل القومُ إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتخذوها أموالا ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقى[٢] من بُعاثَ وسموات[٣] ، فكان ممن يسكن المدينة — حين نزلها الأوس والخزرج — من قبائل بني إسرائيل بنو عكرمة[٤] ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر[٥] ، وبنو زغورا[٦] ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيص[٧] ، فكان يسكن يثربَ جماعةٌ من[٨] أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ، ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال له : الخال .

بطون من العرب بالمدينة

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم: بنو الحرمان[٩] : حي من اليمن ، وبنو مَرْثد حي من بليّ ، وبنو أُنَيْف ، من بليّ أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بَهْثة ، وبنو الشظية : حي من غسّان ، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود: الكاهنان ، نُسبوا بذلك إلى جدهم الذي

(١) مدرة : تربة .
(٢) لعلها « وما بقي » بدل « وماسقى » .
(٣) في ب : « سمرات » وفي آخر: « سمران » .
(٤) في هد ، هج : « بنو عكوة » .
(٥) في ب : « محمم » .
(٦) في ب : « بنو زعورا » بالعين المهملة بدل « بنو زغورا » وفي أخرى : « بنو زرعوا » .
(٧) في هد ، هج : « بنو القصص » .
(٨) في هد ، هج : « جماع من أمناء اليهود » .
(٩) في هد : « بنو الحرماء » .

يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمَران والحسنان والقمران(١) ، قال كعب بن سعد القرظيّ :

بالكاهنين قررتمْ فى دياركمُ جمًّا ثواكم ومن أجلاكم جَدُبا(٢)

وقال العبّاس بن مرداس السُّلمى يردّ على خوّات بن جبير لمّا هجاهم :

هجوتَ صريحَ الكاهنَيْن وفيكمُ لهم نِعَمٌ كانت مدى الدهر تُرتُبا(٣)

حروب آخرون يلحقون بإخوانهم

فلما أرسل الله سيلَ العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : من كان ذاجَمَل مِفَنّ ووطب مدنّ وقربة وشنّ ، فليلحق عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يومُ همّ(٤) وليلحق بالثِّنْى من شنّ — قال وهو بالسراة — فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومن كان ذا فاقة وفقر ، وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مُرّ ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير ، فليلحق ببُصْرى والحفير ، وهى من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم : ومن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عُمَان الجديد ، فكان الذين نزلوه أزد عمان ، ثم قال : ومن كان يريد الرّاسخاتِ فى الوَحْل ، المطعمات فى المَحْل ، فليلحق بيثرب ذات النخل .

الأوس والخزرج يعانون شظف العيش بالمدينة

فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج ، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا

(١) العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين ، والقمران : الشمس والقمر ، ويسمى هذا فى اللغة تغليب .

(٢) جما ثواكم : كثيرة إقامتكم ، وفى هد ، هج بدل المصراع الثانى: « إذ فرقوا هام من أجلاكم حدبا » .

(٣) ترتبا : أمرا ثابتا .

(٤) المفن : ذو الفن ، فلعله يعنى تفنن الجمل فى ضروب السير . الوطب : الإناء يسقى فيه اللبن وغيره ، ولعلها « ووطب ودن » ، يوم هم : يوم همة وعزيمة .

فى صِرار[1] ثم تفرقوا ، وكان منهم من لجأ إلى عَفاء[2] من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا
به ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قُراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج ٩٦
فى منازلهم التى نزلوها بالمدينة فى جهد وضيق فى المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ ١٩
لأن المدينة ليست بلاد نَعَم ، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع ، وليس للرجل منهم
إلا الأعْذَاقُ[3] اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ،
فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا .

أبو جبيلة يفتك باليهود

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبى جُبَيْلة الغسانى وهو يومئذ مَلِك غسان ، فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضى إلى قومه ، وقال له : أعلمهم أنى سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبى جُبَيْلة ؛ ثم قال لليهود : إن الملكَ يريد زيارتكم فأعِدُّوا نُزُلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام فى جمع كثيف ، حتى قدم المدينة ، فنزل بذى حُرُض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذى قدم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رءوسهم وأشرافهم ، وخشى إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا فى آطامهم ، فيمتنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم ، فأمر ببنيان حائر[4] واسع ، فبُنِى ، ثم أرسل إلى اليهود : أن أبا جبيلة الملكَ قد أحب أن تأتوه ، فلم يبق وجهٌ من وجوه القوم إلا أتاه ، وجعل الرجل يأتى معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبُوَهم ، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر ، ويدخلوهم

(١) صرار : موضع على قرب من المدينة .

(٢) عفاء : يباب .

(٣) الأعذاق : جمع عذق – بفتح العين – وهو النخلة بحملها .

(٤) الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحير ، ولا يخرج .

رجلا رجلا ، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلهم الجند الذين فى الحائر ، حتى أتوا على آخرهم. فقالت سارة القريظية ترثى مَنْ قُتل ، منهم أبو جُبيلة ، تقول :

سارة القريظية ترثى قومها

بنفسى أمّةٌ لم تُغْنِ شيئاً … بذى حُرُضٍ تُعَفِّيها الرياحُ
كُهولٌ من قُريظة أتلفتْها … سيوفُ الخزرجيّة والرّماحُ
رُزِئْنا والرزيّة ذات ثِقْلٍ … يَمُرُّ لأهلِها الماء القَراحُ
ولو أرِبُوا بأمرهمُ لجالت … هنالك دونهم جأْوَا رَداحُ(١)

الرمق يمدح أبا جبيلة

وقال الرّمق(٢)، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغسانى :

لم يَقْضِ دينُك فى الحسا … نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا(٣)
الرّاشقاتِ المرشقا … تِ الجازياتِ بما جُزِينا(٤)
أمثال غِزلانِ الصرا … ئمِ يأتزِرن ويرتدينا(٥)

(١) أربو : كانوا من ذوى الأرب - بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الراء - بمعنى الفطنة والحلق ، الجأوا : مقصور الجأواء : من أوصاف الكتيبة ، رداح : كثيرة العدد ، وفى بعض المراجع ورد البيت على هذا النحو :

ولو أذنوا بحربهمو لجالت … هنالك دونهم حرب رداح

(٢) فى بعض النسخ : « الوسق » وفى آخر : « الربيق » .

(٣) غنيت ، غنين : أقمت وأقمن : من غنى بالمكان أقام به ، أى : لم تنل مرادك من الحسان من غير نأى ولا بعد ، فأنت وهن فى مكان واحد .

(٤) الراشقات : الراميات بسهام العيون ، المرشقات : من أرشق الظبى : مد عنقه .

(٥) الصرائم : جمع صريمة : القطعة من الرمل .

الرَّيْطَ والدِّيـ ـاجَ والزَّرْدَ المضاعف والبُرِينا[1]
وأبو جُبيْلة خيرُ من يمشى وأوفاهم يمينا
وأبرُّه بِرًّا وأعْلَمُهُ بعلم الصالحينا[2]
أبقت لنا الأيامُ والحربُ المهمَّةُ تعترينا
كبشًا لنا ذَكَرًا يفلُّ حسامُه الذكرَ السَّنينا[3]
ومعاقلا شُمًّا وأسيافا يَقُمْنَ وينتحينا
ومحلّة زوراء ترجف بالرجال المُصلتينا[4]

97
19
فلما أنشدوا أبا جُبَيْلة ما قال الرمق ، أرسل إليه ، فجىء به ، وكان رجلا ضئيلا غير وضىء ، فلما رآه قال : «عسل طيب ووعاء سوء» ، فذهبت مثلا ، وقال للأوس والخزرج : إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل إلى الشام . بقية خبر أبي جبيلة

وقال الصامت بن أصرم النَّوْفلىّ يذكر قَتْل أبى جبيلة اليهود :

سائل قُرَيظةَ مَن يُقَسِّم سَبْيَها يوم العُرَيْض ومن أفاء المغنما ؟
جاءتهمُ الملحاءُ يخفق ظلُّها وكتيبةٌ خشناءُ تدعو أسلما[5]
عمِّى الذى جلب الهمامَ لقومه حتى أحلّ على اليهود الصَّيْلَمَا[6]

(١) الريط : مفعول يرتدين فى البيت السابق ، وهى الثياب اللينة الرقيقة ، وفى هد ، هج . « الحمل » بدل « الزرد » وهو أنسب ، والحمل : القطيفة ونحوها . والبرين ، جمع برة : الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك .

(٢) فى هد ، هج : « بفعل الصالحينا » .

(٣) الكبش : سيد القوم المدافع عنهم ، الذكر السنين : السيف المسنون ، وفى ب : « الثمين » بدل « السنين » وهو تحريف .

(٤) زوراء : بعيدة ، يريد بعيدة المنال ، المصلتين : المجردين سيوفهم .

(٥) الملحاء : الكتيبة العظيمة ، الخشناء : كثيرة السلاح .

(٦) الصيلم : الداهية الشديدة ، أو اسم من أسماء السيف ، وفى ب : « عى » بدل « عمى » وهو تحريف .

مالك بن العجلان يقتص أثر أبي جبيلة

يعني بقوله : « مَن يتيمّم بيتَها » نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة ، وكان رآهن فأعجبنه ، وأعطى مالك بن العجلان منهن امرأة .

قال أبو المنهال أحدُ بني المعلَّى : إنهم أقاموا زمنا بعد ما صنع ، ويهود تعترض عليهم ، وتُناوِئهم ، فقال مالك بن العجلان لقومه : والله ما أُثخنّا يهودَ غلبةً كما نريد ، فهل لكم أن أصنع لكم طعاما ، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعا ، فقالوا : نفعل ، فلما جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قتَل أبو جُبَيْلة منا مَنْ قتل ، فقال لهم مالك : إن ذلك كان على غير هوًى منا ، وإنما أردنا أن نمحوَه ، وتعلموا حالَكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقُتِل ، حتى قتَل منهم بضعة وثمانين رجلا ، ثم إن رجلا منهم أقبل حتى قام على باب مالك ، فتسمّع فلم يسمع صوتا فقال : أرى أسرعَ وِرْدٍ وأبعدَ صَدَرٍ[1] ، فرجع وحذّر أصحابه الذين بقُوا ، فلم يأتِ منهم أحدٌ ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان :

فَسُقِّيتَ قَيْلَةَ أحلامَها ففيمَن بقيتَ وفيمن تَسودْ ؟[2]

فقال مالك :

فإني امرؤ من بني سالم بنِ عَوْفٍ وأنت امرؤ من يهودْ

قال : وصوّرت اليهود مالكا في بِيَعِهم وكنائسهم ، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها ، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله :

تَحامِي اليهودِ بتَلْعانِها تَحامِي الحميرِ بأبوالها[3]

(١) يريد إن دخل لا يرجع .

(٢) قيلة : أم الأوس والخزرج ، أحلامها : بدل من قيلة ، وفي ب بدل المصراع الأول « فقيت قبلة أخلافها » وهو تحريف .

(٣) تحامي : مصدر تحامى ، يريد أنهم يحاولون الحماية بلعنه في الكنائس كما تحمي الحمير نفسها ببولها ، وفي ب « تخافي » – بالنون – وهو تحريف .

فماذا عليّ بأن يلعنوا ... وتأتى المنايا بأذلالها[١]

اليهود يذلون للعرب

قال : فلما قَتَل مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا ؛ وقلّ امتناعُهم؛ وخافوا خوفا شديدا ؛ وجعلوا كلما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشىء يكرهونه لم يمشِ بعضُهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودىّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعززون بهم .

يهودية تعتنق الإسلام

وذكر أبو عمر والشيبانى أن أوسَ بنَ دِبِّى القرظى كانت له امرأة من بنى قريظة أسلمت وفارقته ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه فى الإسلام ، فقال فيها :

دَعتْنِي إلى الإسلام يومَ لقيتُها ... فقلت لها : لا بل تعالَىْ تهوّدِى

فنحن على توراة موسى ودينهِ ... ونِعم لعمرى الدينُ دِينُ محمد

٩٨ كلانا يرى أن الرّسالةَ دينهُ ... ومن يُهْدَ أبوابَ المراشد يَرْشُدِ[٢]

١٩

ومن الأغانى فى أشعار اليهود :

(١) أذلال : جمع ذل — بفتح الذال — بمعنى الطريق الممهد ، أى وماذا يضيرنى من لعنهم ، والمنايا تسير فى طرقها إليهم ؟ (أو سبوهم سبًّا وراحوا بالإبل) .

(٢) فى هد ، هج : « الرشادة » بدل « الرسالة » .

صوت

أعاذلتى ألَا لَا تعذلينى فكم من أمرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعينى وارشُدى إن كنتُ أغْوَى ولا تغوَىْ زعمتِ كما غوَيتُ
أعاذلَ قد أطلتِ اللومَ حتّى لوَ انّى منتهٍ لقد انتهيتُ
وحتى لو يكونُ فتَى أُناسٍ بكى من عَذل عاذلةٍ بكيتُ
وصفراء المعاصِم قد دعتنى إلى وصلٍ فقلتُ لها : أبيتُ
وزِقٍّ قد جررتُ إلى النَّدامى وزِقٍّ قد شَرِبتُ وقد سَقيتُ

الشعر للسموءل بن عاديا — فيما رواه السكرى عن الطوسىّ — ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق فى الأول والثانى والرابع والخامس من الأبيات؛ وزعم ابن المكى أنه لمعبد، وزعم عمرو ابن بانة أنه لمالك، ولدَحمان أيضا فى الأول والثانى والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكى أن هذا الرمل لابن سريج، وفى الأول والثانى والسادس رمل بالوسطى، لأبى عبيد مولى فائد ثانى ثقيل عن يحيى المكى، وزعم الهشامى أن الرمل لعبد العزيز الدفاف .

أخبار السموءل ونسبه

هو السموءل بن عُرَيض بن عاديا، بن حباء[1]، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد ابن سلام والسكرى عن الطوسى وابن حبيب، وذكر أن الناس يُدرِجون عُرَيضا فى النسب، وينسبونه إلى عاديا جده، وقال عمر بن شبة: هو السموءل بن عاديا، ولم يذكر عريضا.

وحكى عبد الله بن أبى سعد عن دارم بن عقال وهو من ولد السموءل — أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وهذا عندى محال؛ لأن الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشرة بل أكثر، والله أعلم.

من مفاخر السموءل

وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون ابن عمران، وكان هذا الحصن لجده عاديا، واحتفر فيه بئراً رَوِية عذبة، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها، قال السموءل:

فبالأبلقِ الفردِ بيتى به ... وبيتُ النضير سوى الأبلقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصن:

بنى لى عاديا حِصناً حصيناً ... وماءً كلما شئتُ استقيتُ

وكانت العربُ تنزل به، فيضيفها، وتمتارُ من حصنه، وتقيم هناك سوقا.

(١) فى هد: «عاديا بن حيا»، وفى هج: «عاديا بن حيرا».

وبه يُضرب المثل فى الوفاء لإسلامِه ابنه حتى قُتِل ، ولم يخن أمانته فى أدْرَاع أودِعَها .

امرؤ القيس يفد عليه
٩٩
١٩

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبى — أن امرأ القيس ابنَ حُجْر لمّا سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموءل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببنى كنانة على أنهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله ، وتفرقهم عنه ، حتى بقى وحده ، واحتاج إلى الهرب ، فطالبه المنذر بن ماء السماء ، ووجه فى طلبه جيوشا من إياد وبهراء وتنوخ وجيشا من الأساورة أمده بهم أنوشروان ، وخذلته حِمْيَر ، وتفرقُوا عنه : فلجأ[1] إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأم الذيول ، وكانت الملوك من بنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك[2] ، ومعه بنته هند ، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال كان بقى معه ، ورجل من بنى فزارة يقال له : الربيعُ بن ضَبُع شاعر ، فقال له الفزارىّ : قل فى السموءل شعراً تمدحه به ، فإن الشعر يعجبه ، وأنشده الربيع شعرًا مدحه به وهو قوله :

ولقد أتيتُ بنى المُضاضِ مُفاخراً ‏ ‏ ‏ وإلى السموءل زرتهُ بالأبلقِ[3]
فأتيتُ أفضلَ مَن تحمَّل حاجةً ‏ ‏ ‏ إنْ جئتَه فى غارمٍ أو مُرهَقِ[4]
عَرَفَتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ ‏ ‏ ‏ وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَقِ

(١) فلجأ ... الخ : تكرار لجملة « نزل على السموءل » التى تقدمت ، وذلك لطول الفصل .
(٢) فى بعض النسخ : « يتوارثونها ملكا عن ملك » بالنصب على الحالية ، لا بالرفع على البدلية ، كما فى ب ، وكلاهما صحيح .
(٣) المختار ، هد ، هج « بنى المضاض » بالضاد المعجمة ، لا بالصاد المهملة ، كما فى ب ، وفى بعض النسخ : « جئته » بدل « زرته » .
(٤) فى المختار : « فى موثق أو مرهق » .

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته :

طرقتكَ هندٌ بعد طول تجنُّبٍ ... وَهْنًا ولم تكُ قبل ذلك تطرُقُ

قال : وقال الفزارى : إن السموءل يمنَع منك حتى يرى ذاتَ عينك ، وهو فى حصن حصين ومال كثير ، فقدم به على السموءل ، وعرفه إياه ، وأنشداه الشعر ، فعرف لهما حقَّهما ، وضرب على هند قُبَّةً من أَدَم ، وأنزل القوم فى مجلس له بَرَاح ، فكانت عنده ما شاء الله (١) .

امرؤ القيس يودعه ودائعه ويرحل

ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب معه رجلا يدله على الطريق ، وأودع بنيه (٢) وماله وأدراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلّف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم فى بعض غاراته بالأبلق ؛ ويقال : بل الحارث بن أبى شَمِر الغسانى ؛ ويقال ، بل كان المنذر وجه بالحارث بن ظالم فى خيل ، وأمَرَهُ بأخذ مال امرىء القيس من السموءل . فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يفَع وخرج إلى قَنَص له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابنى ، قال : أفتسلِّم ما قِبلَك أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلستُ أخفِر ذمّتى ، ولا أسلم مال جارى ، فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل فى ذلك :

يضحى بابنه فى سبيل الوفاء بعهده

وفيتُ بأدرُع الكِندىّ إنى ... إذا ما ذُمَّ أقوامٌ وفيتُ
وأوصَى عاديًا يومًا بألّا ... تُهدِّم يا سموءلُ ما بنيتُ
بنى لى عاديًا حصنًا حصينًا ... وماءً كلما شئتُ استقيتُ

(١) فى هد : « فأقاما عنده ما شاء الله » .
(٢) فى هد : « وأودع أمته » ، وفى هج : « وأودع ابنته » .

الأعشى يستجير بابنه شريح

وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح[١] بن السموءل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به، فأسره، وهو لا يعرفه، فنزل بشريح بن السموءل، وأحسن ضيافته، ومرّ بالأسرَى، فناداه الأعشى:

شُريحُ لا تُسْلِمَنِّي اليومَ إذا علِقتْ ... حبالَك اليوم بعد القيد أظفاري[٢] ١٠٠
قد سرتُ ما بين بلقاء إلى عدنٍ ... وطال في العُجم تَكراري وتَسياري[٣] ١٩
فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم ... عَقْداً أبوكَ بعُرفٍ غير إنكارِ
كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسِد الضاري
كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ كسواد الليل جرّار[٤]
إذ سامه خُطّتَيْ خسفٍ فقال له: ... قل ما تشاء فإني سامعٌ حار[٥]
فقال: غدرٌ وثُكلٌ أنت بينهما ... فاختر، وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له: ... اقتُل أسيرَك إنّي مانعٌ جاري
وسوف يُعْقِبُنيه إن ظفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار[٦]
لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهبٌ هدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسراري[٧]
فاختار أدْراعَه كَيلا يُسبَّ بها ... ولم يكن وعْدُهُ فيها بختّار[٨]

(١) فى هد، هج: «شريح» بدل «شريح».
(٢) فى هد، هج، المختار: «بعد القد» بدل «بعد القيد» والمعنى واحد.
(٣) المختار، هد، هج «بانقيا» بدل «بلقاء».
(٤) يقصد بالهمام الحارث بن ظالم الذى تقدم ذكره، أو المنذر الذى أرسله، وفى هد: «فى عسكر» بدل «فى جحفل» وفى هج والمختار «كهزيع الليل» بدل «كسواد الليل».
(٥) حار: ترخيم حارث.
(٦) يعنى «بيض ذات أطهار» زوجاته.
(٧) كان القياس أن تتكرر «لا».
(٨) ختار: غدار.

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرور فقال: هو لك، فأطلقه، وقال له: أقم عندي، حتى أكرمك، وأحبُوَك، فقال له الأعشى: إن تمام إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية[1]، وتُخلّيني الساعة، فأعطاه ناقة ناجية، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أن الذي وَهَبَ لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح: ابعث إليّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه، وأعطيَه، فقال: قد مضى، فأرسل الكلبيُّ في أثره، فلم يلحقه.

(١) ناجية: سريعة، وإنما بادر الأعشى بالهرب خشية أن يعرف الكلبي هويته فيسترده.

سعية بن عريض

سَعْيَةُ (١) بن عُرَيض بن عاديا أخو السموءل شاعر ، فمن شعره الذى يُغنّى فيه قوله :

صوت

يادارَ سُعْدَى بمَقْضَى تلعةِ النَّعَم   حُيِّيتِ دارًا على الإقواء والقِدَمِ (٢)
عُجْنا فما كلَّمتنا الدارُ إذ سُئِلت   وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صمم
وما بِجزعكِ إلا الوحش ساكنة   وهامدٌ من رماد القدر والحُمَمَ (٣)

الشعر لسَعْيَةَ بن عُرَيض ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشامى ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامى ، ويقال : إنه لمالك ، وفيه لابن جُؤذرةَ رمل عن الهشامى .

ولسَعْيَة بن عُرَيض القائل ، وفيه غناء :

صوت

لُبابُ هلْ عندكِ من نائلِ   لعاشقٍ ذى حاجةٍ سائلِ
عَلّلتِهِ منكِ بما لم يَنَلْ   يا ربَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهربذ

(١) فى هد ، هج : «سعيد» بدل «سعيه» وفى ب : سعية بن غريض وله ترجمة فى الجزء ٣/١٢٩ ط الدار .
(٢) مقضى : اسم مكان من قضا : بمعنى بعد ، وهذه هى رواية هد ، وفى ب : بمنضى « وهو تحريف » .
(٣) الجزع : منعطف الوادى ، أو وسطه ، ورواية « بجزعك » رواية هد ، هج ، وب والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلف مما أحرقته النار .

خفيف، رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه لمتيَّم رمل آخر من جامعها، وفيه لحن ليونس غير مجنس، وأول هذه القصيدة :

لُبابُ يا أختَ بنى مالكٍ لا تشترى العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ داوينى ولا تقتُلى قد فُضِّل الشافى على القاتل[1]
إن تسألى بى فاسألى خابراً والعِلْمُ قد يكفى لدى السائل
يُنْبِيكِ من كان بنا عالمًا عنَّا وما العالِمُ كالجاهلِ
أنَّا إذا حارت دواعِى الهوى وأنصتَ السامع للقائل
واعتلج القومُ بألبابهم فى المنطق الفاصل والنائل[2]
لا نجعلُ الباطلَ حقًّا ولا نَلُظُّ دون الحق بالباطل[3]
نخاف أن تَسْفَهَ أحلامُنا فَنُخْمِلَ الدهرَ مع الخامل

١٠١
١٩

أخبرنى محمد بن خلف، وكيع[4]، قال: حدثنى أحمد بن الهيثم الفراسى: قال: حدثنى العمرى، عن العتبى، قال:

كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر : معاوية يتمثل بشعره

إنا إذا مالت دواعى الهوى وأنصت السامع للقائل
لا نجعل الباطلَ حقًّا ولا نَلُظُّ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفَهَ أحلامُنا فَنُخْمِلَ الدهرَ مع الخامل

(١) فى المختار : « قد فضل الساقى ... »
(٢) فى المختار : « نقضى بحكم عادل فاصل » بدل : « فى المنطق الفاصل والنائل » ، وفى هد ، هج : « فى المنطق النائل والفاصل » .
(٣) لظ بالشىء وألظ به : تمسك به ، ولزمه . وفى المختار : «نلط »
(٤) فى هد : محمد بن خلف بن المرزبان .

عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء : قال : حدثنا الزبير بن بكار : قال : أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

أخبرني خالي يوسف بن الماجشون ، قال :

كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده :

إنا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصت السامعُ للقائل
واصطرعَ القومُ بألبابهم ... نقضي بحُكْمٍ عادلٍ فاصل
لا نجعلُ الباطل حقًّا ولا ... نَلُظُّ دون الحق بالباطل
نخاف أن تَسْفَهَ أحلامُنا ... فَنَخْمُلَ الدّهرَ مع الخامل

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين

أصحابه يميلون مع السريع

أخبرني وكيع والحسن بن علي قالا : حدثنا أبو قلابة : قال : حدثنا الأصمعي، عن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن رجال من الأنصار :

أنّ سَعْيَةَ بن عُرَيض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوما من الأوس والخزرج ، ويأتونه ، فيقيمون عنده ، ويزورونه في أوقات قد ألِفوا زيارتَهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن ، فانتسف[1] من ماله حتى افتقر ، ولم يبق له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانُه ، وجَفَوه ، فلما أخصب ، وعادت حاله ، وتراجعت ، راجعوه ، فقال في ذلك :

أرى الخُلَّان لما قلّ مالي ... وأجحفَتِ النوائبُ وَدَّعوني
فلما أن غَنِيتُ وعاد مالي ... أراهم لا أبالك راجعوني

(١) انتسف ماله : من نسف الشيء : اقتلعه من أصله .

وكان القوم خُلّانا لمالى وإخوانا لما خُوِّلْتُ دونى

فلما مرّ ما لى باعدونى ولما عاد ما لى عاودونى(١)

(٢ومن أشعار اليهود ويُغنّى به٢):

صوت

هل تعرف الدارَ خفّ ساكنُها بالحِجْر فالمستوَى إلى ثمد(٣)

دار لبهنانةٍ خدلّجةٍ تنحاه عن مثل جامد البرَد(٤)

نِعمَ ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ وغارت كواكبُ الأسدِ

١٠٢ ١٩ يا مَن لقلبٍ متيّمٍ سَدِمٍ عانٍ رهينٍ أُخيذ بالعُقَد(٥)

أزجرُه وهْو غيرُ مزدجرٍ عنها وطرفى مقارنُ السُّهُد

تمشى الهوينا إذا مشت فُضُلاً مشى النزيف المبهور فى صعَد(٦)

تظل من زَوْرِ بيتِ جارتها واضعةً كفّها على الكبِد(٧)

(١) فى هد ، هج : « فلما شد » بدل « فلما مر ».

(٢–٢) التكملة من هج .

(٣) فى هد ، هج : « إلى السند ».

(٤) البهنانة : الطيبة النفس والريح ، والضحوك الخفيفة الروح ، الخدلجة : الممتلئة الساقين والعضدين .

(٥) سدم : يقال : عاشق سدم : شديد العشق .

(٦) فضل : مختالة فى مشيتها ، تفضل من ذيل ردائها ، النزيف : المنتشى من السكر ونحوه ، المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء ، فى صعد : فى علو وارتفاع ، لأن مشية الصاعد أشق من مشية المنحدر ، إذ الأول ضد جاذبية الأرض بخلاف الثانى .

(٧) كنى بوضع اليد على الكبد عن الخوف من الرقباء ونحوهم .

الشعر لأبي الزّناد[1] اليهودي العديمي[2]، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول، عن الهشامي ويحيى المكي، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامي، وقال: أظنه من منحول يحيى بن المكي، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح، ولابن محرز في «يا من لقلب».

وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو أن فيها لحنا لمعبد لم يذكر طريقته، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديما غير مجنس، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم، وذكر ذلك عمر بن شبة:

[3]ومن الغناء في أشعار اليهود من قُريظة والنّضير[3]:

(١) في هج: «لأبي الذيال».
(٢) في هد: «القرظي».
(٣-٣) التكملة من هد.

صـوت

دورٌ عفَتْ بِقُرَى الخابور غيَّرَهَا بعدَ الأنيسِ سَوَافِي الرِّيح والمطرُ
إن تُمْسِ دارُكَ مِمَّنْ كان ساكنَها وحشًا فذَلِكَ صَرفُ الدهر والغِيَرُ[(١)]
وقد تَحُل بها بِيضٌ ترائبُها كأنها بين كُثْبَانِ النقَا البقرُ[(٢)]

الشعر للربيع بن أبى الحُقَيق ، روى ذلك السكرى ، عن الطوسى ، وعن محمد ابن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد .

(١) فى هد ، هج « ممن كان يسكنها » .
(٢) فى بعض النسخ بدل المصراع الأول « حلت بها كل مبيض ترائبها » والترائب : عظام الصدر مما يلى الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردها تريبة .

أخبار الربيع بن أبي الحقيق(١)

الربيع رئيس لبني قريظة

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة ، وهم وبنو النضير جميعا من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رياسة بني قريظة للربيع ، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضيِّ ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذ سلامُ بن مِشْكَم .

يلتقي بالنابغة الذبياني

أخبرني عمي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبي ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدثني الحسن بن موسى ؛ مولى بني مازن ابن النجار عن أبي عبيدة قال :

أقبل النابغة الذبياني يريد سُوقَ بني قَيْنُقاعَ ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلا من أُطُمِه ، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجّة ، وكانت سوقا عظيمة ، فحَاصَتْ(٢) بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول :

* كادت تُهَال(٣) من الأصوات راحلتي *

ثم قال للربيع بن أبي الحقيق : أجِز يا ربيع ، فقال :

* والنَّفْرُ منها إذا ما أوجَسَتْ خُلُق *

فقال النابغة : ما رأيتُ كاليوم شِعرًا ، ثم قال :

* لولا أُنَهْنِهُها(٤) بالسّوط لاجْتَذَبَتْ *

(١) خلت طبعة بولاق من هذه الترجمة ، ولكنها جاءت هنا في النسخ : هج ، هد ، مج ، مد وكذا في الجزء الواحد والعشرين من طبعة ليدن .
(٢) حاصت ناقته : نفرت ، وحادت .
(٣) تهال : يعتريها الهول .
(٤) أنهنها : أزجرها .

أَجِزْ يا ربيع ، فقال :

* مِنّى الزمامَ وإنّى راكبٌ لَبِق *

فقال النابغة :

* قد مَلَّتِ الحِبْسَ فى الآطام واستعفت[1] *

أَجِزْ يا ربيع ، فقال :

* إلى مناهلِها لو أنّها طُلُق *

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس .

أبان بن عثمان يتمثل بأبياته

حدثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرى ، ومحمد بن العباس اليزيدى ، قالا : حدثنا عمرُ ابنُ شَبَّةَ قال : حدثنى الحِزامِىُّ قال : حدثنى سعيد بن محمد الزُّبيرىّ ، قال : حدثنا ابن أبى الزناد ، عن أبيه قال :

قَلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبانَ بن عثمان إلا سمعتُه يتمثل بأبيات ابن أبى الحُقَيق .

شَبَّتْ وأَشْعَلْتُ رهنَ الفِرا ... شِ منْ جُرْمِ قومِى ومن مَغْرَمِ[2]

ومن سَفَهِ الرّأيِ بعد النُّهى ... وغَيْبِ الرشادِ ، ولم يُفْهَمِ

فلوْ أنّ قومِى أطاعوا الحلِيـ ... ـمَ لم يَتَعَدَّوْا ولم يُظْلَمِ

ولكنّ قومِى أطاعُوا الغُوَا ... ةَ حتى تَعَكّسَ أهلُ الدمِ[3]

(١) استعفت : لعل المراد بهذا الفعل أنها طابت من بعدها بمنازلها ، وفى نسخة : واشعفت بالشين .

(٢) فى بعض النسخ : « مغرمى » بالاضافة إلى ياء المتكلم .

(٣) تعكس أهل الدم : ضنوا .

وروى البيتان فى المختار هكذا :

ولكن قومى أطاعوا الغوا ... ة وانتشر الأمر لم يبرم

فأودى السفيه برأى الحليم ... حتى تحكم أهل الدم

فأودى السّفيهُ برأى الحليم وانتَشَرَ الأمرُ لم يُبرَم

يعاتب قوما من الأنصار

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى ، قال : حدثنا مُعاذ[1] ، عن أبى عبيدة قال ، قال الربيع بن أبى الحقيق يعاتب قوما من الأنصار فى شىء بينهم وبينه :

رأيتُ بنى العنقاء زَالوُا ومُلْكهُمْ وآبُوا بأنفٍ فى العشيرة مُرْغَمَ[2]

فإن يُقتَلوُا نَندمْ لذاك وإن بقُوا فلا بدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأثَمِ[3]

وإنّا فُويقَ الرأس شؤبوبُ مُزْنَةٍ لها بَرَدٌ ما يغش مِ الأرضِ يَحْطِمِ[4]

(١) فى هد ، هج : « دماذ » .

(٢) فى هج : « بنى النجار » بدل « بنى العنقاء » وفى هد ، هج : « زالوا ومالهم » بدل « زالوا وملكهم » وقد جرى البيت على غير الأفصح حيث عطف على ضمير الرفع المتصل بدون فاصل ، يقول ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل
أو فاصل ما وبلا فصل يرد فى النثر والنظم وضعفه اعتقد

(٣) يريد أنهم حلفاء ، إن أصابهم أذى عز علينا ، وإن ساءوا بغوا علينا .

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، يقول : نحن لهم كالمزن المصحوب بالبرد اللى يحطم الأرض ، يعنى أننا نفاعون ضراررون ، وفى هد ، هج : « ما يغش فى الأرض » « ما يغش م الأرض » ، « وأصابها من الأرض » .

صوت

وإذا ما بئرٌ رَوَاءٌ جَمَّةٌ   مَن يردْها بإناءٍ يغتَرِفْ[1]
١٠٦ تُدْلِجُ الجونُ على أكنافها   بدِلاءٍ ذاتِ أمراسٍ صُدُفْ[2]
١٩ كلَّ حاجاتيَ قد استقضيتُها   غيرَ حاجاتيَ من بطن الجُرُفْ[3]

الشعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ، والغناء لمالك ثقيل أول عن يحيَى المكي، قال: وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى[4] في كتابه: وقد خلط الرواة في ألحانهم، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيف رمل بالبنصر، وفيه لجُدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

(١) الرواء: الماء العذب، أو الكثير الذي يرتوى منه.
(٢) تدلج: تسير ليلا، الجون: الإبل السوداء، أكنافها: جوانبها ونواحيها، أمراس: حبال، صدف: جمع صدوف، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك: شبه بها حبال البئر، لأنها لا تزال تظهر وتختفي عند ملء الدلاء.
(٣) بطن الجرف: موضع قرب المدينة، ولعل الشاعر كانت له حبيبة في هذا الموضع.
(٤) في هج: «قال حماد».

أخبار كعب ونسبه ومقتله

اسمه ونسبه

كعب بنُ الأشرف مُختلَفٌ في نسبه، فزعم ابن حبيب أنه من طيّئ، وأمه من بني النَّضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد، وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النَّضير.

وكان شاعراً فارساً، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأَوْس والخزرج، تُذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى — وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح، وكان عدوا للنبي صلى الله عليه وسلم يهجوه، ويهجو أصحابَه، ويُخذِّل منه العربَ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه، فقتلوه في داره.

ذكر خبره في ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويُحرِّض عليه كُفّارَ قريش في شعره، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، وهي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمعُهم دعوةُ النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة[1] والحصون، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم — إذ قدم — استصلاحهم كلَّهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم يؤذونه وأصحابَه أشدّ الأذى، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفو عنهم، وأنزل في شأنهم: ﴿ولَتَسْمَعُنَّ من الذين أوتُوا الكتابَ من قبلِكم[2]﴾ الآية. وأنزل فيهم: ﴿وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم[3]﴾

(١) الحلقة: يراد بها حلقة القوم، أو حلقة البئر.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٦.
(٣) سورة البقرة الآية ١٠٩.

إلى قوله : ﴿ واصفحوا ﴾ فلما أبى كعبُ بنُ الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطا ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبس بنَ جُبير ، والحارث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشيّة ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم ، وكان يُذْعَر منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا لنبيعك أدراعا نستنفق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتم[1] مُذْ نزل بكم هذا الرجل ، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ الناس ، فجاءوا ، فناداه رجل منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ماطرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحب ، فقال : بلى إنهم قد حدّثوني حديثهم ، وخرج إليهم ، فاعتنقه أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعِبَت اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، ١٠٧ / ١٩
فقالوا : قد طُرِق[2] صاحبنا الليلة ، وهو سيّد من سادتنا ، فقتل ، فذكر لهم صلى الله عليه وسلم ما كان يُؤْذَى به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتابا ، فكُتِبَت الصحيفةُ بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبي صلى الله عليه وسلم عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3] .

(١) جهدتم : افتقرتم ، وساءت حالكم ، ويقصد بالرجل محمدا صلى الله عليه وسلم .
(٢) طرق : أتى ليلا .
(٣) الخبر المتقدم ساقط من جميع النسخ التي بأيدينا ، وهو منقول من ب .

صوت

هل بالديار التي بالقاع من أحدٍ باقٍ فيُسْمِعَ صَوتَ المُدْلِجِ الساري
تلك المنازلُ من صَفراء ليس بها نارٌ تضيء ولا أصوات سُمَّار

ويروى: «ليس بها حيٌّ يُجيب».

الشعر لإبراهيم الجرمي، والغناء لأحمدَ بن المكّيّ ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي، وقال عمرو بن بانة: فيه ثاني ثقيل بالبنصر، يقال: إنه لابن محرز، وقال الهشامي: فيه لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء

* ارفع ضعيفَكَ لا يَحُرْ بك ضعفُهُ *(1)

(1) لا يحر بك ضعفه: لا يرجع بك ضعفه عن نصرته: من حار يحور: رجع يرجع.

أخبار بيهس ونسبه

اسمه ونسبه

بَيْهَسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة ابن سعد بن كثير بن غالب بن عَدِيّ بن بَيْهَس بن طَرُود بن قدامة بن جَرْم بن ربّان ابن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قُضَاعة .

ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو[1] بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن ، وبعضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

من هي صفراء

وقد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القَحْذَمِيّ أنها كانت زوجته وولدت له ابنا ، ثم طلقها ، فتزوجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها. وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمه دِنْيَةً[2] ، وأنه كان يهواها ، فلم يُزَوَّجْها ، وخطبها الأسديُّ ، وكان مُوسِرًا ، فزُوِّجَها .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صُهَيب الجرميّ يهوَى امرأة من قومه يقال لها : صفراء بنت عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنت عمه دِنْيَةً ، وكان يتحدث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وَجْدَهُ بها ، ولا يُظهِره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنه كان صعلوكا لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثْرِيَ ، وكان من أحسن الشباب وجهًا وشارةً وحديثا وشعرًا ، فكان نساء الحيِّ يتعرّضْن له ، ويجلِسْن إليه ويتحدثن معه ، فمرت به صَفْراء ، فرأته جالسا مع فتاة منهن ، فهجرته زمانا لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ،

(١) يبدو : يسكن البادية .

(٢) دنية : يقال : هو ابن عمي دنية أو دنيا : قريب لاصق .

وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوّجها أبوها رجلا من بنى أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهسُ بنُ صُهيب :

سقَى دمنةً صفراءُ كانت تحُلها ... بنَوء الثُّريّا طلُّها وذِهَابُها[1]
وصابَ عليها كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مُخضرًّا مَرِيعاً جنابُها[2]
أحبُّ ثرَى أرضٍ إلىّ وإن نأت ... مَحلُّك منها نَبْتُها وترابُها[3]
على أنها غضبى علىّ وحبّذا ... رِضاها إذا ما أرضيتْ وعتابُها[4]
وقد هاج لى حيْنا فراقُك غُدوةً ... وسيلُك فى فيفاء تعْوى ذئابُها[5]
نظرتُ وقد زال الحُمُولُ ووازنوا ... بِركوةَ والوادى وخفّتْ رِكابُها
فقلتُ لأصحابى: أبِالقرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى ببينٍ غرابُها ؟

يرثى صفراء

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهسٌ يرثيها : ١٠٨ / ١٩

هل بالديار التى بالقاعِ من أحدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلِجِ السارى
تلك المنازل من صفراء ليس بها ... نارٌ تضىء ولا أصواتُ سُمّار
عفّت معارفَها هُوجٌ مُغبِرَةٌ ... تَسفِى عليها ترابَ الأبْطَحِ المارى[6]

(١) الدمنة : ما بقى من آثار الدور ونحوها ، جملة « صفراء كانت تحلها » صفة « دمنة » طلها : فاعل سقى ، الذهاب: جمع ذهبة ، وهى المرة من المطر ، نوء الثريا : مطرها ، وفى هد، هج : « نجاء الثريا » ولم نجد له معنى ، وفى ف : « لها الثريا » ويختل به وزن البيت .

(٢) صاب المطر ونحوه : انصب ، أسحم : أسود ، يريد الغمام الأسود ، لأنه أغزر مطرا .

(٣) أحب : خبر مبتدأ محذوف تقديره « هى » يعود على الدمنة ، « محلك منها ... الخ » كلام مستأنف يعلل به سبب الحب ، وفى ف : « محلك أرضا » بدل « محلك منها » .

(٤) فى هد : « وغضابها » بمعنى مغاضبتها ، بدل : « وعتابها » .

(٥) الفيفاء : القفراء ، وفى هد ، هج ، ف : « هاج لى حزنا » بدل « هاج لى حينا » وفى النسخ الثلاث أيضا : « خشناء » بدل « فيفاء » والمعنى لا يتغير .

(٦) هوج : جمع هوجاء ، يريد : « رياح هوج » ، المارى : تخفيف المارئ : من هرأه بمعنى أذابه وأبلاه وفى ف : « هوجاء مغبرة » .

حتى تنكّرتُ منها كلَّ معرفةٍ إلا الرّمادَ نخيلاً بين أحجار(١)
طال الوقوفُ بها والعينُ تسبقُنى فوقَ الرّداء بوادى دمْعِها الجارى(٢)
إن أصبح اليومَ لا أهلٌ ذوو لَمَاظةٍ ألهو لديهم ولا صفراءُ فى الدار(٣)
أرعَى بعينى نجومَ الليل مرتقبًا يا طُولَ ذلك من همٍّ وإسهارِ(٤)
فقد يكونُ لِيَ الأهلُ الكِرامُ وقد ألهُو بصفراء ذاتِ المنظر الوارى(٥)
من المَواجدِ أعْرَاقًا إذا نُسِبَتْ لاتَحْرِمُ المالَ عن ضيفٍ وعن جارِ(٦)
لم تَلْقَ بؤسًا ولم يَضْرر بها عَوَزٌ ولم تُزخِّفْ مع الصّالى إلى النار(٧)
كذلك الدّهرُ إنّ الدّهر ذو غِيَرٍ على الأنام وذو نقضٍ وإمْرار(٨)
قد كاد يعتادنى من ذكرِها جَزَعٌ لولا الحياء ولولا رهبةُ العارِ(٩)

(١) نخيلا : حال من الرماد بمعنى ناعم دقيق .

(٢) بوادى دمعها : ظواهره .

(٣) اللماظة : اليسير من الطعام ونحوه ، وفى هد « أصبو اليهم » بدل « ألهو لديهم » وجواب إن الشرطية فى البيت الثالث : « فقد يكون لى الأهل ... الخ »

(٤) فى هد ، هج : « ليل » بدل « هم » .

(٥) الوارى : السمين ، أو يريد به المضىء . وفى المختار : « المنطق الوارى » .

(٦) المواجد : جمع ماجدة ، لا تحرم المال : لا تمسكه : من أحرم الراعى ، يقال : أحرم كذا عن كذا : أمسكه عنه .

(٧) لم تزخّف : من زخّفت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه ، والمراد أنها لم تصل النار لإنضاج الخبز ، وفى ب « لم ترجف » — بالجيم لا بالخاء — وقد رجحنا أن ثمة تصحيفا .

(٨) النقض والإمرار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثانى فتله .

(٩) يريد بالعار الذى يخشاه دمعه وضعفه وانهياره أمام المصيبة ، كما يقول جرير فى رثاء زوجته :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

سقى الإلهُ قبورا فى بنى أسدٍ حول الربيعة غَيْثًا صوبَ مدرار(١)
مَنِ الذى بعدكم أرضَى به بدلاً أو مَنْ أُحَدِّثُ حاجاتى وأسرارى ؟(٢)

يقف ومن معه على قبرها ويبكيها

قال أبو عمرو : واجتاز بيهسٌ فى بلاد بنى أسد ، فمر بقبر صفراء ، وهو فى موضع يقال له الأحَصُّ (٣) ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بنى أسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صِهرٌ وحِلْفٌ ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ؟ فقال : أما والله (٤) ، حتى أظل نهارى كلَّه عنده ، وأقضىَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو يبكى :

أَلِمّا على قَبرِ لصفراء فاقرآ السّلام وقولَا حَيَّنَا أيُّها القبرُ
وما كان شيئًا غير أن لستُ صابراً دعاءكَ قبراً دونه حِجَجٌ عَشْرُ (٥)
برابيةٍ فيها كِرامٌ أحِبّةٌ على أنّها إلا مضاجعَهم قفرُ (٦)
عشيّةَ قال الركْبُ من غَرَضٍ بنا تروّحْ أباالمقدام قد جَنَحَ العصرُ (٧)
فقلتُ لهمُ : يومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراء قد طال التجنُّبُ والهَجرُ

(١) الربيعة : مكان قبر صفراء ، صوب مدرار : مطر سحابة هطالة .

(٢) فى هد : « من ذا الذى » بدل « من الذى » ، وفى هد ، هج ، ف : « أم من » بدل « أومن » .

(٣) فى هد ، هج : « الأحص » .

(٤) فى هد : « لا والله » .

(٥) اسم كان ضمير الشأن ، ولو كانت « كان » تامة و « شيئا » مرفوعة لكان أحسن ، دعاءك : مفعول « صابرا » وقبرا : مفعول « دعاءك » ، يقول : لا شىء إلا أننى لم أستطع الصبر على أن أدعو قبرك بعد مرور سنين عشر على وفاتك .

(٦) فى هج : « كرام أعزة » بدل « كرام أحبة » ، « لولا مضاجعهم » بدل « إلا مضاجعهم » .

(٧) الغرض : الضجر والملال .

وبِتُّ وبات الناسُ حولي هُجَّداً | كأنّ عليّ الليلَ من طوله شهر (١)
إذا قلتُ هذا حين أهجع ساعة | تطاول بي ليلٌ كواكبُه زُهر
أقولُ إذا ما البيتُ ملّ مكانَه | أشوكٌ يُجافي الجنبَ أم تحته جمرُ؟
فلو أنّ صخراً من عَمايةَ راسياً | يقاسي الذي ألقى لقد ملَّه الصخرُ (٢) ١٠٩ / ١٩

قال : وأما الجذمي فإنه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن يحيى بن إسماعيل رتبيلةَ عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوجها رجل من بني أسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً مما تقدم ذكره . وذكر أن بيهسَ بنَ صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة . (٣ وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب ، ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام٣) .

يتهم في قتيل

قال : أبو عمرو : ولما هدأت الفتنة بعد مَرج راهط ، وسكن الناس مرّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إن بعض أحداثهم نخس «بيهسٌ(٤)» به ناقتَه فألقته ، فاندقّت(٥) عنقُه ، فمات ؛ فاستعدى قومُه عليهم عبدالملك ، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجرميّ ، وكان قد اتّهم أنه هو الذي نخَس به ، فنزل عَلَى محمد بن مروان

(١) في ب «هجرا» بدل «هجدا» والمثبت من هد ، هج ، ف .
(٢) عماية : اسم جبل .
(٣-٣) التكملة من هد ، هج .
(٤) زدنا كلمة «بيهس» ليتم الكلام على نحو ما سيجيء .
(٥) العنق يذكر ويؤنث .

فعاذ به ، وما جاره ، فأجاره إلا من حد توجبه عليه شهادة ، فرضى بذلك ، وقال وهو متوار عند محمد :

لقد كانت حوادثُ معضلاتٌ ... وأيامٌ أغصّتنى بالشراب
وما ذنبُ المعاشرِ فى غلامٍ ... تمطّر بين أحواض الجباب(1)
على قَوْدَاء أفرطها جِلالٌ ... وغمّض عينها باقيةُ الهباب(2)
تراه بالبدين فأرعشته ... كما زلّ المطيح من القباب(3)
فإنى والعتابَ وما أرجّى ... لكالساعى إلى وَضَحِ السراب
فلمّا أن دنا فرجٌ بربّى ... يكشّفه عن مُخْفِقةٍ يبابِ(4)
من البُلدان ليس بها غريبٌ ... تخبّ بأرضها زُلُّ الذئاب(5)
فمنّتنى بالخالفة أنّ فيه ... أمانًا للبرىء وللمصاب
وأنّ محمداً سيرد يوماً ... ويرجعُ عن مُراجَعةِ العِتاب

(1) تمطر : وقع على قطره من علو ، وفى هد ، ف : « الخباب » وفى هج: « الحباب » بدل « الجباب » ، وهى أسماء أماكن .

(2) القوداء : الطويلة العنق والظهر ، يريد ناقة قوداء ، أفرطها جلال : شدة ، وغمض : لعل المراد غمض البصر بمعنى أنها لا تسير على هدى ، الهباب : النشاط ، وفى هج : « عصى » بدل « غمض » .

(3) المطيح : المطوح ، وفى هد ، ف : « زال » بدل « زل » ، وفى ب « الحقاب » وربما رواية هج « القباب » ، وفى ف ، هد ، هج : « البطيح » بالباء .

(4) المخفقة : الخالية ، لعله يريد المكان الذى هرب إليه .

(5) زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين ، وفى ف ، هد ، هج : « الذباب » بدل « الذئاب » .

فيهجر مِرْيَتي ويَحوط جاري ... ويُؤْمِن بعدها أبداً صِحابى

هو الفرع الذي بُنِيَتْ عليه ... بيوتُ الأطيبين ذوى الحِجاب

قال: فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه، حتى أمَّن بيهسَ ابن صهيب، وعشيرته، واحتمل ديةَ المقتول لقيس[1] وأرضاهم.

(١) في ب «بيسر» بدل «لقيس» وهو تحريف والصواب، من هد، هج، ف.

صوت

نزل المشيبُ فما له تحويلُ[(١)] ومضى الشبابُ فما إليه سبيلُ

ولقد أرانى والشّبابُ يقودُنى وردِاؤه حسنٌ علىّ جميلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسدىّ ، والغناء لابن خفيف ، ولحنه من القدْر الأوسط ، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

(١) فى هج « ترحيل » .

أخبار الكميت بن معروف ونسبه

اسمه ونسبه

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكميت بن ثعلبةَ بن رباب بن الأشتر بن جحوانَ ابن فقعسِ بن طَريف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

١١٠
١٩

شاعر من شعراء الإسلام بدَوِيّ ، أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل ابن نضلة .

أسرته ما بين شعراء وشواعر

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر ، أبوه معروف شاعر، وأمه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر ، وابنه معروف الكميت شاعر .

فأما أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساور بن هند :

إنّ مُناخي أمسِ يا بنَ مُساورٍ ... إليك لَمِنْ شُرْب النُّقَاخ المُصَرَّدِ[1]
تباعدتَ فوق الحق من آل فقعسٍ ... ولم ترجُ فيهم رِدَّةَ اليومِ أو غدِ[2]
وقلتَ غِنًى لا فقرَ في العَيْش بعدَه ... وكلُّ فَتًى للنائبات بمَرْصَدِ
كأنك لم تعلم محلَّ بيُوتِكم ... مع الحيّ بين الغور والمُتَنَجَّدِ
فلولا رجال من جَذيمة قَصْرةً ... عَدَدْت بلائى ثم قلت له اعدُدِ[3]

(١) الأبيات – كما يبدو – فى العتاب ، والبيت الأول من الطويل دخله الخرم ، النقاخ : الماء العذب البارد ، المصرد : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفى للشرب ، كأنه لا يحمد مقامه عنده .

(٢) آل فقعس : قبيلة الشاعر ، ولم ترج فيهم ردة اليوم والغد : طرحتهم جانبا ، ولم تحتفظ بخط رجعتهم إليك ، أو رجعتك إليهم

(٣) قصرة : دانى النسب ، وفى هد ، ف : « عددت بلادى » بدل « عددت بلائى »

أمه تؤنبه وترثيه

وأمُّه سُعادةُ القائلة له ، وقد تزوّج بنت أبى مَهْوش على مراغمة لها ، وكراهة لذلك ، فغضبت سُعادةُ وقالت فيه :

عليك بأنقاض العراق فقد عَلَتْ ... عليك بتخدين النساء الكرائمِ (١)
لعمرى لقد راش ابنُ سُعدَةَ نفسَه ... بريش الذُّنابَى لا بريش القَوادمِ (٢)
بنَى لك معروفٌ بناءً هدمتَهُ ... ولِلشّرف العادىِّ بانٍ وهادمُ (٣)

وهى القائلة ترثى ابنها الكُمَيْت :

ألأمِّ البلادِ الويلُ ماذا تضمّنت ... بأكناف طورى من عَفافٍ ونائلِ (٤)
ومن وَقَعاتٍ بالرجال كأنها ... إذا حُمّت الأحداثُ وقعُ المناصل
يُعزّى المُعزّى عن كُمَيْتٍ فتنتهى ... مقالتُه والصّدر جمُّ البَلابِل

أخوه يرثيه

وأعشى بنى أسد أخو الكميت ، واسمُه خَيْثَمَةُ ، الذى يقول يرثى الكُمَيْت وغيرَه من أهل بيته :

هوِّن عليك فإنّ الدهرَ منجدبٌ ... كلُّ امرىء عن أخيه سوف ينشعب (٥)
فلا يُغرّنْكَ من دهرٍ تقلّبُه ... إنّ اللّيالىَ بالفتيان تنقلبُ

(١) بتخدين النساء : باتخاذهن أخدانا ، وفى بعض النسخ : «غلت» بدل «علت» تقول له : عليك بمهازيل العراق ، فقد غلت عليك بكرائمها
(٢) القوادم : ريشات عشر أو أربع فى مقدمة جناح الطائر .
(٣) معروف : أبو الكميت ، العادى : العتيق ، يقال : مجد عادى ، وشرف عادى ، وفى البيت إقواء .
(٤) فى هج ، ف وردت « طورا » بالألف لا بالياء ، وهى اسم مكان
(٥) منجدب : مطاوع جدبه : ذمه ، وعابه .

نامَ الخليُّ وبتُّ الليلَ مُرتفِقًا ... كما تزاور يخشى دفّه النَّكِبُ(١)
إذا رجعتُ إلى نفسى أحدّثُها ... عمّن تضمّن من أصحابىَ القُلُبُ(٢)
من إخوةٍ وبنى عمٍّ رُزِئتُهمُ ... والدّهرُ فيه على مستعتبٍ عَتَبُ
عاودتُ وجدًا على وجدٍ أكابدُه ... حتى تكاد بناتُ الصّدر تلتهبُ(٣)
هل بعدَ صخرٍ وهل بعد الكميتِ أخٌ ... أم هل يعودُ لنا دهرٌ فنصطحبُ؟(٤)
لقد علمتُ ولو مُلّيتُ بعدَهمُ ... أنى سأنهل بالشِّرب الذى شربوا(٥)

ابنه معروف يتغزل

ومعروف بن الكميت القائل :

قد كنتُ أحسبنى جَلْدًا فهيّجنى ... بالشِّعب منزلةٌ من أمّ عمّارِ
كانت منازلَ لا ورهاءَ جافيةٍ ... على الحدوج ولا عُطْلاً بمقفارِ(٦)
وما تجاوُرُنا إذ نحن نسكنها ... ولا تفرُّقُنا إلا بمقدارِ

(١) مرتفقا : متكئا على مرفق ، تزاور : مال وانحرف ، دفه : جنبه ، النكب : المصاب فى منكبه ، وهو فاعل يتنازعه الفعلان « تزاور ويخشى » .

(٢) القلب جمع قليب بمعنى البئر ، ويعنى الحفرة التى يدفن فيها الموتى .

(٣) البيت جواب الشرط « إذا رجعت » ، بنات الصدر : كناية عن الضلوع ، وفى ف ، هج « بنات الدهر » والرواية الأولى أصح .

(٤) « فنصطحب » معطوف على « يعود » ، لا منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الاستفهام ، وإلا كان فى البيت إقواء

(٥) ولو مليت : ولو أمهلت ، الشرب – بكسر الشين – الماء الذى يشرب .

(٦) « منازل » مضاف ، وورهاء مضاف إليه ، «ولا» فاصلة بينهما ، الورهاء: المرأة الكثيرة الشحم ، الحدوج : جمع حدج – بكسر الحاء – وهو مركب من مراكب النساء كالهودج ، العطل: المرأة لا حلى لها ، المقفار : الأرض المقفرة ، وفى هد ، هج ، ف : « ولاعطلاء مقفار » وعلى الرواية الأولى كان القياس«عطل» بالجر لا بالنصب ، وربما صح اعتبار ورهاء وجافية وعطلا » صفات لكلمة «منازل » وعلى هذا يكون المراد من قوله « لا ورهاء » أنها ليست عاصفتها ، والتوجيه الأول أصح ، وهو الذى يتمشى مع رواية هد ، هج ، ف ، وإلا كان فى البيت إقواء ؛ إذ يلزم عليه نصب كلمة « مقفار » .

١١١
١٩

صوت

أرقتُ لبرقٍ دُونَه شَذَوانِ يمانٍ وأهوى البرقَ كلَّ يمانى(١)
فليتَ القِلاصَ الأُدْمَ قد وخدَت بنا بوادٍ يمانٍ ذى رُبًا ومَجانِى(٢)

الشعر ليعلى الأحولِ الأزدىّ، وجدت ذلك بخط أبى العباس محمد بن يزيد المبرد فى شعر الأزد، وقال عمرُو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه: هى ليعلى الأحْول، كما رَوى غيرُه، قال: ويقال: إنها لعمرو بن أبى عمارة الأزدى من بنى خُنَيْس(٣)، ويقال: إنها لجَوّاس بن حيانَ من أزد عمان.

وأول هذه القصيدة، فى رواية أبى عمرو، أبيات فيها غناء أيضاً وهى:

صوت

أوَيْحَكما يا واشِيَىْ أمّ مَعْمَرٍ بمَن وإلى مَن جئتما تَشِيانِ؟(٤)
بمن لو أراه عانياً لفَدَيْتُهُ ومَن لو رآنى عانياً لفَدانى

لِعَرِيب فى هذين البيتين ثقيل أول، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته، وقال ابن المكى: لمحمد بن الحسن بن مصعب، فيه هزج بالأصابع كُلّها.

(١) شذوان: تثنية شذا: شجر تتخذ منه المساويك، كل: بدل من البرق.
(٢) القلاص الأدم: النوق السمراء، وفى حد، هج: «محانى» — بالحاء المهملة — بدل «مجانى» — بالجيم المعجمة —
(٣) فى هج: «حبيش» بدل «خنيس».
(٤) فى هج: «أم مالك» بدل «أم معمر».

أخبار يعلى ونسبه

اسمه ونسبه

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أبى قيس ، أحدُ بنى يَشكر بن عمرو بن رالان [١] — ورالانُ هو يشكر — ويشكر لقب لُقِّب به — بن عمران بن عمرو بن عدى بن حارثة ابن لوذان بن كهف الظلام — هكذا وجدته بخَطّ المبرد — بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

شاعر فاتك خليع

شاعر إسلامى لص من شعراء الدولة الأموية ، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن عَلْقَمة الكِنَانى [٢] فى خلافة عبد الملك بن مرْوان [٣] .

قال أبو عمرو : وكان يعلى الأحولُ الأزدىُّ لِصًّا فاتكًا خاربًا ، وكان خليعا ، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم ، فيغيرُ بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السَّابلة ، فَشُكِى إلى نافع بن علقمةَ بن الحارث بن مُحَرِّث الكنانىّ ثم الفقيمى ، وهو خال مروان ابن الحكم ، وكان والىَ مكة ، فأَخَذَ به عشيرته الأزْدِيّين [٤] ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحىّ فعرّفوه أنه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنه لو أَخَذَ به سائرَ الأزدِ ما وضع يده فى أيديهم [٥] ، فلم يقبل ذلك منهم ، وألزمهم إحضارَه ، وضَمّ إليهم شُرَطًا يطلبونه إذا طرق الحىّ حتى يجيئوه به .

يسلمه قومه إلى الحاكم

فلما اشتدّ عليهم فى أمره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأتوا به ، فقيّده وأودعه الحبس ، فقال فى محبِسه :

(١) فى ف ، هج : « ابن فلان وفلان » بدل « ابن رالان » وأغلب الظن أنه تحريف .
(٢) فى هج : « الكندى » .
(٣) فى بعض النسخ : « فى خلافة مروان »
(٤) فى رواية « الأدنين »
(٥) لعل المراد : ماوضع يعلى يده فى أيدى قومه : ماأسلم نفسه إليهم .

قصيدته فى سجنه

أرقتُ لبرقٍ دونه شَدَوانِ يمانٍ وأهوى البرقَ كلَّ يمانِ[(١)]
فبتُّ لدى البيتِ الحرام أُشيمهُ ومِطْوايَ من شوقٍ له أرِقانِ[(٢)]

المِطْو : الصاحب .

إذا قلتُ : شِيماه يقولان والهوى يصادف منّا بعضَ ما تريان[(٣)]
جرى منه أطرافُ الشرى فشيّعٌ فأبيانُ فالريّان من دَمَران[(٤)]
فمرّانُ فالأقباصُ أقباصُ أملجٍ فماوانِ من واديهما شَطِنانِ[(٥)]
هنالك لو طوّفتما لوجدتما صديقًا من آخوانٍ بها وغوان[(٦)]
وعزْفُ الحمامِ الوُرْقِ فى ظلِّ أيكةٍ وبالحى ذى الرَّوْدَين عزفُ قيان[(٧)] ١١٢ ١٩
ألا ليت حاجاتى اللواتى حبَسْنَنى لدى نافعٍ قُضِّينَ منذ زمان
وما بِيَ بُغضٌ للبلاد ولا قِلًى ولكنّ شوقًا فى سواه دعانى[(٨)]

(١) تقدم هذا البيت .

(٢) أشيم : مضارع شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره ؟ وفى ب « أخيله » بدل « أشيمه » والإثبات من هد ، هج وهو الصواب .

(٣) شيماه : أمر من «شام» وألف الاثنين لصديقيه : والهاء للبرق المتقدم ذكره ، وجملة « والهوى ... الخ البيت » اعتراضية ، ومقول القول فى البيت التالى وما بعده .

(٤) مشيع ، وأبيان ، ومران : أماكن ، وضمير « منه » يعود على البرق ، أى يقول صاحباه : جرى ماء البرق فى هذه الأماكن .

(٥) مران ، أملج : مكانان ، أقباص : جمع قبص – بفتح القاف وكسرها – وهو مجتمع الرمل الكثير ، ماوان : تثنية ماء ، شطانان : بعيدان .

(٦) وصل همزة « إخوان » لإقامة الوزن ، وفى هد « عمّران » – بالعين – بدل « غوان » وما فى ب أصوب

(٧) الورق : جمع ورقاء : ما كان لونها لون التراب ، الرودين : تثنية رود : الريح اللينة ، وفى ب « ذو » بدل « ذى » ولم نجد لها وجها .

(٨) فى ب « قلا » – بالألف – وكان القياس أن يقول : « فى سواها » بدل « فى سواه » لأن الضمير ضمير البلاد ، ولعله أعاد الضمير على « نافع » فى البيت السابق .

فليتَ القِلاصَ الأُدم قد وخَدت بنا　　بوادِ يمانٍ ذى رُبًا ومجانى[1]

بوادِ يمانٍ يُنبِتُ السّدرَ صدرُه　　وأسفله بالمرخ والشَّبَهانِ[2]

يدافعنا من جانبيه كليهما　　عزيفان من طرفائه هَدِبان[3]

وليت لنا بالجوز واللوز غيلة　　جناها لنا من بطن حلية جانى

الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى فى موضع : من بطن حلية : من حب جيحة .

وليتَ لنا بالدِّيك مُكَّاء روضةٍ　　على فَنَنٍ من بطن حليةَ دانى[4]

وليت لنا من ماء حزنة شربةً　　مبردةً باتت على طهمان[5]

ويروى : من ماء حمياء .

(١) تقدم هذا البيت .

(٢) المرخ والشبهان : مكانان .

(٣) عزيفان : تثنية عزيف : صوت الرياح حين تسفى الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل ، هدبان : تثنية هدب : من قولهم : عشنون هدب : مسترسل ، وهذه هى رواية هد ، وفى ب « هذبان » تثنية «هذب» من قولهم : فرس هذب : شديد السرعة ، وفى ف : «هدبان » وفى هج : « هربان » ، وفى هد ، هج : « كلاهما » بدل « كليهما» ، والذى اخترناه هو ما أثبتناه .

(٤) المكاء : طائر .

(٥) فى هج ، ف : « طهيان » بدل « طهمان » وفى هد : « طيهان » وكلها أمكنة .

صـوت

إنّ السلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيّةٍ   تغدو على ابن مُجَزِّزٍ وتروحُ(١)
هلّا فَدَى ابنَ مجزِّز متفحّشٌ   شَنِجُ اليدين على العطاء شَحِيحُ(٢)

الشعر للجوّاس العُذْرِيّ، والغناء لسائب بن خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي والهشامي من رواية حماد عن أبيه، في أخبار سائب خاثر وأغانيه.

(١) في هد، هج، ف: «محرز» – براءين مهملتين – بدل «مجزز» بزايين معجمتين.
(٢) شنج اليدين: مقبوضهما، كناية عن البخل.

نسب جواس وخبره فى هذا الشعر

اسمه ونسبه

هو جَوّاس بن قُطْبَةَ[1] العُذرىُّ، أحدُ بنى الأحبِّ رهطِ بُثَيْنَةَ، وجَوّاسٌ وأخوه عبدُ الله الذى كان يهاجى جميلاً ابنا عمِّها دِنْيَةً، وهما ابنا قُطْبَةَ بن ثعلبةَ بن الهون ابن عمرو بن الأحبّ بن حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة[2] بن عبيد بن كثير ابن عجرة[3].

وكان جوّاس شريفا فى قومه شاعرا، فذكر أبو عمرو الشيبانى:

ينافر جميل بن معمر فترجح كفته

أنّ جميلَ بن عبدالله بن مَعْمَرٍ لمّا هاجى جَوّاسا تنافرا إلى يهود تيماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قُلْ فى نفسك ما شئت، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس فى نفسك وفى أبيك ما شئت، ولا تذكرنّ أنت يا جميل أباك فى فخر؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء، عليه شملةٌ لا تُوارِى استَه، ونَفَّروا[4] عليه جوّاسا، قال: ونشب الشرُّ بين جميل وجوّاس، وكانت تحته أم الجُسَيْرِ أختُ بُثَيْنَةَ التى يذكرها جميل فى شعره، إذ يقول:

يا خليلَىَّ إنّ أمَّ جُسَيْرٍ … حين يدنو الضَّجيعُ من عَلَلِهْ[5]
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزامَى … جادَ فيها الربيعُ من سَبَلِهْ[6]

(١) فى بعض النسخ: «قطنة»، بالنون لا بالباء.
(٢) فى هد، هج، ف: «ضبة» بدل «عتبة».
(٣) فى ف، هج: «عجوة».
(٤) نفروا بالتشديد - نصروا، وفضلوا.
(٥) العلل: الشرب مرة بعد مرة، والمراد العلل من رضاب أم جسير.
(٦) الحنوة: نبات سهلى، أو هى الريحان، أو نوع من الآذريون. الخزامى: نبت طيب الرائحة، السبل: المطر.

قوم جميل يثأرون منه

فغضب لجميل نفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلا وهو فى بيته ، فضربوه وعرّوا امرأته أمّ الجُبَير فى تلك الليلة ، فقال جميل :

ما عرّ جوّاسَ استَها إذ يسبّهم ... بمَقْرَى بنى سُفيانَ قَيْنِ وعاصمِ(١)

هما جرّدا أمّ الجُبَيْر وأوقعا ... أمرّ وأدهى من وَقيعةِ سالمِ

يعنى سالم بن دارة .

فقال جوّاس :

١١٣ ما ضَرِبَ الجوّاسُ إلا فُجَاءةً ... على غفلةٍ من عَيْنِه وهو نائمُ(٢)

١٩ فإلا تُعجِّلْنى المنيّةُ يصطبح ... بكأسك حِصْنا كم حُصَيْنٍ وعاصِمُ(٣)

ويُعطِى بنو سفيان ماشئت عَنْوةً ... كما كنت تُعطِينى وأنفُك راغِمُ

جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم

وقال أبو عمرو الشيبانىّ :

حجّ مروانُ بن الحكم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن معمر ، وجوّاسُ ابن قطبة ، وجوّاس بن القعطل الكلبىّ ، فقال لجميل : انزل فسُقْ بنا ، فنزل جميل فقال :

يا بُثْن حَيِّى وَدّعينا أوصِلِى ... وهوِّنى الأمرَ فزُورِى واعْجَلِى(٤)

(١) البيت من الطويل دخله الخزم ، عر : ساء وضر ، ومنع صرف جواس للضرورة ولم يتقدم مرجع الضمير « يسبهم » ولعل الأصل « يسبها » والمعنى عليه : ماساء جواسا تعرية است امرأته حين سبها بهذين البطلين .

(٢) البيت من الطويل دخله الخزم أيضا .

(٣) يصطبح بكأسك ... الخ : يشرب بالكأس التى كنت أسقيك بها حصين وعاصم ، والبيت هو ومابعده إيعاد وتهديد .

(٤) فى هد ، هج : « يابنة حنا » بدل « يابثن حيى » .

ثُمَّتَ أيًّا ما أردتِ فافعَلى   إنى لآتى ما أتيتِ مُؤْتلى(1)

فقال له مروان : عَدّ عن هذا ، فقال :

أنا جميلٌ والحِجازُ وطنى   فيه هوَى نفْسِى وفيه شَجَنى

هذا إذا كان السِّياق دَدَنى(2)

جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان

فقال لجَوّاس بن قطبة : انزل أنت يا جوّاس فسُقْ بنا ، فنزل فقال — وقد كان بلغه عن مروان أنه توعّده إن هاجَى جميلا :

لستُ بعبدٍ للمطايا أسوقها   ولكننى أرمى بهنّ الفَيافيا(3)

أتانىَ عَن مرْوانَ بالغيبِ أنه   مُبيحٌ دمِى أو قاطِعٌ من لسانيا

وفى الأرض مَنجاة وفُسحَةُ مذهبٍ   إذا نحن رققنا لهن المثانيا(4)

فقال له مروان : أمَا إن ذلك لا ينفعك إذا وجب عليك حق ، فاركب لا ركبت .

جواس بن القعطل يحدو ركاب مروان

ثم قال لجَوّاس بن القَعْطَل — ويقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة — : انزل فارجز بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات :

يقول أميرى : هل تسوقُ ركابَنا   فقلتُ : اتّخذ حادٍ لهن سوائيا(5)

تكرمتُ عن سَوْقِ المَطىِّ ولم يكن   سِياقُ المطايا هِمَّتى ورَجائيا

(1) مؤتلى : من ألا الشىء ألوا : استطاعه .

(2) الددن : اللهو ، كالدد ، وفى هج : « بدنى » بدل « ددنى » ولا معنى له .

(3) البيت من الطويل دخله الخرم .

(4) المثانى : ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، ويريد بها هنا أناشيد الحداء ، وضمير « لهن » يعود على الإبل المفهومة من المقام ، أو على المطايا المذكورة فى البيت الأول ، وفى هد ، هج : « والمرء مذهب » بدل « وفسحة مذهب » .

(5) كان القياس « اتخذ حاديا » ولكنه أجراها مجرى « ولو أن واش باليمامة داره » للضرورة .

جعلتَ أبي رِهناً وعِرضيَ سادراً ... إلى أهل بيتٍ لم يكونوا كفائيا[1]
إلى شرِّ بيتٍ من قُضاعةَ منصِباً ... وفى شرِّ قوم منهمُ قد بَدِا ليا

فقال له : اركب لا ركبتَ .

عود إلى الصوت وخبر بن مجزز

والأبيات التى فيها الغناء يرثى بها جَّواسُ بنُ قُطْبَةَ العذرىُّ علقمةَ بن مجزِّز قال أبو عَمْرٍو الشيبانىُّ : وكان عُمَر بنُ الخطاب رضى الله عنه بعث علقمةَ بن مجزز الكنانىَّ ثم المدلجىَّ فى جيش إلى الحبشة ، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك ، وإلا قوتلوا عليه ، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمًّا ، فوردوه مغترين[2] ، فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً ، فنبت ذلك النَّوى الذى ألقوه نخلا فى بلاد الحبشة ، وكان يقال له نخل ابن مجزز ، فأراد عمر أن يجهِّز إليهم جيشاً عظيماً فشُهِد عنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وقال : وددت لو أن بينى وبينهم بحراً[3] من نار ، فقال جوّاس العذرى يرثى علقمةَ بن مجزز :

إنّ السّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيةٍ ... تغدو على ابن مجزِّزٍ وتَروحُ
فإذا تجرّد حافِراكَ وأصبحت ... فى الفجر نائحةٌ عليك تنوحُ[4]
وتخيّروا لك من جيادِ ثيابهم ... كفناً عليك من البَياض يلوح
فهناك لا تُغْنِى مودّةُ ناصحٍ ... حذرا عليك إذا يُسَدُّ ضريحُ ١١٤
١٩

(١) الرهن — بكسر الراء — من قولهم : هو رهن مال ونحوه ، أى سائس .
(٢) لعلها « معترين » بالعين المهملة ، لا مغترين بالغين المعجمة ، من اعترار الفقر والحاجة ، أو التعرض للمعروف دون سؤال .
(٣) فى هد : « جبلا » .
(٤) لعل المراد : تجرد حافرا قبرك : تخففا من ثيابهما استعدادا للحفر .

هلا فَدَى ابنَ مجزز متفحشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شحيحُ

متمرِّعٌ ورِعٌ وليس بماجدٍ متملّح وحديثُه مقبوحُ[1]

وفيمن هلك مع ابن مجزز يقول جوّاس :

أَلَهْفِي لِفتيانٍ كأنّ وجوهَهم دنانيرُ وافت مهلكَ ابنِ مُجزّزِ

(١) متمرع ... الخ : صفات « لمتفحش » فى البيت السابق ، والمتمرع : طالب المرع : الخصب ، يريد أنه جشع ، ورع : جبان ، متملح : يتكلف الملاحة ، وفى هج : « وحديثه مملوح » بدل « مقبوح » كأنه يريد أن حديثه ملح لا عذب .

صوت

أحبتنا بأبى أنتم ... وسقيا لكم حيثما كنتم
أغبتم فغابت بهادكم ... وقلتم تزور فما زرتم
فأسلمتم قلبى على لوعتى ... وتسفح دموعى بما أكتم
فقد يم أسأتم وأخلفتم ... وقدما وفيتم وأحسنتم

الشعر لإبراهيم بن المدبر، والغناء لعريب، خفيف ثقيل .

أخبار إبراهيم بن المدبر

أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه والمتصرفين فى كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكلُ يقدّمه ويؤثره ، ويفضله ، وكانت بينه وبين عريب حالٌ مشهورة ، كان يهواها ، وتهواه ، ولهما فى ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرتُ بعضها فى أخبار عريب ، وأذكر باقيها ها هنا .

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنى إبراهيم بن المدبر قال :

مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفى ، وأُذِن للناس فى الوصول إليه ، فدخلوا عَلَى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم ، فلما رآنى استدنانى ، حتى قمتُ وراء الفتح ، بين يدى المتوكل ونظر إلَىّ مستنطقاً فأنشدته :

يومٌ أتانا بالسرورِ فالحمد لله الكبيرِ
أخلصتُ فيه شكرَه وَوَفيتُ فيه بالنذورِ
لما اعتللتَ تصدّعتْ شُعَبُ القلوب من الصدور (١)
من بين ملتهب الفؤا د وبين مكتئب الضمير (٢)
يا عُدّتى للدّينِ والدّنيا وللخَطْبِ الخطيرِ
كانت جُفونى ثرّةَ الـ آماق بالدّمعِ الغزيرِ
لو لم أمتْ جزعاً لعمـ رُكَ إننى عينُ الصبور

(١) هج : « من الصدور » .

(٢) هج : «من بين مكتئب الفؤاد وبين ملتهب » .

يومى هنالك كالسنيـ ـنَ وساعتى مثلُ الشهورِ
يا جعفرُ المتوكلُ الـ ـعالى عَلَى البدرِ المنيرِ
اليومَ عاد الدين(1) غضَّ العود ذا وَرَقٍ نضيرِ
واليومَ أصبحت الخلا فة وهى أرسى من ثبيرِ(2)
قد حالفتْكَ وعاقدَتْـ ـك عَلَى مطاولةِ الدُّهُورِ
١١٥ يا رحمةً للعالميـ ـنَ ويا ضياء المستنيرِ
١٩ يا حجةَ اللهِ التى ظهَرَتْ له بهُدًى ونُورِ
لله أنتَ فما نُشَا هِدُ منكَ من كَرَم وخيرِ
حتى نقول ومَنْ(3) بقُر بِكَ من ولِىٍّ أو نصيرِ
البدرُ ينطق بيننا أَمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ!
فإذا تواتَرتِ الفعا لُ ثمُ كُنتَ منقطعَ النظيرِ
وإذا تعذَّرت(4) السما ءُ يا كنتَ فيَّاضَ البُحورِ
تُمضى الصوابَ بلا وزيـ ـرٍ أو ظهيرٍ(5) أو مُشيرِ

فقال المتوكلُ للفتح: إن إبراهيمَ لينطق عن نية خالصة، وودٍّ محض، وما قضينا حقه، فتقدمْ بأن يُحملَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهم، وتقدمْ إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُولِّيَه عملا سَرِيًّا(6) ينتفع به.

(١) هج: «عاد الملك».
(٢) ثبير: جبل.
(٣) من معطوفة على ضمير «نقول» بلا فاصل، وذلك رأى مرجوح.
(٤) فى ج: «تغورت».
(٥) ظهير: معين.
(٦) فى ج، هج: «سنياً»، يعنى شريفا.

حدثنى عمّى قال : حدثنى محمد بن داود بن الجرّاح قال :

كان أحمدُ بنُ المدبِّر ولِىَ لعبيد الله بنِ يحيى بن خاقانَ عملا ، فلم يَحمَد أثرَه فيه ، وعمل عَلَى أن يَنكُبَه . وبلغ أحمدَ ذلك فهربَ ، وكان عُبيد الله منحرِفاً عن إبراهيم ، شديدَ النّفاسة[1] عليه برأى المتوكل فيه ، فأغراه به ، وعرّفه خبرَ أخيه ، وادّعى عليه مالاً جليلا ، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدرَه عليه حتى أذن له فى حبْسه ، فقال وهو محبوس :

المتوكل يغضب عليه ويودعه السجن

تسلَّ فليس طولُ الحبس عاراً[2] ... وفيه لنا من الله اختيارُ
فلولا الحبس ما بُلِى اصطبارٌ ... ولولا الليلُ ما عُرِفَ النهارُ
وما الأيام إلا معقِباتٌ[3] ... ولا السلطانُ إلا مستعارُ
وعن قدرٍ حُبِستُ فلاَ تُراعِى ... وفيما قَدَّرَ اللهُ الخيَارُ[4]
سيُفْرَجُ ما ترينَ إلى قليلٍ ... بقدرته وإن طال الإسارُ

ولإبراهيم فى حبسه أشعار كثيرة حِسانٌ مختارة ، منها قوله فى قصيدة أولها :

أدموعُها أم لؤلؤٌ متناثرُ ... أم ندى به وَردٌ جنِىٌّ ناضرُ

يقول فيها :

لا تؤيسَنَّكَ من كريم نَبوةٌ ... فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ[5]
هذا الزمانُ ترمُنى أيامُه ... خَسْفا[6] وهأنذا عليه صابرُ

(١) النفاسة : مصدر نفست عليه الشىء إذا ضننت به ، ولم تحب أن يصل إليه .
(٢) فى هج : « تسل فليس طول الحبس عار » على التصريح وجعل عار اسم ليس مؤخرا .
(٣) معقبات : يعقب بعضها بعضا بالخير والشر أو بالنور والظلام .
(٤) البيت زيادة فى ج ، وفى هد : « حبست فلا تراعى » .
(٥) ينبو : يبعد فى ضربه .
(٦) فى هج : خسفا .

إن طال ليلى فى الإسارِ فَطالما ... أفنيتُ دهراً ليلُه متقاصرُ
والحبسُ يحجبُنى وفى أكنافِهِ ... منّى عَلَى الضرّاءِ ليثٌ خادرُ (١)
عجباً له كيف التقت أبوابُه ... والجودُ فيه والغَمامُ الباكرُ؟ (٢)
هلا تقلّع أو تصدّع أو وَهَى ... قَدْرَتُه ؛ لكنّه بِىَ فاخرُ

ومنها قوله فى قصيدة أولها :

ألا طرقتْ سلمَى لَدَى وَقْعَةِ السّارى ... فريداً وحيداً موثقاً نازحَ الدارِ (٣)
هو الحبسُ ما فيه عَلَىّ غضاضةٌ ... وهل كان فى حبس الخليفةِ مِن عارِ !

يقول فيها :

أما ترينَ الخمرَ يظهرُ حسنُها ... وبهجتُها بالحبس فى الطين والقارِ (٤)
116 وما أنا إلا كالجوادِ يصونُه ... مقوِّمه للسَّبْق فى طَىِّ مضمارِ
19 أو الدُّرةِ الزهراء فى قعرِ لُجّةٍ ... فلا تُجتَلَى إلا بهَولٍ وأخطارِ
وهل هو إلا منزلٌ مثلُ منزلى ... وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتىَ أو دارى ؟
فلا تنكرى طولَ المدَى وأذى العِدى ... فانَّ نهاياتِ الأمورِ لإقصارِ (٥)
لعلّ وراءَ الغَيبِ أمراً يسرُّنا ... يقدِّرُه فى علمِه الخالقُ البارى
وإنى لأرجو أن أصولَ بجعفرٍ ... فأهضمَ أعدائى وأُدرِكَ بالثّارِ

(١) أكنافه : نواحيه جمع كنف ، الضراء : الشدة والضيق ، خادر : ملازم لأجمته .
وفى ف : « والسجن يحجبنى » .
(٢) فى ج : « والربيع الباكر » بدل الغمام ولفظها أليق .
(٣) الطرق : الضرب على الباب ليلا . وقعة السارى : نومته آخر الليل ، نازح : بعيد به
(٤) القار والقير : ما يدهن به سداد الدنان .
(٥) هذا البيت فى هد ، وهج ، ساقط فى غيرهما ومعنى « إقصار » انتهاء وترك وكف .

فأخبرنى عمى عن محمد بن داود :

أن حبسه طال ، فلم يكن لأحد فى خلاصه منه حيلةٌ مع عضل(١) عبيد الله وقصده إياه ، حتى تخلّصه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجوّد المسألة فى أمره(٢) ، ولم يلتفت إلى عُبيد الله ، وبذل أن يحمِلَ فى ماله كلّ ما يطالَبُ به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استغاث به ومدحَهُ ، فقال :

يثنى على من خلّصه من سجنه

دعوتك من كَرْب(٣) فلبّيتَ دعوتى ... ولم تعترضْنى إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلّئتُ(٤) أوردتُ همّتى ... وقد أعجزتنى عن همومى المصادرُ
نمى بك عبدُ الله فى العزّ والعلا ... وحاز لك المجدَ المؤثّلَ طاهرُ
فأنتم بنو الدنيا وأملاكُ جوّها(٥) ... وساستُها والأعظمون الأكابرُ
مآثرُ كانت للحسين ومصعبٍ ... وطلحةَ لا تحوِى مَداها المفاخرُ(٦)
إذا بذلوا قيلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غضبوا قيل الليوثُ المواصرُ(٧)
تطيبكمُ يومَ اللقاء دماءُ البواترُ ... وتزهو(٨) بكمْ يوم المقام المنابرُ
وما لكُمُ غيرَ الأسرّة مجالسٌ ... ولا لكُمُ غيرَ السيوفِ مخاصرُ(٩)
ولى حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرّكَ منها أولٌ ثم آخرُ

(١) عضل : منع .
(٢) جود المسألة فى أمره : أحسن الشفاعة فيه .
(٣) فى ج : « عن كرب » .
(٤) فى ب ، س : جليت وهى تحريف ، ومعنى حلئت : منعت الماء .
(٥) فى هج : « شرقها » بدل « جوها » .
(٦) المفاخر : جمع مفخرة : ما يتباهى به .
(٧) المواصر : الكواسر المحطمة .
(٨) فى م ، هج ، هد : وتزهى ، والمعنى وتفتخر .
(٩) المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

كلام أميرِ المؤمنين وعطفُه [illegible] فمالىَ بعد الله غ[illegible] يرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ (١) فالنُّجح واقع وإلا فإنى [illegible]ـناس الودِّ شـ[illegible]ـاكِرُ

حدثنى جعفر بنُ قُدامة قال :

عريب تكاتبه وتشفع له

كتبت عَريبُ من سُرَّ من رأى إلى إبراهيم بنِ المدبر كتاباً تتشوَّقه فيه، وتخبره باستيحاشها له، واهتمامها بأمره، وأنها قد سألت الخليفةَ فى أمره، فوعدها بما تُحِبُّ، فأجابها عن كتابها، وكتب فى آخر الكتاب :

لعمرك ما صوتٌ بديعٌ [illegible] بأحسنَ عندى من كتاب عَريبِ
تأمّلتُ فى أثنائه خطَّ كاتبٍ ورقّةَ مشتاقٍ ولَفظَ خطيبِ
وراجعَنى من وصلها ما استرقَّنى وزهَّدنى فى وصلِ كلِّ حبيبِ
فصرتُ لها عبداً مُقرًّا بِرِقِّها ومستمسكاً من وُدها بنصيبِ

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :

كان علىّ بنُ يحيى المنجِّم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين فى منزل بعض الوجوه بسُرَّ من رأى على حال أُنس، وكانت تغنّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكرية (٢)

١١٧ المغنية من جوارى القِيان، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبِّر بنظره ومَزْحه وتجميشه (٣)،
١٩ وهى مقبلة على فتىً كان أمردَ من أولاد الموالى يقال له مُناقِر، كانت تهواه، وكان

يحب نبتا وتحب هى مناقرا

أحسن الناس وجهاً، ولم يزل ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا، فكتب إليه علىُّ بنُ يحيى يقول :

لقد فتنَتْ نبتٌ فتى الظَّرف والنَّدى بمُقلةِ رِيمٍ فاترِ الطَّرفِ أحورِ

(١) فى م، هد، هج: «المقدار»، والمعنى واحد.
(٢) فى ف «بنت حارثة البكرية» بدل «جارية البكرية»
(٣) فى ب، س «تجنيه» وهو تحريف، والتجميش: المنازلة بالقرص واللعب.

وشادنٍ يروقُ السامعين ويملأُ القلوب سروراً مُونِقٍ متخيَّرِ
فأصبحَ في فخِّ الهوى متقنِّصًا عزيزٌ على إخوانه ابنُ المدبِّرِ[1]
ولم تدرِ ما يَلْقَى بها ولو أنَّها دَرَتْ روَّحتْ من حَرِّهِ المتسعِّرِ
وذاكَ بها صبٌّ ونَبتُ خلاقةٍ ومشغولةٌ عنه بوجه مُخَفَّرِ
ولو أنصفتْ نفسٌ لما عدلتْ به سواهُ وحازت حُسْنَ مرأى ومَخْبَرِ

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر :

طَرِبْتُ إلى قطرَبُّلٍ[2] وبَلَشْكَرٍ[3] وراجعتُ غَيًّا ليس عنى بمُقْصِرِ
وذكَّرنى شيئًا مرَّ أتانِيَ مونِقٌ حبائبَ قَلبى فى أوائلِ أعصُرى
فنَهْنَهْتُ[4] نفسى عن تذكُّرِ ما مضى وقلتُ : أفيقى لاتَ حين
أبا حسَنٍ ما كنتَ تعْرَفُ بالخنا ولا بعُلوٍّ فى المكانِ
وما زِلْتَ محمود الشمائل مرتضى الخلائقِ معروفا[6] بعُرْفٍ ومنكَرِ
أترمى بأنْ تبتِ من جفاها تحيُّرًا وباعدها عنه برأْيِ موقَّرِ[7]
وداهنها عن سرِّها وهى تشتكى إليه تباريحَ الهوى المتسِّرِ[8]
ولو كان تبَّاعًا دواعىَ نفسِه إذاً اقتضَى أوطارَه ابنُ المدبِّرِ

(١) فى جـ ، هج : « لُجّ الهوى » .
(٢) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر .
(٣) بلشكر من قرى بغداد . وفى هج : « وراجعت عما لست عنه بمقصر » .
(٤) نهنهت : كففت وزجرت .
(٥) الخنا : الفحش فى القول ، فى جـ : « بغلو فى المقال » وفى م : « فى المقام » .
(٦) فى هج : « مقرونا » .
(٧) ف : « برأى موفر » بالفاء .
(٨) المتسر : المتقد ، وفى جـ ، وهد ، وهج : « دافعها عن وصاله » .

علىٰ أنه لو حصحصَ الحقُّ باءَها ... ولو كان مشغوفا بها بِظَفَرِ

بلؤلؤةٍ زهراء يشرُق ضوءُها ... وغُرَّةِ وجهٍ كالهلال المشهَّرِ

إلى اللهِ أشكو أنَّ هذا وهذِه ... غزالاً كثيبٍ ذى أقاحٍ منوّرِ

وأنتَ فقد طالبتَها فوجدتَها ... لها خُلُقٌ لا يرعَوِى ذو توعُّرِ

وحاولتَ منها سلوة عن[1] مُنافِرٍ ... فما لان منها العِطْفُ عند التَّخَيُّرِ[2]

نصحتُك عن وُدٍّ ولم آلُ جاهدا ... فإن شئتَ فاقبل قولَ ذى النصح أوذَرِ

فكتب إليه علىُّ بنُ يحيى المنجم :

لعمرى لقد أحسنتَ يابنَ المدبّر ... وما زلت فى الإحسان عين المشهَّر

ظَرُفْتَ ومن يجمعْ من العلم مثلَ ما ... جمعت أبا إسحاق يَظْرُفْ ويُشْهَرِ[3]

ولإبراهيمَ فى نَبْتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله :

نَبْتٌ إذا سكتَت كان السكوتُ لها ... زَيْنًا وإن نطقَت فالدرُّ يَنْتَثِرُ

وإنما أقصدتْ[4] قلبى بمُقْلَتِها ... ما كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَتَرُ

وقوله :

يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤادُ بكم ... وأنت واللهِ أحلى الخلقِ أفنانا

ألاَ صِلينى فإنِّى قد شُغِفْتُ بِكُمْ ... إن شئتِ سرًّا وإن أحببتِ إعلانا

أخبرنى جعفرُ بن قدامه قال : ١١٨/١٩

كان فى إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبتْهما له عَريب ، وكانا مشهورين لها ،

(١) فى ج ، هد ، هج : « سلوة من » .
(٢) فى ج : « التجبر » .
(٣) فى ج : « ويشعر » .
(٤) أقصدت : أصابت فلم تخطىء .

خاتما عريب

فاجتمع مع أبى العُبَيس بن حمدون فى اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب ، فلما سكرا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبى العُبَيس ، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال ، وأخذ الخاتمين منه رهناً . ورُئِى الهلالُ فى تلك الليلة ، وأصبح الناس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبى العُبَيس يطالبه بالخاتمين ، فدافعه ، وعبث به ، فكتب إليه من غد :

كيفَ أصبحتَ يا جعلتُ فِداكا ... إننى أشتكى إليك جَفاكا
قد تَمادى بك الجفاءُ وما كنـ ... ـتَ حقيقًا ولا حَرِيًّا بذاكا
كُن شبيهاً بمن مضى جعل اللـ ... ـهُ لكَ العُمرَ دائماً ورعاكا
إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فَكاكٍ ... أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفَكاكا
فارددِ الخاتمينِ ردًّا جميلًا ... قد تَتَمَّمتَ(1) فيهما ما كفاكا
يا أبا عبدِ اللهِ دعوةَ داعٍ ... يرتجى نُجحَ أمره إذْ دعاكا
(2— يعنى أبا عبد الله بن حمدون والد أبى العبيس المخاطب بهذا الشعر —2)
خاتماىَ اللذانِ عند أبى العبـ ... ـاس قد شارفا لديه الهلاكا
وهو حُرٌّ وقد حكاكَ كما أنك فى المكرُماتِ تحكِى أباكا

فبعث بالخاتمين إليه .

وأخبرنى جعفر قال :

عريب تزوره ؛ وتستزير أبا العبيس

زارت عَريبُ إبراهيمَ بنَ المدبر وهو فى داره على الشاطىء فى المُطَيرة(3) واقترحت عليه حضور أبى العُبَيس فكتب إليه إبراهيم :

(1) تتممت : تممت ؛ وفى ب ، س ، جـ ، هد ، هج : « تولعت » .
(2 — 2) التكملة من هد و هج .
(3) المطيرة : قرية من متنزهات بغداد وسامراء .

قل لابنِ حمدونَ ذاك الأريبِ — وذاك الظريفِ وذاك الحسيبِ[١]
كتابى إليكَ بشكوى غريبِ — لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ
وَشوْقِى إليكَ كشوق الغريبِ — إلى أرضه بعد طولِ المغيبِ
ويوْمِىَ إن أنتَ تممته — بقُربكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وطيبِ
حبَانى الزمانُ كما أشتهى — بقرب الحبيبِ وبُعْدِ الرقيبِ
فما زلتُ أشربُ من كفِّه — وأسقيه سقىَ اللطيفِ الأديبِ[٢]
ويشكو إلىَّ وأشكو إليه — بقولٍ[٣] عفيفٍ وقولٍ مريبِ
إلى أن بدا لىَ وجهُ الصباح — كوجهك ذاك العجيبِ الغريبِ[٤]
فلا تُخْلِنا[٥] يا نظامَ السرو — رِ منك فأنت شفاءُ الكئيبِ
وغنٍّ لنا هَزَجاً مُطْرِباً — تخفُّ له حركاتُ اللبيبِ[٦]
فإنكَ قد حُزتَ حسنَ الغناء — وقد فُزتَ منه بأوفى نصيبِ
وكن بأبى أنتَ رَجْعَ الجواب — فِداؤك أنفسُنا من مُجيبِ[٧]

أخبرنى جعفر قال :

يعجبه اللحن فيكمله

غنّى أبو العبيس بنُ حَمْدون يوما عند إبراهيم :

(١) البيت من المتقارب دخله الخرم .
(٢) فى ج : « الأريب » .
(٣) هج ، هد : « بفعل عفيف » .
(٤) فى حـ ، هد ، هج : « الحبيب القريب » .
(٥) فى : ج : « فلا تخلها » .
(٦) فى م : « يحن إليه فؤاد » .
(٧) فى حـ ، وهج : « من حبيب » .

صوت

إنى سألتكَ بالذى — أدنى إليكَ من الوريدِ
إلّا وصلتَ حبالَنا — وكَفَيْتَنا شرَّ الوعيدِ

١١٩
١٩
فزاد فيه إبراهيم[1] قوله :

الهجرُ لا يستحسَنُ — بعد المواثقِ والعهودِ
وأراكِ مغراةً به — أفما غرضتِ من الصدودِ ؟[2]
إنى أجدِّدُ لذّتى — ما لاح لى يومٌ جديدُ[3]
شُربِى معتّقة الكرو — م ونُزْهَتى وَرْدُ الْخُدُودِ

فغنى هذه الأبيات أبو العُبَيس متصلة باللحن الأول فى البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأوّلان ليسا له .

نسبة هذا الصوت

الغناء فى البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم[4] لأبى العبيس ، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب[5] ثانى ثقيل بالوسطى .

قال جعفر : وغنته[6] يوما كُراعةُ بسُرَّ من رأى ونحن حضور عنده . يكمل لحناً آخر

(١) فى هج : « إبراهيم بن المدبر » .
(٢) مغراة : مولعة من أغرى بالشىء أولع به ، غرضت : ضجرت وملت .
(٣) فى البيت إقواء وفى هج ، هد : « ما دمت فى يوم جديد » .
(٤) مزموم من الزم وهو شد الأوتار .
(٥) فى ب ، س : لريق ، وهو تحريف .
(٦) فى ب ، س : « وغنيته » وهو تحريف .

يا معشرَ الناسِ أما مُسلمٌ ... يشفعُ عند المذنبِ العاتبِ ؟
ذاك الذى يهربُ من وصلنا ... تعلَّقوا بالله بالهاربِ

فزاد فيهما قولَه :

أملكتُه حبلى ولكنّه ... ألقاهُ من زهدٍ على غاربى
وقال إنى فى الهوى كاذبٌ ... فانتقمَ اللهُ من الكاذب (١)

حدثنى عمى ، قال : حدثنى محمد بن داود قال :

عود إلى حبس المتوكل له

كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبى عبد الله بن حمدون(٢) فى أيام نكبته يسأله إذكارَ المتوكّل والفتح بأمره :

كم ترى يبقَى على ذا بدنى ... قد بَلِى من طول همٍّ وضنى (٣)
أنا فى أسرٍ وأسبابِ رَدًى ... وحديدٍ فادحٍ يكلُمُنى (٤)
يابن حمدونَ فتى الجودِ الذى ... أنا منه فى جَنَى وردٍ جَنِى
ما الذى ترقُبُه أم ما ترى ... فى أخٍ مضطهدٍ مرتهَنِ !
وأبو عمرانَ موسى (٥) حنقٌ ... حاقدٌ (٦) يطلبنى بالإحَنِ (٧)
وعبيدُ اللهِ أيضاً مثله ... ونجاحٌ بى مُجِدٌّ ما ينى

(١) فى هد ، هج : « انتقم الله » بدون فاء .
(٢) حمدون : أحد ندماء المتوكل .
(٣) ضنى : تعب .
(٤) يكلمنى : يجرحنى .
(٥) أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قواد المتوكل .
(٦) كذا فى م وفى ب ، س : حاقن ، ولا معنى لها .
(٧) جمع إحنة وهى الحقد والغضب .

ليس يثنيه سوى سفك دمي أو يراني مُدرَجا في كَفَني
والأميرُ الفتحُ إن أذكرتَه حُرْمَتى قام بأمرى وعُنِي
فألُ[1] صدقٍ حين أدعو باسمه وسرور حين يعزُو حَزَني
قل له : يا حُسْنَ ما أوليتَني مالِماَ أوليتَنى من ثَمنِ
زاد إحسانُكَ عندى عِظَمًا أنَّه بادٍ لمن يعرفُني
لستُ أدرى كيف أجزيكَ به غير أنى مُثقَلٌ بالمِنَن
ما رأى القومُ كذنبى عندَهمْ ثُمَّ ذنبى أنَّنى لم أخُنِ
ذاكَ فِعلى وتُراثى عن أبى واقتدائى بأخى فى السُّنَنِ
سُنَّةٌ صالحةٌ معروفَةٌ هى منَّا فى قَديم الزمَنِ

١٢٠
١٩

ظَفِرَ الأعداءُ بى عن حيلةٍ ولعل الله أن يُظفِرَنِى
ليتَ أنى وهُمُ فى مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للفَطِن
فترى لى ولهُمْ ملحمةً يَهلِكُ الخائنُ فيها والدَّنِى
والذى أسألُ أن يُنصِفَنى حاكِمٌ يَقضِى بما يلزمُنى
قُل لحمدونَ خليلى وابنِه ولعيسى[2] حرِّكوه يا بنى

— يعنى يا بَنى الزانية ، فلم يزالوا فى أمره حتى خلَّصوه —

حدثنى محمد بن يحيى الصولى : قال :

هل جرب الخمر من قبلها ؟

كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسُرَّ من رأى فقال فيها :

---

(١) فى س : « قال » وهو تحريف . يعنى التفاؤل باسم الفتح بن خاقان .
(٢) يقصد عيسى بن إبراهيم النصرانى كاتب سعيد بن صالح ، وكان يسعى على ابن المدبر .

غادرتِ قلبى فى إسار لديكْ   فويلتا(١) منكِ وويلى عليكِ
قد يعلمُ اللهُ عَلَى عرشِه(٢)   أنى أعانى الموتَ شوقا إليك
مُنّى بفكّ الأسر أو فاقتُلى   أيهما أحببتِ من حُسْنَيَيْك
قد كنتُ لا أُعدى(٣) على ظالم   فصرتُ لا أُعدِى على مُقلتيك
الخمرُ من فيكِ لمن ذاقهُ   والوردُ للناظرِ من وجنتيك
يا حسرتا إن متُّ طوعَ الهوى   ولم أنلْ ما أرتجيه لديك

وأنشدها أبو عبدِ الله بن حمدونَ هذه الأبيات ، وغنّته بها ، وجعل يكرّر قوله :

* الخمرُ من فيكِ لمن ذاقه *

ويقول : هذا والله قولُ خبيرٍ مجرّب ، فاستحيتْ من ذلك ، وسبَّتْ إبراهيم ، فبلغه ذلك ، فكتب إلى أبى عبدِ الله يقول :

ألم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ فى السحَرِ ؟   بَلى وهَيّج من وَجْدٍ ومن ذِكَرِ
ما زال دمعى غزيرَ القَطْرِ مُنسجِماً   سَحًّا بأربعةٍ تجرى(٤) من الدُّرَرِ
وقلتُ للغيثِ لما جادَ وَابِلُه   وما شجانى من الأحزان والسَّهَرِ
يا عارضًا ماطراً أمطِرْ على كبدى   فإنها كَبِدٌ حَرَّى من الفِكَرِ
لشدَّ ما نالَ منّى الدهرُ واعتلقَتْ   يدُ الزمان وأوهتْ من قُوى مِرَرِى(٥)

(١) كذا فى ف ، وفى جـ : « فالويل لى منك » وفى هد : « غودر قلبى » .
(٢) كذا فى ب وفى حـ ، هج : « فليعلم الله تعالى اسمه » .
(٣) لا أعين : وفى ب : « أعدو » ولا معنى له .
(٤) فى هد : « تهمى » بدل « تجرى » .
(٥) مررى : قواى ، جمع مرة .

يا واحدى من عباد الله كلِّهم ... ويا غنائى(1) ويا كهفى ويا وَزَرى
أحين أنشدتَ شعرى فى مُعذِّبتى ... أما رثيتَ لها من شدة الحَصَر ؟
وما شفعتَ بها شعرى وقلتَ به ... فى ريقها البارد السلسال ذى الخَصَر(2)
ابأس مستنصحًا فى مثل ذلك يا ... نفسى فداؤكَ من مستنصح غَدِرِ
واليوم يومٌ كريم ليس يُكرِمُه ... إلّا كريمٌ من الفتيان ذُو خَطَرِ
نشدتُكَ اللهَ فاصْبَحْه(3) بصُحبته ... مُباكراً فألذُّ الشُّرب فى البُكَرِ
وأجمع نداماكَ فيه واقترح رَمَلاً ... صوتًا تغنِّيه ذاتُ الدَّل والخَفَرِ
يرتاح للدَّجْن(4) قلبى وهو مقتسَمٌ ... بين الهموم ارتياحَ الأرضِ للمطَرِ
يا غادراً يا أحبَّ الناسِ كلِّهمُ ... إلىَّ واللهِ من أنثَى ومن ذَكَرِ
ويا رجائى ويا سُؤلى ويا أملى ... ويا حياتى ويا سمعى ويا بصرى ١٢١
ويا مُناىَ ويا نورى ويا فَرَحِى ... ويا سرورى ويا شمسى ويا قمرى ١٩
لا تقبلى قولَ حسَّادى علىَّ ولا(5) ... والله ما صدقوا فى القول والخَبَرِ
أدالنى(6) اللهُ من دهرٍ يُضَعضِعُنى(7) ... فقد حُجِبتُ عن التسليم والنظر
إن يحجُبُوا عنك فى تقديرهم بصرى ... فكيفَ لم يحجُبُوا ذِكرى ولا فِكرى؟

(1) فى حـ : « غيائى » .
(2) الخصر : البرد ، والفعل خصِر .
(3) كذا فى ف ؛ وفى ب ، س : « فاصحبه » .
(4) جـ ، هج : « للذكر » ، بدل « الدجن » .
(5) فى حـ ، هد : « فلا » .
(6) أدالنى : نصرنى .
(7) فى جـ : « يضعفنى » بمعنى يهدمنى .

يا قوم قَلْبِي ضعيفٌ من تذكُّرها   وقلبُها فارغٌ أقسى من الحجَرِ
الله يعلم أنّي هائم دَنِفٌ   بغادةٍ إنّها حَظّي من البَشَرِ

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدثني عبد الله بن محمد المروَزي، قال: حدثني الفضل بن العباس بن المأمون، قال:

مجلس من مجالسه

زارتني عَريبُ يوما ومعها عِدّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن على شرابنا، فتحدّثت معنا ساعة، وسألتُها أن تقيمَ عندنا، فأبَتْ، وقالت: قد وعدتُ جماعة من أهل الأدب والظَّرف أن أصيرَ إليهم، وهم في جزيرة المربد[1]، منهم إبراهيم بن المدبر، وسعيد بن حميد، ويحيى بن عيسى بن منارة، فحلفت عليها، فأقامت. ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أردتُ، ولولا، ولعلى.

ووجّهت الرقعة إليهم، فلما وصلت قرءوها، وعيُّوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبّر، فكتب تحت أردت «ليتَ» وتحت لولا «ماذا»؟ وتحت لعلى «أرجو» ووجّه بالرقعة إليها، فلما قرأتْها طربت ونعرت[2]، وقالت: أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم؟ تركني الله إذاً من يديه، وقامت فمضت وقالت لكمْ فيمن أخلّفه عندكم من جواريّ كفاية[3].

أخبرني محمد بن خلف: قال: حدثني عبد الله بن المعتز، قال:

عريب تتدله في حبه عند مكاتبتها له

قرأت في مكاتبات لعَريب فصلا من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر

(١) كذا في ف؛ باقي النسخ «المؤيد»؛ تصحيف.
(٢) نعرت: صوتت بخيشومها.
(٣) تخلفه فلان فلانا: جعله خليفته، وفي هد، هج: «لكم في جواري الكفاية».

مكاتبة بديعة بعيادة : قد استبطأتُ عيادتك — قدّمتُ قبلها —[1] وعذرتك ، فما ذكرت عذرا ضعيفا لا ينبغى أن يفرح به[1] . فأستديم الله نعمه عندك .

قال وكتبت إليه أيضا :

أستوهب الله حياتكَ ، قرأت رقعتكَ المسكينة التى كأنّها مسألتك[2] عن أحوالنا ، وَنحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّد نفسكَ جعلنى الله فداءها — هذا الجفاء ، والثقةَ منى بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتبت إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء :

قَبِل الله صومَكَ وتلقّاه بتبليغكَ ما التمست ، كيف ترى نفسك ؟ — نفسى فداؤك — ولم كدّرت جسمك فى آب[3] ، أخرجه الله عنك فى عافية ، فإنّه فظ علينا وأنت محرور[4] ، وإطعامُ[5] عشرة مساكين أعظمُ لأجرك ، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدةً لك وكان الثواب فى حسناتكَ دونى ، لأن نيتى فى الصوم كاذبة .

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :

اتصلت لعريب أشغال دائمة فى أيام تركوا رسى[6] ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدة ، فكتب إليها :

(١ — ١) التكملة من هد .
(٢) كأنّ ، يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه .
(٣) آب : شهر أغسطس . وفى هد : « ولم كدرت نفسك بالصوم فى آب » .
(٤) محرور : يجد بصدره حرارة .
(٥) فى هد : والطعام عشرة . . .
(٦) كذا فى النسخ ولم نقف له على معنى .

صوت

إلى الله أشكو وحشتى وتفجُّعى ... وبعدَ المدَى بينى وبين عَريبِ
مضى دونها شهران لم أحلَ فيهما ... بعيشٍ ولا من قُربها بنصيبِ
١٢٢ فكنتُ غريبًا بين أهلى وجيرتى ... ولستُ إذا أبصرتُها بغريبِ
١٩ وإنّ حبيبًا لم يرَ النّاسُ مثلَه ... حقيقٌ بأن يُفدَى بكلّ حبيبِ

لعريب فى هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتز، وهو من مشهور غنائها.

وقال ابن المعتز فى ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إليها يشكو علته:

عود إلى مكاتبات عريب

كيف أصبحتَ أنعم الله صباحكَ ومساءكَ؟ وأرجو أن يكون صالحًا، وإنما أردتَ إزعاج قلبى فقط.

وكتبتْ إليه تدعو له فى شهرِ رَمضان:

أُفديك بسمعى وبصرى وأهلّ اللهُ هذا الشهرَ عليك باليُمن والمغفرة، وأعانك على المفتَرض فيه والتنفّل، وبلّغك مثلَه أعوامًا، وفرّج عنك وعنّى فيه.

قال وكتبتْ إليه:

فداؤك السمعُ والبصرُ والأمُّ والأبُ ومن عرفنى وعرفتُه. كيف ترى نفسَك وُقّيتَها الأذى؟ وأعمى الله شانئك، ومقّه(١) الله عند هذه الدعوة، وأرجو أن تكون قد أجيبت إن شاء الله، وكيف ترى الصوم؟ عرّفك الله بركته، وأعانك على طاعتِه، وأرجو أن تكون سالمًا من كل مكروه بحول الله وقوّته، وواشوقى إليكَ وواوحشتى لكَ، ردّكَ الله إلى أحسنِ ماعوّدك، ولا أشمتَ بى فيك عدوًّا وَلا حاسداً.

وقد وافانى كتابُكَ لاعدمتُه إلّا بالغنى عنه بك، وذكرت حامله، فوجّهتُ رسولى إليه

(١) المراد أهلكه، من مق الطالعة: شقها للآبار. وفى ب، س: «أمقه»، وفى هد: «وعطبه والله عند هذه الدعوة».

ليدخله ، فسألته عن خبرك ، فوجدته منصرفا ، ولو رأيته لفرشت خدّى له ، وكان لذلك أهلا .

وكتب إليه وقد عتبت عليه فى شىء بلغها عنه :

وهب الله لنا بقاءك ممتّعاً بالنعم ، مازلتُ أمس[1] فى ذكرك ، فمرة بمدحكَ ، ومرة بشكركَ ، ومرة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لونًا . اجحدْ ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتّاب ونفاقهم ، فأما خبرنا أمس فإماشر بنامن فضلة نبيذك على تذكارك رِطلاً رِطلاً ، وقدْ رفعنا حسابنا إليك ، فارفع حسابك إلينا ، وخبِّرْنا من زاركَ أمس وألهاكَ ، وأى شىء كانت القصةَ على جهتها ؟ وَلا تُخطرف[2] ، فتحوجَنا إلى كشفك والبحث عنك[3] ، وعن حالك ، وقل الحقّ ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنكَ لا تُحسن أن تؤدّبه ، والحقّ أقولُ إنه يعتريك كُزاز[4] شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولى عقوبة ، وإن عدت سمعتَ أكثرَ من هذا ، والسلام .

حدثنى عمى قال : حدثنى محمد بن داود قال :

كان عيسى بن إبراهيم النصرانى المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح يسعى على إبراهيم ابن المدّبر فى أيام نكبته ، فلما زالت ، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبس ونُهبت دارهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبر : يشمت فى الشامت به

قل لأبى الشرِّ إنْ مررتَ به ممة القةً عُرِيّتْ من الدَّنَس[5]
ألبسكَ اللهُ من قوارعه آخذةً بالخناق والنفس

(١) كذا فى ج وفى هد ، هج : « أدس » تصحيف .
(٢) لا تخطرف : لا تجاوز الحقيقة .
(٣) كذا فى ج وفى س وب : « عليك » وهو تحريف .
(٤) « إنه يعتريك كزاز » المراد الانقباض والانزواء ، والكزاز أصله داء من شدة البرد ، وفعله كز .
(٥) هد : عريت من الدنس » .

لا زلتَ يابن البظراء مرتهناً في شرِّ حال ومن يقٍ محتبَس
أقول لما رأيتُ منزلَه منتهَباً خالياً من الأَنَسِ(١)
يا منزلاً قد عفَا من الطَّفَس(٢) وساحةً أُخليتْ من الدَّنس
من لاقترافِ الفحشاء بعد أبى الشرّ ومن للقبيح والنجِسِ ؟

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :

ولىَ إبراهيمُ بنُ المدبر بعد نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية(٣) ، فكان أكثر مقامه بمنبج(٤) ، فخرج فى بعض أيام ولايته إلى نواحى دَلوك(٥) ورعبان(٦) ، وخلّف بمنبج جاريةً كان يتحظّاها مغنية يقال لها غادِر ، فحدثنى بعضُ كتابه أنه كان معه بدَلوك ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دَيْر يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله

تحية إلى أحبابه من الدير

١٢٣ وأنزهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف ، فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس

١٩ فكتب :

أياساقِيَينا(٧) وسْطَ دَيْرِ(٨) سليمانِ أديرا الكئوسَ فانهلانى وعُلاّنى
وخُصّا بصافيها أبا جعفر أخِى وذا ثقتى بين(٩) الأنام وخُلصانى(١٠)
وميلاً بها نحو ابنِ سَلاّمٍ الذى أودُّ وعُودَا بعد ذاك لنعمانِ

(١) الأنس : المؤانسين جمع أنيس .
(٢) الطفس : الدنس .
(٣) تشمل أنطاكية ومرعش ، وف : « الجزرية » ، وفى س ، ب : « الجزوية » وهو تحريف .
(٤) منبج : من أعمال حلب شمالى الشام .
(٥) دلوك ، بفتح الدال كما فى القاموس ومعجم ما استعجم ، وفى ياقوت بالضم : بليدة من نواحى حلب .
(٦) فى س ، ب رعيان ، بالياء وهو تحريف : مدينة بين حلب وسميساط .
(٧) فى س وب : « ياساقيبا » وهو تحريف .
(٨) دير سليمان : قرب دلوك مطل على مرج العين ، وهو فى غاية النزاهة .
(٩) فى م ، ب « دون » .
(١٠) الخالص من الإخوان يستوى فيه الواحد والجمع .

وعهدًا بها الندمان والصحبَ إننى ... تذكّرتُ عيشى(١) بعدصحبى وإخوانى

ولا تتركا نفسى تموتُ بسقامها ... لذكرى حبيب قد شجانى وعنّانى(٢)

ترحّلتُ عنه عن صدود وهجرة ... وأقبل نحوى وهو باكٍ فأبكانى

وفارقتُه واللهُ يجمع شملنا ... بلَوعة(٣) محزون وغُلّة حرّان

وليلة عين المَرْج(٤) زار خياله ... فهيّج لى شوقا وجدّد أشجانى

فأشرفت أعلى الدَّيْر أنظر طامحًا ... بألحِ آماقٍ وأنظرِ إنسان

لعلّى أرى أبياتَ مدبّج رؤية ... تُسكّنُ من وجدى وتكشفُ أحزانى

فقصّر طرفى واستهلّ بعَبرة ... وفدّيتُ من لوكان يدرى لفدّانى

ومثّل لى شوقى إليه مقابلى ... وناجاهُ قلبى بالضمير وناجانى(٥)

يهدى شعره إلى أخيه

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعا إلى أخيه أحمد ، فلما وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه :

أبا إسحاقَ إن تكن الليالى ... عطفْنَ عليكَ بالخطبِ الجسيمِ

فلم أرَ صرفَ هذا الدهرِ يجرى ... بمكروه على غير الكريمِ

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنى ميمونُ بنُ هارون قال :

وفاء عريب له

اجتمعتُ مع عريب فى مجلس أنسٍ بسرّ من رأى عند أبى عيسى بن المتوكل ، وَإبراهيمُ بن المدبر يومئذ ببغداد ، فمرّ لنا أحسنُ يوم ، وَذكرتْهُ عريبُ فتشوّقته

(١) فى ب ، س : « عيش » .
(٢) فى ياقوت : « قد سقانى وغنانى » .
(٣) فى ب ، س : « بكرعة » وهو تحريف .
(٤) عين المرج : قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد .
(٥) فى ياقوت : « وناجاه عنى بالضمير » .

وأحسنت الثناء عليه والذكر له، فكتبتُ إليه بذلك من غد، وشرحته له، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره :

أتعلَمُ يا ميمونُ ماذا تُهيجهُ ... بذكركَ أحبابي وحفظِهِمُ العَهْدا
ووصفٍ عريبٍ في كريمٍ وفائها ... وإجمالها ذكرى وإخلاصِها الوُدّا ؟
عليها سلامي إن تكن دارُها نأتْ ... فقد قرّب الله الذي بيننا جدّا
سقى الله داراً بعدنا جمعتكمُ ... وسكّن ربُّ العرش ساكنَها الخُلدا[1]
وخصَّ أبا عيسى الأميرَ بنعمة ... وأسعد فيما أرتجيه له الجَدّا
فما ثَمَّ من مجدٍ وطَوْلٍ وسُودَدٍ ... ورأيٍ أصيلٍ يصدَعُ الحجَرَ الصَّلْدا

حدثني جحظةُ قال : حدثني عبد الله بن حمدون قال :

اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن مدارة والقاسم وابن زُرزُور في بستان بالمطيرة في يوم غيم يُهريق رذاذه ويقطر أحسن قَطْر، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا، فخرج حافيا، حتى تلقّاها وأخذ بركابها[2]، حتى نزلتْ وقبّل الأرضَ بين يديها، وكانتْ قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه، فجاءتْ وجلست، وأقبلت عليه معاتبة، وقالتْ : إنما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ . فاعتذَر وشفَّعنا[3] قوله، وشفعنا له . فرضيت، وأقامت عندنا يومئذ وباتت، واصطبحْنا من غد، وأقامت عندنا فقال إبراهيم :

الصلح بينه وبين عريب

١٢٤
١٩

(١) في ف ، هج ، هد : رب الخلد .
(٢) الركاب : حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب، والجمع ركب ككتب .
(٣) شيدنا : قوينا .

صوت

بأبى من حقّقَ الظن به — فأتانا زائراً مُبتديا
كان كالغيثِ تراخى مُدّةً — وأتى بعد قُنوط مُرويا
طاب يومانِ لنا فى قُربه — بعد شهرين لهجرٍ مضَيا
فأقرّ اللهُ عَينى وشفَى — سقماً كان لجسمى مُبليا

لعريب فى هذا الشعر لحنان: رَمَل وَهزَج بالوسطى.

من شعره فى عريب

أنشدنى الصولىّ رحمهُ الله لإبراهيم بن المدبر فى عريب:

زعموا أنى أُحبُّ عَريبا — صدقوا واللهِ حُبًّا عجيبا
حلّ من قلبى هواها مَحلاً — لم تَدَعْ فيه لخلق نصيبا
ليقلْ من قد رأى الناس قِدْماً: — هل رأى مثلَ عَريبٍ عَرِيبا؟
هى شمسٌ والنساء نُجومٌ — فإذا لاحت أفلْن غُيوبا

وَأنشدنى الصولىّ أيضا له(١) فيها:

ألا يا عريبُ وُقيتِ الرّدى — وجنّبكِ الله صَرْفَ الزمنْ
فإنك أصبحتِ زينَ النساء — وواحدةَ الناس فى كل فَنّْ
فقربُكِ يُدنى لذيذَ الحياةِ — وبعدُكِ ينفى لذيذَ الوَسَنْ
فنعم الجليسُ ونعم الأنيسُ — ونعم السميرُ ونعم السكن(٢)

(١) هذا الخبر زيادة من ف .
(٢) السكن: ما يسكن إليه ويستأنس به .

وأنشدني أيضاً له :

إن عريبا خُلقت وحدَها   في كلِّ ما يحسُنُ من أمرها
ونعمة لِلّٰهِ في خلقِه   يقصِّر العالم عن شكرها[1]
أشهدُ في جاريتَيها على   أنهما مُخبِرتا دَهرها
فبدعةٌ تُبدِعُ في شَدْوها   وتُحْفَةٌ تُتحِفُ في زَمْرِها
يا ربِّ أمتِعْنا بما خوَّلت   وامدُد لنا يا ربِّ في عمرها

أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شُراعة القيسي البصريّ قال :

كان إبراهيمُ بنُ المدبر يتولّى البصْرة ، وكان محسنًا إلى أهل البلد إحسانًا يعمهم ، ويشتمل على جماعتهم[2] نفعهُ ، ويخصُّنا من ذلك بأوفر حظ وأجزلِ نصيب ، فلما صُرِفَ عن البصرة شيّعه أهلُها ، وتفجّعوا لفراقه وساءهم صَرْفهُ ، فجعل يرد الناسَ من تشييعهم على قدر مراتبهم[3] في الأنس به ، حتى لم يبق معه إلّا أبي ، فقال له: يا أباشراعة ، إن المشيّع مودِّع لا محالة ، وقد بلغت أقصى الغايات ، فبحقي عليك إلا انصرفتَ ، ثم قال : يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به ، فأحضر ثيابا وطيبا ومالا ، فودّعه أبي ، ثم قال : أبو شراعة يودعه

يا أبا إسحاق سرْ في دَعَةٍ   وامضِ مصحوبا فما منك خَلَفْ
ليت شعري أيُّ أرض أجدبتْ   فأُغيثت بك من جهد العَجَفْ[4] ؟

(١) كذا في ف .
(٢) في هج : ويشمل جماعتهم .
(٣) هج : « على قدر منازلهم » .
(٤) العجف : الهزال الشديد .

نزل الرُّحْمُ(١) مِنَ الله بهم وحُرِمْناكَ لذنب قد سلفْ
إنما أنت ربيعٌ باكرٌ حيثما صرَّفه الله انصرفْ

أخبرنى علىٌّ بن العباس بن طلحة الكاتب قال :

قرأتُ جوابا بخط إبراهيمَ بنِ المدبر فى أضعاف رقعة كتبتها إليه عريبُ ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره .

قلبه عند عريب

وساءلتموه بعدكم كيف حالُه وذلك أمر بيِّنٌ ليس يُشكلُ
فلا تسألوا عن قلبه فَهْو عندكم ولكن عن الجسم المُخَلَّف فاسألوا

أخبرنى علىّ بنُ العباس(٢) قال : حدثنى أبى قال :

كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر ، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأخرجتا إليه رقعةً مِن عريب فقرأناها فإذا فيها :

لا يسر وعريب نازحة

بنفسى أنت وسمعى وبصرى ، وقلّ ذاك لك ، أصبح يومنا هذا طيّبا ، طيَّب الله عيشَك ، قد احتجبت سماؤه ورقّ هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنه أنت فى رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك ، لافقدتُ ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنُه وطيبُه منى نشاطاً ولا طرباً لأمور صدَّتنى عن ذلك ، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها . وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنساك وتُسَرَّ بهما . سرَّك الله وسرّنى بك !

فكتب إليها يقول :

كيف السرورُ وأنتِ نازحةٌ عنّى وكيف يسوغُ لى الطربُ !
إن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ أسبابهُ وألحّت الكُرَبُ

وأنفذ الجواب إليها ، فلم يلبث أن جاءت ، فبادر إليها ، وتلقاها حافيا حتى جاء بها عَلَى

(١) الرحم هنا : الرحمة .
(٢) فى هج : على بن العباس بن أبى طلحة الكاتب .

حمارٍ مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمارُ عَلَى(١) بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها، ثم قال :

ألا ربّ يوم قصّر اللهُ طولَه ... بقرب عريبٍ حبّذا هو من قُربِ
بها تحسُن الدنيا وينعَم عيشُها ... وتجتمع السرّاء للعين والقَلْبِ

حدثني عليّ بن سليمان قال : أنشدني أبي قال :

أنشدني(٢) إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما، فتأخّرتا عنه فكتب إليهما :

من شعره في جاريتي عريب

قل يا رسول لهذه ... ولهذه بأبي هُمَا
قد كان وصلكما لنَا ... حسناً فلِمْ قَطَعْتُما ؟
أعريبُ سيّدةُ النسا ... ءِ بهجرنا أمرتْكُمَا ؟
كلّا وبيت الله بل ... هذا جفاءٌ منكما

وأنشدني عليّ بنُ العباس لإبراهيم بن المدبر، وفيه لعَريبَ هَزَج، وقال :

صوت له غنته عريب
١٢٦
١٩

ألا يا بأبي أنتمْ ... نأت دارٌ بنا عنكمْ
فإن كنتُم تبدلتُمْ ... فما مِنْ بَدَلٍ منكمْ
وإن كنتُم عَلَى العَهدِ ... فأحسنتُم وأجملتُمْ
ويا ليتَ المنى حقّت ... فنُبديها ولا نَكتُمْ
فكنتُم حيثما كنا ... وكنّا حيثما كنتمْ

وحدثني عليّ قال : حدثني أبي قال :

(١) الفعل متعد بنفسه، واستعمله اللسان كما جاء هنا فقال في مادة وطأ : لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وأهانته .
(٢) في س و ب زيادة «أبي» .

دخلت ليلة على إبراهيم بن المدبر فى أيام نكبته ببغداد فى ليلة غيم، فلاح برقٌ من قبل الشمال ونحن نتحدث، فقطع الحديثَ، وأمسك ساعة مفكراً، ثم أقبل علىّ فقال:

من شعره فى سجنه

بارقٌ شرّد الكرى لاح من نحوِ ما ترَى
هاج للقلب شجوَه فاعترَى منه ما اعترى
أيها الشادنُ(١) الذى صاد قلبى وما درَى
كن عليما بثقتى فيك من بينِ ذا(٢) الورَى

وحدثنى عن أبيه قال:

عود إلى جاريتى عريب

كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بدعةُ وتحفةُ وأقامتا عنده، فأنشدنا يومئذ:

أيها(٣) الزائران حياكما الله ومن أنتما له بالسّلامِ
ما رأينا فى الدهر بدرا وشمسا طرَقا ثم رجّعا(٤) بالكلامِ
كيف خلفتما عَريبا سقاها الله ربُّ العباد صوبَ الغمامِ
هى كالشمس والحسانُ نجوم ليس ضوءُ النهار مثلَ الظلامِ
جمعت كلّ ما تفرّق فى النا س وصارت فريدةً فى الأنامِ

وأنشدنى عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس:

(١) الشادن: ولد الظبى.
(٢) فى س و ب: «ذى»: وهو تحريف.
(٣) فى س و ب: «أيهما» وهو تحريف وفى هد: أيها الراكبان.
(٤) الترجيع فى الأصل؛ ترديد الصوت على نحو ما يفعل المحزون، والمراد هنا تكرار الاستئذان، وفى هج: ثم رجعنا فى الكلام.

شعره فى سجنه

وانى لأستنشى[1] الشمال إذا جرتْ   حنيناً إلى أُلَّاف قلبى وأحبابى
وأهدى مع الريح الجنوب إليهمُ   سلامى وَشكوَى طول حُزنى وأوصابى
فياليت شعرى هل عريبٌ عليمةٌ   بذلك أو[2] نام الأحبة عما بى ؟

حدثنى عمى ، عن محمد بن داود قال :

يعاتب صديقه أبا الصقر

كان إبراهيم بن المدبر صديقَ أبى الصقر إسمعيل بن بُلبُل فلم يرض فعله لمّا نكب ولا نيابتُه عنه فقال فيه :

لا تُطِل عذلى عناء[3]   إن فى العذل بلاء[4]
لست أبكى بطن مرٍّ[5]   فكديًّا[6] فكَداء[7]
إنّما أبكى خليلا   خانَ فى الود الصفاء
يا أبا الصقر سقاك الا   له تَهتانا[8] رواء[9]
وَأدام الله نُعما   ك وَملاكَ[10] البقاء
لِمْ تجاهَلتَ ودادِى   وَتناسيتَ الإخاء ؟

(١) أستنشى : أشم ، وفى س ، ب : «لأستنشى» وفى هد هج : «إنى لأستنشى» بلا واو ، فيكون فى البيت خرم .
(٢) فى ب ، س : « أم » .
(٣) فى س وب : « عيًّا » .
(٤) فى س ، ب : « عياء » .
(٥) بطن مر : من نواحى مكه يجتمع عنده وادى النخلتين .
(٦) بأسفل مكة عند ذى طوى بقرب شعب الشافعيين .
(٧) بأعلى مكة عند المحصب .
(٨) تهتانا : مطرا متتابعا .
(٩) رواء : كثيرا مرويا .
(١٠) ملاك : أساس .

كنتَ بَرًّا فعلى رأ سى تعلَّمت الجفاء
لا تميلنَّ مع الري ح إذا هبَّتْ رُخاء
ربَّما هَبَّتْ عقيمًا(١) تترك الدنيا هَبَاء

أخبرنى علىّ بن العباس قال : حدثنى أبى قال :

كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عَريبُ . فقال لها : رأيت البارحة فى النوم أبا العبيس وَقد غنى فى هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه : ١٢٧ ١٩

حلم يتحقق

يا خليلىَّ أَرِقْنا حزَنَا لِسَنَا بَرقٍ تبدَّى مَوْهِنا(٢)

وَكأنى أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول :

وجلا عن وجهِ دعدٍ مَوْهِنا عجبًا منه سَنًا أبدى سَنَا

فقالت : ما أملح والله الابتداء والإجازة ! فاجعل ذلك فى اليقظة ، واكتب إلى أبى العبيس وسله عنى وعنك الحضورَ ، فكتب إليه إبراهيم :

يا أبا العبَّاسِ يا أفتى الورى زارنا طيفُك فى سُكْر الكرَى
وتغنَّى لىَ صوتًا حسنًا فى سنا برقٍ على الأفق سرَى
وعريبٌ عندنا حاصلةٌ(٦) زينُ مَنْ يمشى على وجه الثَّرى
نحنُ أضيافُكَ فى منزلنَا نتمنَّاكَ فكن أنت القِرَى

قال : فسار إليهما أبو العبيس ، وحدثه إبراهيم برؤياه ، فحفظا الشعر ، وَغنّيا فيه بقية يومهما :

(١) عقيما : لا خير فيها .
(٢) موهن ، نحو نصف الليل .
(٣) فى هد : « حاضرة » .

صوت

ألا حيِّ قبل البين من أنتَ عاشقُهْ	ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومن لا تواتى دارَه غيرَ فَيْنَةٍ (١)	وَمن أنت تبكى كلَّ يوم تُفارِقُه

الشعر لقَيْس بن جَروَة الطائي الأجَئِيّ ، قاله في غارة أغارها عمرُو بنُ هند على إبل الطائيّ فحرَّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طيّء وقال له : إنهم يتوعّدونك ، فغزاهم واتّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببنى (٢) تميم في يوم أوارة (٣) وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلُّق بعض أخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصلى ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى ومِنْ مجموع غناء إبراهيم .

(١) الفينة : الحين .
(٢) كذا في جـ ، وفي س ، ب ، ف : « ابن » .
(٣) أوارة : اسم ماء أو جبل لبنى تميم بناحية البحرين ؛ وقد أوقع فيه عمرو بن هند ببنى تميم .

ذكر الخبر فى هذه الغارات والحروب

يوم أوارة

نسخت ذلك من كتاب عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه، وذكر أن أحمد ابن الهيثم بن فراس [1] أخبره به عن العمرىّ عن هشام بن الكلبىّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّئ. قال: وحدثنى محمد بن أبى السرىّ عن هشام بن الكلبى قالوا:

كان من حديث يوم أوارة أن عمرَو بنَ المنذر بن ماء السماء — وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار[2] الكندىّ وهو الذى يقال له مُضَرِّط الحجارة — أنه كان عاقد هذا الحى من طيّئ على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا، وأن عمرو بنَ هند غزا اليمامةَ، فرجع مُنْفِضا [3] فمر بطيّئ، فقال له زُرَارَة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى: أبيتَ اللعن! أصِبْ من هذا الحىّ شيئا، قال له: ويلك! إنّ لهم عَقْدا، قال: وإن كان، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادًا[4]. فقال فى ذلك الطائىّ، وهو قيس بن جَروة أحد الأجئيين [5] قال:

قيس بن جروة يتهدد عمرو بن هند

ألا حىِّ قبل البين من أنت عاشقُهْ ... ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومن لا تُواتى دارُه غيرَ فَيْنةٍ ... ومن أنت تبكى كلَّ يوم تُفارقُهْ
وتعدو بصحراء الثويةِ [6] ناقتى ... كعدو النَّحوص[7] قد أمخَّت[8] نواهقُهْ[9]

(١) وفى س، ب: «الفراس».
(٢) المرار: شجر من أفضل العشب، وأضخمه إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها.
(٣) منفضا: نافد الزاد.
(٤) الذود: جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلا من الإناث.
(٥) فى س، ب: الأحيين، وهو تحريف، والنسبة إلى أجأ.
(٦) الثوية: موضع قرب الكوفة.
(٧) النحوص: الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها، وفى هج: «كعد و رباع».
(٨) أمخت: صار لها مخ.
(٩) النواهق: عظام شاخصة من ذى الحافر فى مجرى الدمع، والمراد أنها سمينة.

١٢٨ إلى الملك الخير ابن هند تزوره وليس من الفوت الذى هو سابقه(١)
١٩ وإنّ نساء غُيِّرْنَ ما قال قائل غنيمةُ سَوء بينهن مَهارقه(٢)
ولو نيل فى عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ رَدَدْنا وهذا العهد أنت مُعالقه(٣)
فهبك ابنَ هند لم تُعِقْك أمانةٌ وما المرء إلا عَقده وَمواثِقهُ
وكنا إناسا خافضين بنعمةٍ يسيل بنا تلعُ(٤) المَلا(٥) وأبارقه(٦)
فأقسمتُ لا أحتلُّ(٧) إلا بصهوةٍ(٨) حرامٌ علىَّ رَملُه وشقائقِه(٩)
وأقسم جَهدا بالمنازِل من مِنًى وماخبَّ(١٠) فى بطحائِهن دَرادِقُه(١١)
لئن لم تغيِّر بعضَ ما قد فعلتمُ لأنتحينّ(١٢) العظم ذو أنا(١٣) عارقه(١٤)

(١) فى ب ، س : « سائقه » .

(٢) المهرق: ثوب أبيض أو ورق يُكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر ، والمعنى : أن النساء اللاتى سباهن الملك وحسّن له بعض الناس الإيقاع بهن غنيمة شر لاينتفع بها إذ قد سبق عهد الملك لهن بالأمان .

(٣) معالقه : متعلق بذمتك ، والمعنى لو صاد أحد أرنبا فى حمانا لاقتصصنا منه وفاء بعهدنا فكيف بك لاتحمى نساء تعهدت لهن ! .

(٤) تلع : جمع تلعة وهى ماعلا من الأرض أوماسفل منها والمراد الثانى .

(٥) الملا : الصحراء .

(٦) أبارق : جمع أبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين .

(٧) أحتل : أنزل .

(٨) صهوة : برج يتخذ فى أعلى الرابية .

(٩) شقائق : جمع شقيقة وهى أرض صلبة بين رياض تنبت العشب والشجر .

(١٠) الخبب : سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه .

(١١) درادق : جمع دردق كعسكر : صغار الإبل .

(١٢) لأنتحين : لأقصدن ، يريد لأصيبن هذا العظم .

(١٣) كذا فى ف واللسان وفى س ، ب : أنت .

(١٤) عرق العظم : أخذ اللحم الذى عليه كله ، وفى س ، ب ، ج : «غارقه» ، وهو تحريف .

فرمى عارقا بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرارة بن عدس : أبيت اللعن ، إنه يتوعدك . فقال عمرو بن هند لترملة[1] بن شعاث الطائى وهو ابن عم عارق[2] : أيهجونى ابن عمك ويتوعدنى ! قال : والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارَكم ... لكسا الوجوه غضاضة[3] وهوانا
وسلاسلا يبرقن فى أعناقكم ... وإذا تقطَّع تاكم[4] الأقرانا[5]
ولكان عادتُه على جيرانه ... ذهبا ورَيطا رادِعا وجِفانا

قالوا : الرداع : المصبوغ بالزعفران ، وإنما أراد ترملة أن يدفع عن ابن عمه ، فقال : والله لأقتلنه . فبلغ ذلك عارقا ، فأنشأ يقول :

من مبلغٌ عمرو بنَ هندٍ رسالةً ... إذا استحقبتها[6] العيس[7] تُنضَى[8] على البعد
أيوعدُنى والرمل بينى وبينه ... تبيَّنْ رويداً ما أمامةُ من هند
ومن أجأٍ[9] دونى رِعانٌ[10] كأنّها ... قنابل خيل[11] من كُميت[12] ومن وَرْدِ[13]

(١) فى س ، ب : « ثرملة » تحريف .
(٢) فى س ، ب : « غارق » تحريف .
(٣) فى س ، ب ، هد : « ما إن كساكم ضرة » .
(٤) فى ج : « منكم » وفى هج : « عنكم » .
(٥) الأقران : جمع قرن كجبل : حبل .
(٦) حملتها على حقيبة الرحل .
(٧) الإبل البيض جمع أعيس أو عيساء .
(٨) تنضى : تهزل .
(٩) فى س ، ب : « وما أجا » .
(١٠) رعان : جمع رعن وهو أنف يتقدم الجبل .
(١١) قنابل : جمع قنبل ، جماعة من الخيل .
(١٢) كميت : تصغير كمت ، وهو من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص .
(١٣) ورد : أحمر ضارب إلى الصفرة .

غدرتَ بأمر أنت كنتَ اجتذبْتَنا عليه وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهد
فقد يتركُ الغدرَ الفتى وطعامُه إذا هو أمسَى حَلبةٌ من دم الفصد[(١)]

عمرو يغزو طيئا ويشفع غانما فيهم

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا ، فغزا طيئا ، فأسر أسرى من طيىء من بنى عدى بن أخزم — وهم رهط حاتم بن عبد الله — فيهم رجلٌ من الأجئيّين يقال له قيسُ بن جَحدر — وهو جد الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم — فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند ، وكذلك كان يصنع ، فسأله[(٢)] إياهم ، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر ، لأنه كان من الاجئيِّين من رهط عارق ، فقال حاتم :

فككتَ عديًّا كلَّها من إسارها فأنعِمْ وشفِّعنى بقيسِ بنِ جَحْدَرِ
أبوه أبى والأمهاتُ أمّهاتنا فأنعم فدتْكَ اليوم نفسى ومعشرى[(٣)]

فأطلقه .

مالك بن المنذر

قال : وبلغنا أن المنذرَ بن ماء السماء وضع ابنا له صغيراً ويقال : بل كان أخاله صغيرا يقال له : مالِك عند زُرارة ، وإنه خرج ذات يوم يتصيَّدُ ، فأخفق ، ولم يصب شيئا ، فرجع ، فمرّ بإبل لرجل من بنى عبد الله بن دارِم ، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن
١٢٩ عبد الله بن دارم ، وكان عند سويد ابنةُ زُرارة بن عُدَس ، فولدت له سبعةَ غِلمة ،
١٩ فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويدٌ نائم ، فلما انتبه شدَّ على مالك بعصاً فضربه بها ، فأمّه[(٤)] . ومات الغلامُ ، وخرج سويدٌ هاربا حتى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن ، فحالف بنى نوفل بن عبد مناة واختطّ[(٥)] بمكة ، فمن ولده أبو أهاب

(١) مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه .
(٢) ب ، س : « فسألهم » تحريف .
(٣) ف : « أهلى ومعشرى » .
(٤) أمه : شج رأسه .
(٥) اختط : نزل خطة بمكة ، وفى هد ، هج : « مناب » بدل « مناة » .

ابن عزيز[1] بن قيس بن سويد ، وكانت طيئ تطالب عثرات زُرارة وبنى أبيه حتى يأتهم ما صنعوا بأخى الملك ، فانشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلْقَط الطائى يقول :

من مبلغٌ عمرا بأنّ المر ء لم يُخلقْ صُبارهْ[2]
وحوادث الأيـام لا تبقى لها إلا الحجارهْ
أن ابن عِجزةِ أمه بالسَّفح أسفلَ من أوارهْ

— قال هشام : أول[3] ولد المرأة يقال له : زُكمة ، والآخر : عِجزة —

تسفِى الرياحُ خلاله سَحْياً وقد سَلَبُوا إزارَهْ[4]
فاقتل زُرارةَ لا أرى فى القوم أفضلَ من زراره

هرب زرارة وعودته

فلما بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى ، حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبرُ زرارة ، فهرب، وركب عمرو بن هند فى طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهى حُبلى فقال : أذكرٌ فى بطنك، أم أنثى ؟ قالت : لا علم لى بذلك ،قال: ما فعل زُرارة الغادر الفاجر ؟فقالت: إن[5] كان ما علمتُ لطيِّبُ العرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد ، ولا يسأل عما فقَد ، لا ينام ليلةَ يَخافُ ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ . فبَقر بطنها .

فقال قوم زُرارة لزرارة: والله ماقتلتَ أخاه، فأت الملك ، فاصدقه الخبر ،فأتاه زرارة ، فأخبره الخبر فقال : جئنى بسويد ، فقال: قد لحق بمكة ، قال: فعلىّ ببنيه السبعة، فأتى ببنيه

(١) فى س ، ب : « أهاب من عزيز » .

(٢) صبارة مثلثة الصاد : الحجارة الملس .

(٣) فى القاموس والصحاح : آخر ولد الأبوين ، وعليه فهو مرادف للعجزة .

(٤) سحياً : قشراً .

(٥) إن هنا مخففه من الثقيلة .

وبأمهم بنت زُرارة (١) وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه ، وتعلّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرارة : يابعضى دع بعضا (٢) ، فذهبت مثلا . وقتلوا .

عمرو ينكل ببنى تميم

وآلى عمرو بن هند بأَلِيَّة لَيحرِقَنَّ من بنى حنظلة مائةَ رجل، فخرج يريدهم وبعث على مقدّمته الطائىَّ عمرو بن ثعلبة (٣) بن عَتّاب بن مِلقط ، فوجدوا القوم قد نَذِروا ، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ، حتى انتهى إلى أوارة ، فضُرِبَتْ فيه قُبّتُه ، فأمر لهم بأُخدود فحُفِر لهم ، ثم أضرمه نارا ، فلما احتدمت وتلظّت ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

إن الشقى وافد البراجم

وأقبل راكب من البراجم — وهم بطن من بنى حنظلة — عند المَساء ، ولا يدرى بشىء مما كان يُوضِع له (٤) بعيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد أقويتُ (٥) ثلاثا لم أذق طعاما ، فلما سطع الدخان ظننتُه دخانَ طعام ، فقال له عمرو بن هند : ممن أنت ؟ قال : من البراجم ، قال عمرو : إن الشقىَّ وافدُ البراجم (٦) فذهب مثلا ، ورمى به فى النار ، فهجت العرب تميما بذلك ، فقال ابن الصَّعِق العامرى :

ألا أبلغْ لديكَ بنى تميم ... بآية ما يُحبُّون الطعاما

مثل من شجاعة المرأة

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا ، فقيل له : أبيت اللعن ! لو تحلّلت بامرأة منهم ،

(١) فى س ، ب : « زرارة غلمة » وهو تحريف .

(٢) مثل يضرب فى تعاطف ذوى الأرحام، وأراد بقوله : يابعضى أولاد بنته لأنهم جزء منه. وبقوله : بعضا نفسه .

(٣) فى س ، ب : «غيات» .

(٤) الإيضاع : حمل الدواب على العدو السريع .

(٥) أقويت : نفد زادى

(٦) مثل يضرب لمن يوقع نفسه فى هلكة .

فقد أحرق تسعة وتسعين رجلا . فدعا بامرأة من بنى حنظلة ، فقال لها : من أنت ؟
١٣٠ قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قَطَنَ بن نَهشلَ بن دارم ، فقال : إنى
١٩ لأظنّك أعجمية ، فقالتْ : ما أنا بأعجمية ولا ولدتْنى العجم .

إنّى لبنتُ ضمرةَ بنِ جابرِ ... سادَ معدًّا كابراً عن كابرِ (١)
إنى لأختُ ضمرةَ بنِ ضمرهْ ... إذا البلادُ لُفِّعتْ بجمرهْ

قال عمرو : أما والله لولا مخافة أن تلدى مثلك لصرَفتكِ عن النار ، قالت : أما والذى أسألُه أن يضع وسادَك ، ويخفض عمادَك ، ويسلبك ملكك (٢) ، ما قتلتَ إلا نساء أعاليها ثُدِىّ وأسافلها دُمِىّ (٣) قال : اقذفوها فى النار ، فالتفتت ، فقالت : ألا فتًى يكون مكان عجوز ! فلما أبطؤوا عليها قالت : صار الفتيانُ حُمَما (٤) ، فذهبت مثلا فأحرقت ، وكان زوجها يقال له هَوذة (٥) بن جرول بن نهشل بن دارم .

فقال لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه :

لقيط يعير بنى مالك
لمن دمنةٌ أقفرتْ بالجنابِ ... إلى السفحِ بين المَلاَ فالهضابِ (٦)
بكيتَ لعرفانِ آياتِها ... وهاج لك الشوقَ نعبُ الغرابِ
فأبلغ لديكَ بنى مالكٍ ... مغلغلةً (٧) وسراةَ الرِّبابِ

(١) فى س ، ب : « كابر » .
(٢) فى بعض النسخ « ويقرب هلكك » .
(٣) جـ : دم ، كناية عن السمنة ، وفى هد : « حلى » .
(٤) فى ب ، س : « كان الفتيان » .
(٥) فى س وب : « حوذة » وهو تحريف .
(٦) الجناب والسفح والملا والهضاب : مواضع .
(٧) أى رسالة محمولة من بلد إلى بلد .

فإن امرأً أنتمُ حولَه تحفُّون قبّتَه بالقِبابِ
يُهينُ سراتَكمُ عامدًا ويقتلكم مثلَ قتلِ الكلابِ
فلو كنتمُ إبلا أملحتَ (١) لقد نزعَتْ للمياه العذابِ
ولكنَّكمْ غنمٌ تُصطفَى ويُترك سائرُها للذئابِ
لعمر أبيكَ أبى الخير (٢) ما أردتَ بقتلهمُ من صوابِ
ولا نعمةً إن خيرَ الملو كِ أفضلُهم نعمةً فى الرقابِ

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا .

شعر الطرماح فى أوارة

واسأل زُرارة والمأمور (٣) ما فعلت قتلَى أوارةَ من رعلانَ واللدَدِ (٤)
ودارِمًا قد قذفنا (٥) منهمُ مائة فى جاحِم (٦) النار إذ يُلقَونَ بالخُدَدِ (٧)
ينزون بالمشتوِى منها ويوقدُها عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تَقِدِ

قال : فحدثنى الكلبى عن المفضل الضبى قال :

زرارة يريد الثأر من ابن ملقط

لما حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال : إنه لم يبق لى عند أحد من العرب وِتْر، إلا قد أدركته؛ غير تحضيض الطائىّ ابن ملقطِ الملك (٨) علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأيّكم يضمن لى طلبى ذلك من طيئ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك

(١) أملحت : وردت ماء ملحا .
(٢) س ، ب : « إلى الخير » ولا معنى له .
(٣) ب ، س : «المأمون» .
(٤) رعلان حصن ، واللدد : موضع ، وفى هد : باللدد .
(٥) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «قتلنا» .
(٦) جاحم : شديد الاشتعال .
(٧) الخدد : جمع خدة أى حفرة .
(٨) فى س ، ب : «ملقة الملك» .

بذلك ياعم . ومات زرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة ، ففاتوهم ، وأصاب ناساً من بنى طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثمامة و قال فى ذلك شعرا .

لقيط بن زرارة يخطب بنت ذى الجدين

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلا شريفا ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خُيَلاَء ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب . فقال له زرارة : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتنى بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحت بنت ذى الجدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله علىَّ ألا يمس رأسى غسل ، ولا آكُلَ لحما ، ولا أشرب خمرا ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له ، يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بنى شيبان ، فسلما على ناديهم ثم ١٣١ ١٩
قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذو الجدَّين ؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذ ، قالوا : نعم ، قال : فأيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلا أصابه بشرٍّ وسمَّع به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بنُ زُرارة بن عُدُس بن زيد ، قال قيس : عجباً منك ياذا القُمَّة ! هلا كان هذا بينى وبينك ؟ قال : ولم ياعمّ ؟ فوالله إنك لرُغْبة [١] وما بى من نَضَاة [٢] — أى مابى عار — ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لأفضحك ، فأعجب قيسا كلامُه ، وقال : كفء كريم ؛ إنى زوّجتُكَ ومهرتُكَ مائة ناقة ليس فيها مظائر [٣] ولا ناب [٤] ولا كَزُوم [٥] ، ولا تبيت عندنا عَزَبا ولا محروما . ثم أرسل إلى أم الجارية :

(١) رغبه : يرغب فيك الناس .

(٢) ف : « قصاه »

(٣) كذا فى ف ومعناها ليست مشرومة الأنف حين تعطى للظئار ، وفى س ، ب «مصابرة» .

(٥) الناب : الناقة المسنة .

(٦) الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هرما .

أنى قد زوجت لقيطاً بن زُرارة ابنتى القَدور، فاصنعيها واضربى لها ذلك البَلَق[1]، فإن لقيطاً ابنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزبا. وجلس لقيط يتحدث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأردُّها للقاح وأحزِلُها للجمال، وأما المقام فأسمنها للجمال، وأحبُّها للنساء. فأعجب ذلك قيساً، وأمر لقيطا، فذهب إلى البلَق فجلس فيه، وبعثت إليه أمُّ الجارية بجمرة وبخور، وقالت للجارية: اذهبى بها إليه، فوالله لئن ردّها ما فيه خير، ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالجمرة بخّر شعره ولحيته ثم ردّها عليها، فلما رجعت الجاريةُ إليها، خبّرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليقٌ للخير، فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه. فمازحها بكلام اشمأزّت منه، فنام وطرح عليه طرف خَميصة[2]، وباتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلّت فرجعت إلى أمها، فانتبه لقيط، فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قرادا وهو فى أسفل الوادى، فقال: ارحل بعيرك وإياك أن يُسمع رُغاؤها[3].

لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى

فتوجها إلى المنذر بن ماءالسماء، وأصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت، ولم يدر ما الذى ذهب به. ومضى لقيط، حتى أتى المنذَر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر، ثم انصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه، فأخبره خبره.

لقيط يعود إلى زوجته ثم تتيم منه

وأقام يسيرا، ثم خرج هو وقرادٌ حتى جاءا محلة بنى شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا فى طلبهم حتى وقعا فى الرمل، فقال لقيط:

انظر قرادُ وهاتا نظرةً جزعا عُرضَ الشقائق هل بيّنْتَ أظعانا

(١) البلق: الفسطاط.

(٢) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٣) البعير يطلق على الناقة ايضا، ولذلك أنث الضمير.

فيهن أترجة(١) نضخ(٢) العبير بها تكسى ترائبها شذرا(٣) ومرجانا

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلما أرادت الرحيل قال لها : يابنية كونى لزوجك أمة يكن لك عبداً ، وليكن أكثر طيبك الماء ، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظا طويلا ، واعلمى أن زوجك فارس مضر ، وأنه يوشك ان يقتل أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ولا تحلقى شعرا ، قالت له : أما والله لقد ربيتنى صغيرة ، وأفصيتنى كبيرة ، وزودتنى عند الفراق شر زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمر بحى من العرب إلا قالت: يالقيط ، أهؤلاء قومك؟ فيقول : لا ، ١٣٢

١٩ حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت القباب ، والخيل العراب(٤) ، قالت : يالقيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم ، فأقام أياما يطعم وينحر ، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قتل يوم جبلة(٥) ، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحملت، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يابنى دارم ، أوصيكم بالغرائب خيراً ، فوالله ما رأيت مثل لقيط ، لم تخمش عليه امرأة وجهاً ولم تحلق عليه شعرا ، فلولا أنى غريبة لخمشت وحلقت ، فحبب الله بين نسائكم ، وعادى بين رعائكم ، فأثنوا عليها خيرا.

زوجة لقيط فى عصمة غيره

ثم مضت حتى قدمت على أبيها ، فزوجها من قومه ، فجعل زوجها يسمعها تذكر لقيطا وتحزن عليه ، فقال لها : أى شئ رأيت من لقيط أحسن فى عينك ؟ قالت : خرج يوم دجن وقد تطيب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها، ثم أتانى وبه نضح دماء ، فضمنى ضمة ، وشمنى شمة ، فليتنى مت ثمة ، فلم أر منظراً كان أحسن من لقيط . فسكت عنها

(١) الأترجة ثمر شجر بستانى من فصيلة الليمون .
(٢) نضح ، أى أثر طيب يبقى فى الثوب وغيره .
(٣) شذراً : قطعا من الذهب .
(٤) العراب : خلاف البراذين واحدها عربى .
(٥) يوم بين بنى عبس وذبيان ابنى بغيض .

حتى إذا كان يومُ دَجن شَرب، وتملّى، ثم ركب، فطرد البقر، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطيبُ وريح الشراب، فضمها إليه وقبّلها، ثم قال لها: كيف ترينَ؟ أأنا أم أقيط فقالت: ماءٌ ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسّعدان[1] فذهبت مثلا، وصَدّاء: ركية ليس فى الأرض ركية أطيب منها، وقد ذكرها التيمى فى شعره:

إنّى وتهيامى بزينب كالذى يُخالس من أحواض صَدّاءَ مَشربا

يرى دونَ برد[2] الماء هَولاً وذادةً إذا اشتد[3] صاحوا قبل أن يتحببا

يقول: قبل أن يروَى يقال: تحبّبتُ من الشراب أى رَويتُ، وتحببت منه أيضاً أى رويت منه، والتحبُّبُ: الرّىّ.

(١) السعدان: أطيب المراعى للإبل.
(٢) فى ب: «ورد».
(٣) فى ف: «شد».

صوت

وكاتبةٍ فى الخدّ بالمسك جعفرًا ... بنفسى مَخطُّ[1] المسك من حيث أثّرا
لئن كتبتْ فى الخدّ سطرا بكفّها ... لقد أودعتْ قلبى من الحبّ أسطُرا
فيا من لمملوكٍ لملكِ يمينه ... مطيعٌ لها فيما أسرَّ وأظهرا
ويا من هواها فى السريرة جعفرٌ ... سقى الله من سُقْيا ثَنَاياكِ جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكل ، والغناء لعَريب خفيفُ رَمَل مطلق .

(١) القلم يخط به المسك .

أخبار محبوبة

كانت محبوبة أجمل من فضل

كانت محبوبة مولَّدة من مولدات البصرة ، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها ، وكانت محبوبة أجملَ من فضل وأعفَّ ، وملكها المتوكل وهى بكر ، أهداها لهُ عبدُ الله بنُ طاهر ، وبقيت بعده [1] مدة ، فما طمع فيها أحد ، وكانت أيضاً تغنى غناء ليس بالفاخر [2] البارع

أخبرَنى بذلك جحظةُ عن أحمد بن حَمدون . وأخبرنى جعفرُ بن قُدامة قال:

بديهتها تسبق روية على بن الجهم

١٣٣
١٩

حدثنى علىّ بن يحيى المنجم : كان علىّ بنُ الجهم يُقرَّب من أنس المتوكل جدًّا ، ولا يكتمه شيئاً من سره مع حرمه وأحاديث خَلَواته ، فقال له يوما : إنى دخلت على قبيحةَ ، فوجدتُها قد كتبت اسمى على خدِّها بغالية [3] ؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ ، فقل فى هذا شيئاً . قال : وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء السِّتر ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها فى جملة أربعمائة وصيفة [4] إلى المتوكل ، قال : فدعا علىّ بن الجهم بدواة ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر ، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويَّة :

وكاتبةٍ بالمسك فى الخدِّ جعفرَا ... بنفسى مَخطُّ المسكِ من حيث أثَّرَا
لئن كتبتْ فى الخد سطرا بكفِّها ... لقد أودعتْ قلبى من الحبِّ أسطرَا

(١) فى هج : « عنده » .
(٢) فى ف : « غير بارع فاخر » .
(٣) الغالية : أخلاط من الطيب .
(٤) ف : « جارية » .

فيا مَنْ لمملوكٍ لِملكِ يمينه مُطيعٍ له فيما أسرّ وأظهرا
ويا من مناها (1) في السريرةِ جعفرٌ سقى الله من سُقيا ثَناياكِ جعفرا

قال: وبقيَ عليّ بن الجهم واجما لا ينطق بحرف. وأمر المتوكل بالأبيات، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنّيَ فيها، قال علي بن يحيى: قال علي بن الجهم بعد ذلك: تحيّرتُ والله، وتقلّبت خواطري، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله.

شعرها في تفاحة

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثني ابن خُرْداذبة قال حدثني عليّ بنُ الجهم: قال كنتُ يوما عند المتوكل وهو يشربُ ونحن بين يديه، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مغلّفة فقبّلتها، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها، وضحك ضحكا شديدا، ثم رمى بها إلينا، فقرأناها وإذا فيها:

ياطيبَ تُفاحة خلوتُ بها تُشعل نارَ الهوى على كَبِدي
أبكي إليها وأشتكي دَنَفي وما أُلاقي من شدّة الكَمَدِ
لو أن تفاحةً بكت لبكت من رحمتي هذه التي بيدي
إن كنتِ لا ترحمين ما لقيتْ نفسي من الجهد فارحمي جسدي

قال: فوالله ما بقيَ أحد إلا استظرفها، واستملحها، وأمر المتوكل فغُنّيَ في هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقية يومه.

وفاؤها للمتوكل بعد موته

حدثني جعفر بن قُدامه قال حدثني علي بنُ يحيى المنجم أن جواريَ المتوكل تفرّقن بعد قتله، فصار إلى وصيف عدّة منهن، وأخذ محبوبة فيمن أخذ، فاصطبح يوما وأمر بإحضار جواري المتوكل، فأحضرن، عليهنّ الثياب الملونة،

(1) ف: «هواها» بدل «مناها».

والمذهبة والحُلِيّ، وقد تزيَّنَّ وتعطَّرن إلا محبوبة فإنها جاءت مَرْهاء(1) متسلِّبة(2)، عليها ثيابُ بياضٍ غيرِ فاخرة، حزنًا على المتوكل. فغنَّى الجواري جميعا، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب، ثم قال لها: يامحبوبة غنِّي فأخذت العود، وغنَّت وهي تبكي، وتقول:

أيُّ عيش يلذُّ لي لا أرى فيه جعفرَا
ملكًا قد رأته عيـ ـني قتيلا معفَّرَا (3)
كلُّ من كان ذا هيا مٍ وحزن فقد برَا (4)
غيرَ محبوبةَ التي لو ترى الموتَ يُشترَى
لاشترتـه بما حوتـ ـه يداها لتُقبرَا
إن مَوْتَ الكئيبِ أصْـ ـلحُ من أن يعمَّرَا

١٣٤ فاشتدَّ ذلك على وصيف، وهمَّ بقتلها. وكان بُغا حاضرا، فاستوهبها منه، فوهبها
١٩ له، فأعتقها، وأمر بإخراجها، وأن تكون بحيث تختارُ من البلاد، فخرجت من سُرَّ من رأى إلى بغداد، وأُخْمِلَتْ ذكرها طولَ عمرِها.

خصام وصلح في المنام، ثم في الحقيقة

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حدثني ملاوِيّ الهَيْثَمي قال: قال لي عليُّ بنُ الجهم: كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكل، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية، وكانت بارعةَ الحسن والظَّرف والأدب مغنِّيةً محسنة، فحظِيتْ عند المتوكل، حتى إنه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب، فيُدخلُ رأسَه إليها، ويحدِّثها، ويراها في كل ساعة. فغاضبها يوما، وهجرها ومنع جواريَه جميعا من

(1) مرهاء: غير مكتحلة.
(2) متسلبة: لابسة ثياب الحداد.
(3) معفرا: ممرغا في التراب أو مضروبا به الأرض.
(4) برا: برأ من مرضه، بمعنى شفي منه.

كلامِها ثم نازعتْه نفسُه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعته العزةُ ، وامتنعت من ابتدائه إدْلالاً عليه بمحلّها منه . قال عليُّ بنُ الجهم : فبكّرْتُ إليه يوما فقال لى : إنى رأيت البارحة محبوبة فى نومى كأنى قد صالحتُها ، فقلت : أقرّ الله عينَك يا أمير المؤمنين ، وأنامَك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح فى اليقظة ، فبينا هو يحدّثنى وأجيبه(1) إذا بوصيفة قد جاءته ، فأسرّت إليه شيئا ، فقال لى : أتدرى ما أسرّتْ هذه إلىّ ؟ قلت: لا ، قال : حدثتنى أنها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهى فى حجرتها تغنّى ، أفلا تعجب من هذا ؟ إنى مغاضبها ، وهى متهاونة بذلك، لا تبدؤنى بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغنى فى حجرتها ، قم بنا يا علىّ حتى نسمع ما تُغنّى . ثم قام ، وتبعتُه ، حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هى تغنى وتقول :

أدُور فى القصر لا أرى أحداً   أشكو إليه ولا يكلّمُنى
حتى كأنى ركبتُ معصيةً   ليست لها توبةٌ تخلِّصُنى
فهل لنا شافعٌ إلى مَلِكٍ   قد زارنى فى الكرى فصالحنى
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا   عاد إلى هجره فصارمنى

فطرب المتوكلُ ، وأحسّت بمكانه ، فأمرت خدَمَها ، فخرجوا إليه ، وتنحّينا وخرجتْ إليه ، فحدّثته أنها رأته فى منامها ، وقد صالحها ، فانتبهتْ ، وقالت هذه الأبيات ، وغنّت فيها . فحدّثها هو أيضا برؤياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كلّ واحد منا بجائزة وخلعة .

ولما قتِل تسلّى عنه جميعُ جواريه غيرها ، فإنها لم تزل حزينة متسلّبة هاجرة لكل لذة حتى ماتت . ولها فيه مراثٍ كثيرة .

(1) فى س ، ب : «فأحدثه» .

صوت

يا ذا الَّذى بعذابى ظلَّ مفتخرا هل أنت إلا مليكٌ جارَ إذ[1] قَدَرا
لولا الهوى لتجازينْا[2] على قَدَرٍ وإن أفِقْ منه يوما ما فسوفَ تَرَى

الشعر يقال إنه للواثق، قاله فى خادم له غضب عليه، ويقال: إن أبا حفص الشّطرنجى قاله له.

والغناء لعبيدة الطنبورية رمَل مطلق، وفيه لحن للواثق آخر، قد ذكر فى غنائه.

(١) س، ب: «أن».
(٢) وفى س، ب: «لتجارينا».

أخبار عبيدة الطنبورية

نشأتها
كانت عُبيدةُ من المحسنات المتقدّمات فى الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسبُها بشهادته . وكان أبو حشيشة(١) يعظّمها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية ، وكانت من أحسنِ الناس وجهاً ، وأطيبهم صوتاً . ذكرها جحظة فى كتاب الطنبوريين ١٣٥ ١٩ والطنبوريات ، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال : كانت من المحسنات ، وكانت لا تخلو من عشق ، ولم يُعرف فى الدنيا امرأة أعظمُ(٢) منها فى الطنبور ، وكانت لها صنعة عجيبة ، فمنها فى الرمَل :

كن لى شفيعاً إليكا إن خفّ ذاك عليكا
وأعفِنى من سؤالى سواكَ(٣) ما فى يديكا
يا مَنْ أعِزُّ وأهوَى مالى أهونُ عليكا ؟

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لى علىّ بن الهيثم اليزيدىّ :

تغنى بحضرة إسحاق وهى لا تعرفه
كان أبو محمد — يعنى أبى رحمه الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ — يألفنى ويدعونى ، ويعاشرُنى ، فجاء يوماً إلى أبى الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرّ بى ، وأنا مشرف من جَناح لى ، فوقف ، وسلّم علىّ . وأخبرنى بقصته ، وقال : هل تنشطُ اليومَ للمسير إلىّ ؟ فقلت له : ماعلى الأرض(٤)

(١) هو محمد بن على بن أبى أمية كان نديم الخلفاء وله كتاب فى الطنبوريين أجاد فيه .
(٢) كذا فى ف وحج وفى النسخ الأخرى : «أعطوه»
(٣) ف «سؤال» .
(٤) فى هد : «مافى الأرض» .

شيء أحبّ إلىّ من ذلك ، ولكنى أخبرك بقصتى ، ولا أكتمك . فقال : هاتها ، فقلت : عندى اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام ، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبورية ، وهى حاضرة ، والساعةَ يجىء الرجلان ، فامض فى حفظ الله ، فإنى أجالسُهم حتى تنتظمَ أمورُهم ، وأروح إليك ، فقال لى : فهلاّ عرضتَ علىّ المُقام عندك ؟ فقلت له : لو علمتُ أن ذلك مما تنشَط له والله لرغبتُ إليك فيه ، فإن تفضلتَ بذلك كان أعظمَ لمنّتك ، فقال : أفعلُ ، فإنى قد كنت أشتهى أن أسمعَ عُبيدة ، ولكن لى عليك شريطة ، قلت : هاتها ، قال : إنها إن عرفتنى وسألتمونى أن أغنّى بحضرتها لم يخفَ عليها أمرى وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جِبِلّتها(١) ، فقلت : أفعلُ ما أُمرتَ به ، فنزل وردّ دابته وعرّفتُ صاحبىّ ما جرى ، فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر ، وقُدِّم النبيذ ، فاندفعت تغنّى لحناً لها تقول :

قـريبٌ غـيرُ مقتربِ ومؤتلِفٌ كمجتنِبِ
له وُدِّى ولى منه دواعى الهم والكُرَب
أواصلهُ على سببٍ ويهجُرنى بلا سببِ
وَيظلمُنى على ثقةٍ بأنّ إليه مُنْقَلَبى

فطرب إسحاق ، وَشرب نِصفاً ، ثم غنّت وَشرب نِصفاً ، ولم يزل كذلك حتى وَالى بين عشرة أنصاف ، وَشربناها معه ؛ وَقام ليصلّى ، فقال لها هارون بن أحمد ابن هشام : وَيحك يا عبيدة إنك ما تبالين وَالله متى متّ ، قالت(٢) : ولم ؟ قال : أتدرينَ منَ المستحسنُ غناءكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ ، فلا تعرّفيه أنك قد عرفته . فلما جاء إسحاق ابتدأتْ

(١) فى هد ، هج ، ف : على جملتها » .
(٢) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «قال» .

تُغنّى ، فلحقتها هيبةٌ له ، واختلاط ، فتقصصنا تقصاناً بيِّنا ، فقال لنا : أعرفتُموها من أنا ؟ فقلنا له : نعم ، عرَّفها إيَّاكَ هارونُ بنُ أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذاً ، فننصرف ، فإنه لا خيرَ فى عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لى ولا لكم ، فقام فانصرف .

حدثنى بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العباس بن أبى العُبَيْس ، فذكر مثله وقال فيه : إن الصوت الذى غنّته .

* ياذا الذى بعذابى ظلَّ مفتخراً * ١٣٦ ١٩

حدثنى جحظةُ قال : حدثنى محمد بن سعيد الحاجب ، قال : حدثنى ملاحظٌ غلام أبى العباس بن الرشيد . وكان فى خدمة سعيد الحاجب ، قال :

اجتمع الطُّنبوريُّون عند أبى العباس بن الرشيد يوماً ، وفيهم السدودُ وعُبيدة ، فقالوا للسدود : غنِّ ، فقال : لا والله ، لا تقدَّمتُ[1] عُبيدَة ، وهى الأستاذة ، فما غنّى حتى غنّت .

السدود يأبى أن يغنى قبلها

وحدثنى جحظة ، قال : حدثنى شرائح الخزاعيُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال :

كانت عُبيدة تعشقُنى فتزوّجتُ ، فمرت بى يوماً فسألتها الدُّخولَ إلىّ فقالت يا كَشْخَانُ[2] ، كيف أدخل إليك وقد أقعدتَ فى بيتك صاحبة مساحقة[3] ! ولم تدخل .

لم تدخل عليه بعد أن تزوج

(١) فى ف : «ما» بدل «لا» وهى أوضح إلا اذا أريد الدعاء فتصح «لا» .
(٢) الكشخان : من لا يغار على حريمه .
(٣) كذا فى ف وفى س ، ب : «مساحقة» .

وحدثني جحظة قال:

ما كتب على طنبورها

وهب لي جعفرُ بنُ المأمونُ طنبورَها فإذا عليه مكتوب بأَبنوس:

كل شيء سوى الخيانة في الحبِّ يُحْتَمَلْ

وَحدثني جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة، وخبر جعفر أتم، إلا أني قرأتُه على جحظة، فعرفه، وَذكر لي أنه سمِعه، قالا جميعاً: حدثنا أحمد بن الطيب السرخسيّ قال:

تاريخ غير مشرف

كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ — وهو ابن بنت شبيب بن واج، وَشبيب أحد النفر الذين سترهم المنصور خلفه، قبّته يوم قتلَ أبا مُسلم؛ وقال لهم: إذا صفّقتُ فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم. ففعل وفعلوا — فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشقُ عُبيدة الطنبورية وَهو شاب وَأنفق عليها مالا جليلا، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي؟ وَمن أينَ خرجَت؟ فكتب إليّ: كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسّانيّ، نديم عبد الله بن طاهر — وأبو السمراء أحدُ العِدّة الذين وَصلهم عبد الله بن طاهر في يوم وَاحد لكل رجل منهم مائةُ ألفِ دينار — وَكان الزّبيديّ الطُّنبوريّ أخو نظم(1) العمياء، يختلف إلى أبي السمراء، وكان صباح صاحبَ أبي السمراء، فكان الزبيدي إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح وَالد عبيدة وباتَ، وشربَ، وغنى وأنِس، وكان لعُبيدة صوت حسن وطبع جيِّد، فسمعت غناءَ الزُّبيدي، فوقع في قلبها واشتهتْه، وسمع الزُّبيدي صوتَها، وعرفَ طبعَها فعلَّمها، وواظبَ عليها، ومات أبوها، ورقَّت حالُها، وقد حذَقت الغِناء على الطُّنبور، فخرجت تغنّي، وتقنع باليسير، وكانت مليحةً مقبولة خفيفة الروح، فلم يزل أمرها يزيد، حتى تقدّمتْ وكبُر حظها واشتهاها الناس. وحلّتْ تِكّتَها، وتهتّكت، ورغب فيها الفتيانُ، فكانَ أولَ مَن تعشّقها علي بن الفرج الرُّخَّجيّ(2)

(1) ف: «قطر»

(2) كذا في ف وهج وفي س، ب: «الزحجي».

أخو عمر ، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال ، فكنت أراها عنده ، وكنا نتعاشر على الفروسيّة ، ثم ولدت من علىّ بن الفرج بنتاً ، فحَجَبها لأجل ذلك ، فكانت تحتال فى الأوقات بعلة الحمّام وغيره ، فتلمُّ بمن كانت تودُّه ويودُّها ، فكنت ممن تُلمّ به ، وأنا حينئذ شابّ قد ورثتُ عن أبى مالاً عظيماً وضياعاً جليلة ، ثم ماتت بنتُها من علىّ ابن الفرج ، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ[1] حال علىّ بن الفرج ، فطلّقها فخرجت ، فكانت تخرج بدينارين للنهار ودينارين لليل ، واعترّت[2] بأبى السمراء ، ونزلت فى بعض دوره .

وتزوجت أمها بوكيل له ، فتعشّقت غلاماً من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببَغداد ، وكان يغنّى بالمِعْزفة غناء مليحاً ، وكان حسنَ الوجه ، لا عيب فى جماله إلا أنه كان متغيّرَ النكهة ، وكانت شديدة الغُلمة لا تحرِم ١٣٧
أحداً ولا تكرهه ، من حدّ الكهول إلى الطفل ، حتى تعلّقت شابًّا يعرفُ بأبى كرب ١٩
ابن أبى الخطاب ، مشرط[3] الوجه أفطس قبيحاً شديد الأدْمة ، فقيل لها : أىّ شىء رأيت فى أبى كرب ؟ فقالتْ: قد تمتعت بكل جنس من الرجال إلا السودان ، فإن نفسى تبشعهم[4] ، وهذا بينَ الاسود والأبيض ، وبيته فارغ لما أُريد ، وهو صفعانى[5] إذا أردت ووكيلى إذا أردت . قال : وكان لها غُلام يَضرب عليها يقال له علىّ وياقوت ظئر عُبيدة ، فكانت إذا خلت فى البيت وشَبِقت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغْلِ الطحّان يصلح للحَمْل والطَّحْن والركوب .

وكان عمرُو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه ، وَإنما

(١) فى س ، ب : «اختلاط» .

(٢) اعترت بفلان : اعترضت للمعروف .

(٣) كذا فى م وفى ا ، ف : «مترك» لعلها تحريف مشرط ، فإن العبيد الزنوج يشرطون وجوههم .

(٤) كذا فى ف وفى س ، ب : «تبشعهم» .

(٥) صفعانى : يصفع .

عرفها من دارى ، لأنه بعث يدعونى ، فدخل غلامُه ، فرآها عندى ، فوصفها له فكتب إلىّ يسألنى أن أجيئه بها مَعى . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث ابن جمعة والحسن بن سليمان البرقى(١) وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودة ، وكان جوارى عمرو بن بانة يشتقن إليها ، فيسألنه أن يدعوها ، فيقول لهنّ : ابعثن إلى علىّ حتى يبعث بها إليكنّ ، فإنه يميل إليها ، وهو صديقى وأخشَى أن يظن أنى قد أفسدتها عليه — ولم يكن به هذا إنما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما — وكان عمرو من أبخل الناس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها :

* يا ذا الذى بعتابى ظل مفتخراً *

وكان صوتُ عَلّويه ومُخارق عليها :

* قريبةٌ غير [illegible] ترب *

وهذان الصوتان جميعا من صنعتها .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهى أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه والبَرْ مكته وتوقّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شىء يعيبه ؛ وماتت عُبيدة من نَزْف أصابها ، فأفرط حتى أتلفها .

إسحاق يحبها حية ويرثيها ميتة

وفى عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق(٢) :

أمست عُبيدةُ فى الإحسان واحدةً ... فاللهُ جارٌ لها من كلّ محذور
من أحسَنِ الناس وجها حين تُبصرُها ... وأحذقِ الناس إن غنّت بطُنبور

أخبرنى جعفرُ بن قدامة قال حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعى قال : سمعت إسحاق يقول : الطنبور إذا تجاوز عُبيدةَ هَذَيان .

(١) ف : « البرق » .
(٢) فى هج : « إسحاق إبراهيم الموصلى » .

صـ ـوت

سَرَقِه... حتى ملَّنى العائدُ وذبتُ حتى ش... الحاسدُ[1]

وكن... خلوًا من ر... س الهوى حتى رمانى طرفُك الر ائدُ

الشعر فيما أخبرنى به جحظة لخالد الكاتب ووجدته فى شعر محمد بن أُميَّة له ، والغناء لأحمد بن صدَقة الطنبورىّ ، رمل مطلق .

وقد مضت أخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أمية ونذكر ها هنا أخبارَ أحمدَ بنِ صدقة .

(١) هج : « حتى شفنى الحاسد » .

أخبار أحمد بن صدقة

١٣٨
١٩

اسمه ونشأته

هو أحمدُ بن صدَقة بن أبى صدقة ، وكان أبوه حجازيًّا مغنّياً ، قدِم على الرشيد ، وغنى له ، وقد ذَكرتُ أخبارَه فى صدر هذا الكتاب .

وكان أحمدُ بنُ صدقة طُنْبوريًّا محسنا مقدَّما حاذقا حَسَنَ الغناء مُحكم الصنعة ، وَله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطُّنْبوريين ، وكان ينزل الشام ، فوُصِف للمتوكل ، فأمر بإحضاره ، فقدِم عليه وغناه ، فاستحسن غناءه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناسُ وكَثُر منْ يدعوه ، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا .

أخبرنى بذلك جحظة وقال :

جحظة يشيد به

كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوتَ المتقدِّمَ ذكرُه ووصفَه وقرّظه ، وذكر بعده هذا الصوت:

وشادنٍ ينطق بالظَّرفِ ... حُسنُ حبيبى منتهى الوصفِ
هام فؤادى وجرت عَبْرتى(1) ... لا بَعُدَ الإلفُ من الإلفِ

قال : وهو رَمَل مطلق ، ولو حلفتُ أنهما ليسا عند أحد من مغنّى زماننا إلّا عند واحد ما حَنِثت — يعنى نفسه .

حدثنى محمدُ بنُ مزْيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثنى أحمد بن صدَقة قال :

خبره مع خالد ابن يزيد

اجتزت بخالد بن يزيدَ الكاتب ، فقلت له : أنشدْنى بيتين من شعركَ حتى أغنّى فيهما . قال : وَأىُّ حظ لى فى ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأحصِّل أنا الإثم !

(1) مج : « وجرت أدمعى » .

فحلفت له أنى إن أفدتُ بشعرك(١) فائدة جعلت لك(٢) فيها حظا ، أو أذكرتُ به الخليفة ، وسألته فيك ، فقال : أما الحظ من جهتك فأنت أنزل(٣) من ذلك ، ولكن عسى أن تفلحَ فى مسألة الخليفة ، ثم أنشدنى :

تقولُ سلا فمن المدنَفُ ... ومَنْ عينُه أبداً تَذْرِفُ ؟
ومنْ قلبُه قلِق خافقٌ ... عليك وأحشاؤُه ترجُف ؟

فلما جلس المأمون للشرب دعانى ، وقد كان غضب على حَظِيَّة له ، فحضرتُ مع المغنّين ، فلما طابت نفسه وَجّهتْ إليه بتفاحة من عنبر ، عليها مكتوب بالذهب : ياسيدى ، سلوتَ . وعلم الله أنى ما عرفتُ شيئا من الخبر .

يتغنى بنكره المأمون

وانتهى الدور إلىّ ، فغنّيتُ البيتين ، فاحمرّ وجه المأمون ، وانقلبت عيناه وقال لى : يابن الفاعلة ، ألك علىّ وعلى حرمى صاحب خبر ! فوثبت ، وقلت : يا سيدى ما السبب ؟ فقال لى : من أين عرفتَ قصتى مع جاريتى ؟ فتغنيتَ فى معنى ما بيننا ، فحلفتُ له أنى لا أعرف شيئا من ذلك ، وحدّثته حديثى مع خالد ، فلما انتهيتُ إلى قوله ، «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك ، وقال : صدق ، وإن هذا الاتفّاقَ ظريف ، ثم أمر لى بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها .

أخبرنى محمد قال : حدثنا حماد قال : حدثنى أحمدُ بنُ صدقة قال :

دخوله على المأمون فى يوم السعانين

دخلت على المأمون فى يوم السعانين(٤) ، وبين يديه عشرون وصيفة ، جلباً(٥) روميات مزنّرات(٦) ، قد تزينّ بالديباج الرومى ، وعلّقن فى أعناقهنّ صلبانَ الذهب ،

(١) فى ب ، س : «بشعره» .
(٢) فى س ، ب : «له» .
(٣) فى ف : «أنذل» .
(٤) يوم السعانين : عيد النصارى يخرجون فيه بصلبانهم قبل الفصح بأسبوع .
(٥) فى هد ، ف : «جلب» بالرفع على الوصفية لـ«عشرون» .
(٦) مزنرات : لابسات الزنار وهو منطقة للنصارى والمجوس كانوا يتميزون بها فى زيهم .

وَفى أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لى المأمون : وَيلك يا أحمد ! قد قلتُ فى هؤلاء أبياتا فغنّنى فيها .

ثم أنشدنى قوله (1) :

ظباءٌ كالدنانير ... مِلاحٌ فى المقاصيرِ

جَلاهُنّ الشعانينُ ... علينا فى الزنانيرِ

139 وقد زرّفن أصداغًا ... كأذنابِ الزرازيرِ

19 وأقبلنَ بأوساطٍ ... كأوساطِ الزنابيرِ

فغنّيتها ، وغنّيته فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقُص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند (2) إلى الإيلا (3) حتى سكر ، فأمر لى بألفِ دينار ، وأمر بأن يُنثَرَ على الجوارى ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ ، فانتهبتُها معهنّ .

حدثنى جحظة قال حدثنى جعفر بن المأمون قال :

اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلَق فى ذلك اليوم رأسَه ، فاستعجلوا بسُلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سُكُرّجة (4) خردَل ، فضربها على رأس أحمد بن صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجىء تلك . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولما كان من غد جمعنا الفضل بن يعنى فيسترضيه الفضل

(1) الأبيات زيادة فى م وا .

(2) الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدى زرفن أصداغا ، أى جعلن ملفات معرب .

(3) كذا فى س حب ، وفى ف ، هد هج « الإبل » ، ولعل المراد منه الرقص العربى ، والعرب يرقصون بالراقصات من الإبل .

(4) سكرجة : صحفة للطعام .

العباس ، فتقدم المسدودُ ، ودخل أحمد وطنبور المسدود موضوع ، فجسّه ، ثم قال : من كان يسبح فى هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه ، على أن الفضل قد جام عليهما ، وحَملها .

يقتله الأعراب وينهبون ماله

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنَيَّة له بالشأم ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

قال جحظة :

هل كان أبخر ؟

وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكانت له صديقة فقطعتْه فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنها هربت منه لأنه أبخر :

هربتْ صديقة أحمدٍ هربتْ من الرِّيقِ الرّدِى
هربت فإن عادت إلى طُنبورِه فاقطعْ يدى

صـ وت

أَلم تعلَموا أنى تُخاف عَرامتى وأن قَنَاتى لا تلينُ على القَسْر
وإنى وإياكم كمن نبّه القَطا ولولم تُنبهَّ باتت الطيرُ لا تَسرى
أَناةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بالوانى ولا الضَّرَع الغُمر (١)
أَظُنُّ صروفَ الدهر والجهل منكمُ ستحملكم منّى على مَركَب وَعر

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرمى ، وَالغناء لابن جامع ثقيل بالبنصر عن عمرو ، وفيه لسياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنّسه ، وقيل إن الشعر لوعلةَ نفسه .

(١) الضرع : الجبان. والغمر : الغبى ، والذى لم يجرب الأمور.

أخبار الحارث بن وعلة

اسمه ونسبه

الحارث بن وعلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة[1] بن الهون بن أعجب ابن قدامة بن حَرْم بن زبان[2] — وهو علافٌ ، وإليه تنسبُ الرِّحالُ العِلافيّة ، وهو أول من اتّخذها — بن حُلْوَان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة . وقد ذكرت متقدما الاختلاف فى قضاعة ، ومن نسبه مَعَدِّيًا ، ومَنْ نسبه حِميريًّا .

والرِّحال العِلافيّة مَشْهُورَة عند الناس ، قد ذكرتها الشعراءُ فى أشعارها ، قال ذو الرُّمة :

وليلٍ كجلباب العَروس ادَّرعتُه ... بأربعة والشَّخصُ فى العين واحدُ

أحَمُّ عِلافىٌّ وأبيضُ صارمٌ ... وأعيسُ مَهرِىٌّ وأروعُ ماجدُ

وكان وَعلةُ الجرمىّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعلةُ الكُلاب الثانى[3] ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقرىّ ، وطلبه ففاته رَكْضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا فى موضعه إن شاء الله تعالى . ١٤٠ ١٩

فأخبرنى عمى قال : حدثنى الكُرانىّ ، قال : حدثنا العمرىّ عن العُتبىّ قال :

كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج مبتدئا : أما بعد فإن مَثَلى وَمَثَلَك كما قال القائل :

---

(١) فى هد ، هج ، ف : «سنبلة» .

(٢) كذا فى ف بالباء الموحدة ، وفى س ، ب ، هد : « الريان » ، وفى اللسان : (علف) : وعلاف رجل من الأزد وهو زبان أبو جرم من قضاعة .

(٣) الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثانى وثانيهما لتميم على مذحج

ابن الأشعث وعبد الملك يتمثلان بشعره وشعر أبيه

سائلْ مُجاورَ جَرْمٍ هل جنيتُ لها ... حَرْباً تفرّق بين الجيرة الخُلُطِ ؟

أم هل علوتُ بجرّار له لجبٍ ... يَغْشَى الأماعيزَ بين السَّهل والفُرُطِ ؟(1)

— والشعر لوَعْلَةَ الجَرْمِىّ — هذا مَثَلى وَمَثَلُك ، فسأحملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أما بعد ؛ فإنى قد أجبت عدوَّ الرحمن بلا حولَ ولا قوة إلا بالله ، ولعمرُ الله لقد صدق ، وخلع سلطانَ اللهِ بيمينه ، وطاعتَه بشماله ، وخرج من الدِّين(2) عُريانا ، كما ولدتْه أمُّه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابه بشعر فقال: وعلى أن مَثَلى ومَثَلَه ما قال الآخر :

أناةً وحِلْماً وانتظاراً بكُم غدا ... فما أنا بالوانى ولا الضرَعِ الغُمْرِ

أظُنّ صروفَ الدهر والجهلَ منهمُ ... ستحملُهم(3) منّى على مَركَبٍ وعْرِ

فليت شعرى أسَما عدوُّ الرحمن لدعائم دين اللهَ يهدِّمُها ؟ أم رام الخلافَةَ أن ينالها ؟ وأوشك أن يُوهن اللهُ شوكتَه ، فاستعنْ بالله ، واعلم أن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحسنون .

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر الذى تمثّل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلة الجرمى ، والشعر الذى تمثّل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة .

أخبرنى محمد بن جعفر النحوى قال : حدثنى طلحة بن عبد الله الطّلحىّ ، عن أحمد ابن إبراهيم ، عن أبى عبيدة قال :

(1) الفرط : واحد الأفراط وهى آكام شبيهات بالجبال ، وفى هج : « بين الحى » بدل « بين السهل » .

(2) فى حد : « خرج من الدين والدنيا عريانا » .

(3) فى هد : « ستحملكم » .

يخذله قومه وينصره آخرون

قتلت بنهد أخا وعلة الجرمىّ ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بحلفاء [من](١) بنى نمير ، وكانوا له حلفاء وإخوانا ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال فى ذلك :

سائل مُجاورَ جَرم هل جنيتُ لها ... حربا تُزَيِّل بين الجيرة الخُلُطُ(٢)

أم هل علوتُ بجرّار له لَجَبٌ ... يغشى المخارمَ(٣) بين السهل والفُرُط(٤)

حتى تركتُ نساء الحى ضاحيةً(٥) ... فى ساحة الدار يستوقدن بالغُبُط(٦)

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ ، قال : حدثنا الرياشىّ قال :

يفر من قيس ابن عاصم عند غزوة اليمن

خرج رجل من بنى تميم — يقال إنه قيسُ بن عاصم قال الرياشى : وحقق أبو عبيدة أنه قيس — يوم الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو فى ذلك ، إذ أدرك وَعلَة الجَرْمىّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يسارى أقصَدُ لى ، قال : هيهاتَ منك اليمن ، قال : العراقُ منى أبعد ، قال : إنك لن ترى أهلك العامَ ، قال : ولا أهلك تراهم(٧) ، وجعل وعلةُ يركُض فرسه ، فإذا ظن أنها قد أعيت وثب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجرى وهو يُجاريها ، فإذا أعيا وثب فركبها ، حتى نجا . فسأل عنه قيس ، فعرف أنه وَعْلَةُ الجرمى ، فانصرف وتركه ، فقال وعلة فى ذلك :

(١) زيادة يقتضيها المقام .

(٢) الخلط : خليط ، هم القوم الذين أمرهم واحد ، وفى هج : «تفرق» بدل «تزيل» .

(٣) المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .

(٤) الفرط : الجبال الصغيرة ، وتجمع على أفراط .

(٥) ضاحية : بارزة .

(٦) يريد قتلت رجالهن فبقين بلا رجال وليس لها ما يرحل عليها ، أو أنه ذهب بإبلهم فغنوا عن أقتابها فالنساء يستوقدن بها ، أو أن الخوف يمنعهن من الاحتطاب فهن يستوقدن بالأقتاب وما جانسها ويشابهها .

(٧) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «أراهم» .

فدًى لكما رجلىَّ أمّى وخالتى غداةَ الكُلابِ إذ تُحَزُّ(١) الدَّوابرُ
نجوتُ نجاءً لم يرَ الناسُ مثلَه كأنّى عقابٌ عند تَيْمَنَ(٢) كاسرُ ١٤١
ولما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِسًا تنازعنى من ثُغرةِ النحر جائرُ ١٩
فإن أستطع لا تَبْتئسْ بى مُقاعسٌ ولا يرنى مبداهم والمحاضرُ(٣)
ولا تكُ لى جرّارة مضريّةٌ إذا ما غدت قوتَ العيالُ تُبادرُ(٤)

أما قوله : « تحز الدوابر » فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولـكن اتَّبِعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابَهم من أعقابهم ودعُوهم فى مواضعهم ، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون(٥) ، وهم يزيد بن عبدالمدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المامور(٦) ويزيد بن مخزّم(٧) . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقّاص ، فقتِل اليزيدون أربعتهم فى الوقعة ، وأسِر عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته(٨) الرِّباب برجل منها ، وقد ذُكر خَبَرُ مقتله متقدما فى صوت يغنى فيه وهو :

* ألا لاتلومانى كفى اللومَ مَابيا *

(١) فى س ، ب : « تحز » .
(٢) تيمن : أرض بين بلاد تميم ونجران .
(٣) كذا فى ف ، وفى س ، ب : و[illegible] وميدانهم والمبدى والتحضر ، مكان أريد منه الحالون أى البادون والحاضرون .
(٤) كذا فى العقد ، وفى س ، ف : «جرادة» وفى ف : «حدادة» والمراد ولاتك فى كتيبة يثقل عليه لكثرتها .
(٥) وفى هج وهد : «اليزيديون» بياء النسب .
(٦) كذا فى ف وفى س ، ب : «المأمون» .
(٧) كذا فى ف وكتاب الأنساب وفى س ، ب : «المحرم» .
(٨) كذا فى ف وفى ب ، س : « فقتله » .

وأما قوله :

* ولما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً *

فإن بنى تميم لما التقـ[illegible] مع بنى الحارث بن كـ[illegible] فى هذا اليوم [illegible] يا آل كـ[illegible] ! فتنادى أهلُ اليمن : يا آل كـ[illegible] ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهل اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميزوا بها من أهل اليمن .

صوت

والله لا نظرتْ عينى إليكَ ولو ... سالت مدامعُها شوقا إليكَ دَمَا
إن كنتُ خنتُ ولم أُضمر خيانتكمْ ... فالله يأخذ ممن خانَ أو ظَلَما
سماجة لمُحبٍّ خان صاحبَه ... ما خان قطُّ محبٌّ يعرفُ الكرَمَا

الشعر لعلىّ بن عبد الله الجعفرىّ ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثقيل أول مُطلق ابتداؤه نشيد . وكان إبراهيم بن أبى العُبَيْس يذكر أنه لأبيه .

أخبار علىّ بن عبد الله بن جعفر ونسبه

اسمه ونسبه

هو علىّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليهم السلام ، وأمه وَلّادة بنت الحَجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصى بن أُمية : شاعر ظريف حجازى ، كان عمر بن الفرج الرُّخَّجى حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبيّين فى أيام المتوكل معهم .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقى قال : حدثنا عمر بن عثمان الزُّهرى المعروف بابن أبى قُباجَة قال :

يحبسه المتوكل

رفع عمر بن الفرج علىّ بن عبد الله بن جعفر الجعفرىّ إلى المتوكل أيام حَجّ المنتصر ، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخَ القوم وكبيرَهم ، وكان أعمامنا لعُمَرَ بن الفرج .

يتحدث فى شعره

قال [1] علىّ بن عبد الله : مكثت فى الحبس مدة ، فدخل علىّ رجل من الكُتَّاب يوما فقال : أريد هذا الجعفرى الذى تديَّث فى شعره فقلت له : إلىّ فأنا هو ، فعدل إلىّ

١٤٢ ١٩ وقال : جعلت فداك ! أحبّ أن تنشدنى بيتيك اللذين تديَّثت فيهما ، فأنشدته :

ولما بدا لى أنها لا تودُّنى ... وأن هواها ليس عنى بمُنجَلِ
تمنَّيتُ أن تهوى سواى لعلَّها ... تذوقُ حراراتِ الهوى فترقَّ لى

قال : فكتبهما ، ثم قال لى : اسمع — جعلتُ فداك — بيتين قلتهما فى الغَيْرة ، فقلت : هاتهما فأنشدنى :

ربما سرَّنى صدودُك عنِّى ... فى طلابيكِ وامتناعكِ منِّى
حذراً أن أكونَ مِفتاح غيرى ... فإذا ما خلوت كنتِ التَّمَنِّى

(١) وردت رواية هذا الخبر فى بعض النسخ هكذا « قال : وكان على بن عبد الله مكث فى الحبس مدة فدخل عليه رجل من الكتاب يوما ، فقال : أريد هذا الجعفرى الذى تديث فى شعره ، فقلت . . الخ » .

حدثنى اليزيدىّ قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرنى العباس بن عيسى العُقَيلىّ أن علىّ بن عبد الله الجعفرى أنشده :

لا يخضع جبينه إلا لله

واللهِ والله ربِّى وتلكَ أقصى يَمِينى
لو شئتُ ألا أُحاشِّى لما وضعت جَبِينى

أيهما يدع ؟

حدثنا اليزيدىّ قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرنى العباسُ بن عيسى قال : حدثنى علىّ بن عبد الله الجعفرىّ قال :

مرّت بى امرأة فى الطواف ، وأنا جالس أنشدُ صديقا لى هذا البيتَ :

أهوَى هَوَى الدين واللذاتُ تُعجِبنى فكيفَ لى بهوى اللذات والدين ؟

فالتفتت المرأةُ إلىّ وقالت : دع أيَّهما شئتَ وخذ الآخرَ .

حدثنا اليزيدىّ قال : حدثنا محمد بن الحسن الزُّرقى قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال : أنشدنى علىُّ بن عبد الله بن جعفر الجعفرىّ لنفسه :

عود إلى الصوت

والله لا نظرتْ عينى إليكَ ولو سالت مدامعُها شوقا إليكَ دما
إلا مفاجأةً عند اللقاء ولا نازعتكِ[1] الدهرَ إلا ناسيا كلِمَا
إن كنتُ خنتُ ولم أُضمرْ خِيانتكمْ فاللهُ يأخذُ ممن خانَ أو ظلما
سماجةٌ لمحبٍّ خان صاحبَه ما خان قطُّ محبٌّ يَعرف الكرَما

قال عبد الله بن شبيب : وأنشدنى علىُّ بن عبد الله لنفسه :

(١) فى ف ، مج : « راجعتُها » بدل « نازعتك» وفى هد : « راجعتك » والأبيات صالحة لكاف المخاطب وكاف المخاطبة .

صوت

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخَّر عنه ولا مُتقدَّمُ
أجد الملامةَ فى هواكِ لذيذةً ... حُبًّا لذكركِ فليَلُمْنى اللُّوَّمُ
وأهنتِنى فأهنتُ نفسى جاهداً[1] ... ما من يهون عليكِ ممن يُكرمُ
أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبُّهم ... إذ صار حظى منكِ حظىَ منهمُ[2]

(١) فى هد : « صاغرا » .
(٢) يروى الأغانى فى ترجمة أبى الشيص الأزدى أنها له ، وهنا يرويها لعلى ، وأبو عبيد البكرى يحقق أنها لعلى لا لأبى الشيص كتاب التنبيه صفحة ٦٧ .

صوت

أتعرفُ رسمَ الدار من أمِّ معبدٍ ... نعم فرماكَ الشوقُ قبل التجلُّد

فيالكَ مِنْ شوقٍ ويالكِ عبرةً ... سوابقُها مِثل الجُمانِ المبدَّد

١٤٣ الشعر لعتيبة (١) بن مرداس المعروف بابن فَسْوة، والغناء لجميلة، خفيف ثقيل بالبنصر

١٩ عن ابن المكى.

وذكر الهشامى أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول، وأنه يظنّه من منحول يحيى إليه.

(١) كذا فى ف، وفى س، ب: عيينة، وهو تحريف.

أخبار عتيبة ونسبه

اسمه ونسبه

عُتَيبة[١] بن مِرداس أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم[٢] ، لم يقع إلىَّ من نسبه غيرُ هذا ، وَهو شاعر مُقلٌّ غيرُ معدود فى الفحول ، مُخضرم ممن أدرك الجاهلية وَالإسلام هجّاء خبيث اللسان بَذِىٌّ .

وَابنُ فسْوة لقَب لزمه فى نفسه ، وَلم يكن أبوه يُلقَّب بفسوة ، إنما أُلقب هو بهذا ، وَقد اختُلِف فى سبب تلقيبه بذلك ، فذكر إسحاق الموصلىّ عن أبى عمرو الشيبانى : نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطه .

لماذا لقب بابن فسوة ؟

أن عتيْبةَ بنَ مِرداس كَان فاحشًا كـثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليةَ ، فأَقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ ، وَكان من أهل بيت منهم يقال لهم : بنو فَسْوة ، فقال لهم عتيبة : كيف حججتَ يابن فسوة ؟ فوثب مغضبًا ، فركب راحلتهوَقال : بئس لعمر الله ما حيّيتَ به ابن عمِّك ، قـدم عليك من سفر ، وَنزل دارَك ! فقام إليه عُتيبة مسترضيًا ، وَقال له : لا تغضب يابن عمّ ، فإنما مازحتُكَ ! فأبى أن ينْزل ، فقال له : انزِل وَأنا أشترى منك هذا الاسمَ فأتسمَّى به ، وظن أن ذلك لايضرّه ، قال : لا أفعلْ أو تشتريه منى بمحضَرٍ من العشيرة . قال : نعم فجمعهم وَأعطاه بُرداً وجملا وكبشين ، وقال لهم عتيبةَ : اشهدوا أنى قد قبلت هذا النبز[٣] [٤] وأخذت الثمن [٤]، وَأنى ابنُ فسوة ، فزالت عن ابن عمه يومئذ ، وَغلبَتْ عليه وَهُجِىَ بذلك ، فقال فيه بعض الشعراء :

* أَوَدى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الإبلا *

(١) كذا فى ف والإصابة والشعراء ، وفى س ، ب : عيينة ، وهو تحريف .
(٢) كذا فى ف وفى س ، ب : « أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم » .
(٣) كذا فى ف ومعناه التلقيب بالسوء ، وفى س ، ب : النبذ . وهو تحريف .
(٤-٤) التكملة من هج ، هد ، ف .

وَعُمِّر عُمراً طويلا، وَإنما قال :

أودى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الإبلا

لأنه كان أوصفَ الناس لها، وَأغراهم بوَصفها، ليس له كبير شعر إلا وَهو مُتَضَمِّن وَصفَها.

وَأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

تخريج آخر لهذا اللقب

إنَّما سمِّي عتيبةُ بنُ مرداس ابن فسوة، لأنه كان له جارٌ من عبد القيس، فكان يتحدثُ إلى ابنته، وَكان لها حظ من جمال، وَكانت تُعجبُه وَيَهيم بها، فكان أحداثُ بني تميم، إذا ذكروا العبدىّ[1]، قالوا : قال ابن فسوة، وَفعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك، حتى ملّ فعوِل على التحوُّل عنهم، وَبلغ ذلك عتيبةَ، فأتاهُ فطالبَه إليه أن يقيم، وَأن يحتمل اسمه، وَيشتريه منه ببعير، فلم يفعل، قال العبدىّ : فتحولتُ عنهم وَشاع في الناس أنه قد ابتاع مني وغلبَ عليه، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له :

وَحوّلَ مولانا علينا اسمَ أمه ألا رُبَّ موْلى ناقصٍ غير زَائدِ

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال : حدثنا المدائنىّ عن أبي بكر الهُذَلي وَابن دأب وابن جُعْدُبَة[2]، قالوا :

ابن فسوة يهجوه

أتى عتيبةُ بن مرداس — وَهو ابن فسوة — عبدَ الله بن العباس عليهما السلامُ وهو عامل لعلىّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذ شُمَيلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلمىّ،

(١) كذا في ب، وهو الـ... الفصيح إذ المركب الإضافي ينسب إلى صدره إلا إن ألبس ولا... الجزأين معا للثقل. وفي ف : «العبقى».

(٢) كذا في ف، وفي س، ب : «جعدية» تحريف.

فاستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم، فيعطونه، ويخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ماجاء بك إليّ يابنَ فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصَّر أو وراءك معدًّى؟ جئتك لتعينني على مروءتي، وتَصِلَ قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروءة مَنْ يعصي الرحمن، ويقول البُهتانَ، ويقطع ما أمر الله به أن
١٤٤ / ١٩ يوصلَ؟ والله لئن أعطيتك لأعيننّكَ على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعنّ لسانك. فأراد الكلام، فمنعه مَنْ حضر، وحبسه يومَه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة.

الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ عليه السلام، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام، فسألاه عن خَبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما، فاشتريا عرضَه بما أرضاه، فقال ابن فسوة يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عباس رضي الله عنهما:

أتيتُ ابنَ عباس فلم يقضِ حاجتي ... ولم يَرْجُ معروفي ولم يَخْشَ منكَرِي
حُبِستُ فلم أنطق بعذرٍ لحاجةٍ ... وسُدَّ[1] خَصاص[2] البيت من كل منظرِ
وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه ... كصوت الحمام في القَليبِ المغوَّرِ[3]
ومَا أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه ... بذي صَولَةٍ فانٍ[4]، ولا بحزَوَّرِ[5]
فلو كنتُ من زهرانَ لم ينسَ حاجتي ... ولكنني مولَى جميل بنِ معمَرِ

(١) كذا في ف، وفي س، ب: شد، وهو تحريف.
(٢) خصاص الباب: ثقبه.
(٣) القليب: البئر البعيدة الغور.
(٤) كذا في ف، وفي س، ب: «باق»، ولا معنى لها، وفي هذ: «فان».
(٥) حزور: رجل قوي.

— وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشى — :

وباتت عبيد الله من دون حاجتى شمَيلةُ تلهو بالحديث المفتّر (١)
ولم يقترب من ضوء نارٍ تحشها شميلة إلا أن تَصلَّى بمجمر
تُطالع أهلَ السوق والبابُ دونها بمستفلكٍ(٢) الذِّفرى(٣) أسيل المدثّر
إذا هى همّت بالخروج يردُّها عن الباب مصراعا منيفٍ مجيَّر

—وجدت بخط إسحق الموصلى مُجَيَّر: محير. والمحير: المصهرج. والحيار: الصهروج—

فإن تك قلوصى عُرِّيَت أو رحلتها إلى حسن فى داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وللدين يدعو والكتاب المطهَّر
إلى معشر لا يخصفون(٥) نعالهم ولا يلبسون السِّبت(٦) ، مالم يُخصَّر(٧)
فلما عرفتُ اليأسَ منه وقد بدت أيادى سبا الحاجات للمتذكِّر
تسدَّيتُ حُرجوجاً(٨) كأن بُغامها أحيح(٩) ابن ماء(١٠) فى يراعٍ مُفَجَّر
فما زلتُ فى التسيار حتى أنختُها إلى ابن رسول الأمَّة المتخيَّر
فلا تدعَنِّى إذ رحلتُ إليكم بَنى هاشم أن تُصْدرونى بمَصدرِ (١١)

(١) كذا فى ف ، وفى س وب : « المقتر » تحريف.
(٢) مستفلك بمعنى مستدير ، وفعله فى الأساس : فلك ثدى الجارية وتفلك واستفلك .
(٣) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
(٤) مصهرج ، أى معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض و البيوت ونحوها .
(٥) يخصفون : يخرزون .
(٦) السبت : الجلد المدبوغ .
(٧) يخصر : يدقق وسطه .
(٨) الحرجوج الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج .
(٩) الأحيح : الصوت .
(١٠) طائر يكثر وجوده حول المياه .
(١١) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « المصدر » . وفى هد : « فلا تدعونى » بلا توكيد .

وهى قصيدة طويلة، هذا ذكر فى الخبر منها .

وأخبرنى بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرى وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار، عن عمر بن شبّة، عن المدائنىّ مثل ما مضى أو قريباً منه، ولم يتجاوز عمر بن شبة المدائنى فى إسناده .

أخبرنى علىُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن الحسن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابى :

عامر بن الكريز يهجره أيضا

كان عتيبة بن مرداس السُّلَمىّ شاعراً خبيثَ اللسان مَخُوف المعرّة فى جاهليته وإسلامه، وَكان يَقدَم على أمراء العراق وَأشرافِ الناس، فيصيب منهم بشعره،
١٤٥
فقدم على ابن عامر بن كُرَيْز (1) — وكان جواداً — فلما استؤذن له عليه أرسل إليه : إنك
١٩
والله ما تسألُ بحسب، وَلا دين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيَك شيئاً، وأمر به فأُكرِزَ وأُهينَ فقال ابنُ فَسْوة :

وكائن تخطَّتْ ناقتى وزَميلُها ... إلى ابن كُرَيزٍ منْ نُحوسٍ وأسْعُدِ

وأغبرَ مَسْحولِ(2) الترابِ تَرَى له ... حبا(3) طردَتْه الريحُ من كل مَطْرَدِ

لعمرك إنى عند باب ابنِ عامر ... لكالظّبى عند(4) الرَّمِيَّةِ المتَردِّدِ

فلم أر يوماً مثله إذ(5) تكشّفتْ ... صَحابتُه عنّى وإمّا أُقَيَّدِ

فبلغ قولُه ابنَ عامر، فخاف لسانَه وما يأتى به بعد هَذا ورجع له، وأحسن ثم يطيب خاطره

(1) فى هد : «عامر بن الكريز» بدل «ابن عامر بن كريز» .

(2) مسحول : ناعم .

(3) كذا فى ف بمعنى مطر، وفى س، ب : «خبا» .

(4) كذا فى ف وفى س، ب : «بعد» .

(5) كذا فى ف وفى س وب : «أن» .

القومُ رِفْدَه ، وقالوا : هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه والأمير يرضيه ، فقال: رُدُّوه فرُدّ ، فقال له : إيه يا عتيبة ، أردد علىّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلا خيراً قال : هاته فقال : قلت :

أتعرفُ رسمَ الدار من أم معبدِ نعم فرماك الشوقُ قبلَ التجلّدِ[1]
فيالكَ من شوقٍ وياكِ عَبرةً سوابقُها مِثل الجُمان المبدّدِ
وكائنْ تخطّتْ ناقتى وزميلُها إلى ابن كُريز من نحوس وأسعُدِ
فتى يشترى حُسنَ الثناء بماله ويعلم أنّ المرء غيرُ مخلَّدِ
إذا ما ملمّاتُ الأمور اعترينَه[2] تجلّى الدُّجَى عن كوكبٍ متوقِّدِ

فتبسم ابن عامر وقال : لعمرى ما هكذا قلت ، ولكنه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رَضِى وانصرف .

قال : وأنشدنا ابن الأعرابىّ له بعقب هذا الخبر ، وكان يستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجيدُها :

ابن الأعرابى يستحسن أبياتا له

منعّمةٌ لم يُغذها أهلُ بلدةٍ[3] ولا أهلُ مصرٍ فهىَ هيفاء ناهدُ
فريدةُ فلم تحْبا[4] ولكن تأوّدتْ كما انتصّ[5] مكحولُ المدامع فاردُ
وأهوت لتنتاشَ الرِّواق[6] فلم تَقُمْ إليه ولكن طأطأتْه الولائدُ

(١) ورد هذا المطلع فى دالية عدى بن زيد المعدودة فى المجمهرات بنصه .
(٢) فى س ب : « اعتراه » .
(٣) فى س ، ب : « ثلة » .
(٤) فى س ، ب : تحبى .
(٥) كذا فى ف ، وفى س ، ب : أبنص وهو تحريف . انتص : سار .
(٦) الرواق : مقدم البيت أو الفسطاط ، وتنتاش ، والمراد ، تتناول لتمدها وترفعها بكثرة الخدم .

قليلةُ لحمِ الناظرَينِ يزَينها شبابٌ ومخفوضٌ من العيشِ باردُ
تَناهى إلى لهو الحديثِ كأنها أخو سَقَمٍ قد أسلمته العوائدُ
ترى القُرطَ منها في قناةٍ(1) كأنها بهالكة لولا البُرا(2) والمعاقدُ(3)

وقال أبو عمرو والشيباني :

أغار رجل(4) مِنْ بني تغلب يقال له الهُذَيل بعد مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نَعَمًا كثيراً ، فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سَفارِ(5) ، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح في إبل لهما قد أورداها ، فأراد الهذيل أخذَها ، فتفرقت ، فتفرق أصحابُه في طلبها ، وهو قائم على رأس رَكيّة من سَفار ، فرماه أحدهما فقتَلَه فوقع في الرَّكيّة فكانت يرفى صريمان بئر
قبرَه . ويقال : بل رماه عبدٌ أسود لمالك بن(6) عروة المازنيّ ، فقال عتيبة بن(7) مرداس الذي يقال له ابن فَسْوة في ذلك :

مَنْ مبلغٌ فِتيانَ تغلبَ أنه خلا للهُذيل من سفارِ قليبُ ؟
إذا صوّت الأصداء صوّت وسطَها فتى تغلبيٌّ في القَليب غريبُ ١٤٦
فأعددتُ يربوعا لتغلبَ إنهم أناسٌ غذتهم(8) فتنةٌ وحروبُ ١٩
حويتَ لقاحَ ابني نُعيم بن قعنبٍ وإنك إن أحرزتَها لكسوبُ

(1) كذا في ف ؛ وفي س ، ب : «فتاة» ، والمراد استقامة قدها وطول عنقها .
(2) البرا : جمع برة ، وأصلها بروة : الخلخال .
(3) المعاقد : جمع معقاد ؛ وهو خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي .
(4) ف : «فتى» .
(5) سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .
(6) كذا في ف ، ب وفي س : «أبي» .
(7) كذا في ف ؛ وفي س ، ب : «في» ؛ وهو تحريف .
(8) كذا في ب ، وفي س ، ب : «عرتهم» .

وقال أبو عمرو أيضاً :

كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد بنى خزاعة ابن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمَى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيه فأبى ومنعه ، وطرد إبله ، فقال فى ذلك :

بشر بن كهف ينهره

مَنْ(١) يكُ أرْعاه الحمى أخواتُه ... فما لىَ من أُختٍ عَوانٍ ولا بِكرِ
وماضرَّهاأن لم تكن رَعت الحمى ... ولم تطلب الخيرَ الممنَّع من بشرِ
متى يجىء(٢) يوماً إلى المال وارثى ... يجد قبْض كفٍّ غير ملأى ولا صفْرِ
يجد مُهرة مثل القَناة طِمرَّة(٣) ... وعضْبٌ إذا ماهُزَّ لم يرض بالهَبْرِ(٤)
فإن تمنعوا منها حمَاكم فإنه ... مُباحٌ لهامابين إنْبط(٥) فالكدْرِ(٦)
إذا ما امرؤٌ أثنى بفضل ابن عمه ... فلعنةُ ربٍّ العالمين عَلَى بِشرِ

يسرقون ثيابه ؛ فيستعدى قومه عليهم

وقال أبو عمرو الشيبانى ، ونسخته أيضاً من نسخة إسحاقَ الموصلى ، وجمعت الروايتين: إن ابن فسوةَ نزل ببنى سعد بن مالك من بنى قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عَيْبَةً له فيها ثيابهُ وثياب جاريته ، فرحل عنهم ، فلما عاد إلى قومه أعلمهمْ مافعله به بَنوسعد بن مالك ، فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبنى سعد فأخذُوا منها صِرْمة(٧) ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بنى سعد بن ثعلبة :

(١) البيت من الطويل دخله الخرم .
(٢) كذا فى ف ؛ وفى س ، ب: «مانحا» وعلى رواية « نحا » يجب زيادة « ما » قبلها وإلا [illegible] الوزن .
(٣) الطمرة : الفرس الجواد .
(٤) الهبر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .
(٥) إنبط كأحمد : موضع ببلاد كلب بن وبرة .
(٦) الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبنى سليم .
(٧) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

جزى اللهُ قومي من شفيعٍ وشاهدٍ جزاءَ سليمانَ النبيِّ المكرَّمِ
همُ القومُ لا قومُ ابنِ دارةَ سالمٍ ولا ضابئٍ إذ(١) أسلما شرَّ مُسلَمِ
وما عيبة الجوزاء إذ غدرتْ بها سَراةُ بني قيسٍ بسرٍّ مكتَّمِ
إذا ما لقيتَ الحيَّ سعدَ بنَ مالكٍ على زَمَّ(٢) فانزل خائفًا أو تقدَّمِ
أناسٌ أجاروا فكان جوارُهمْ شَعاعا كلحم الجازر المتقسَّمِ
لقد دنَّستْ أعراض سعدِ بن مالكٍ كما دنَّستْ رجلُ البغيِّ(٣) من الدَّمِ
لهم نسوةٌ طُلْسُ(٤) الثياب مَواجِنٌ ينادين من يبتاعُ عودًا(٥) بدرهمْ
إذا أيِّمٌ قيسيَّةٌ مات بعلُها وكان لها جارٌ فليستْ بأيِّمِ
يُغشِّي ابنُ بشرٍ بينهنَّ مقابَلا بأيرٍ كأيرِ الأرجحيِّ المخرَّمِ(٦)
إذا راح من أبياتهنَّ كأنَّما طلينَ بتَنُّومٍ(٧) قفاه وخِمْخِمِ(٨)

وفيه رواية إسحاق:

تسوق الجواري(٩) مَنْخَراه كأنَّما دَلَكنَ بتنُّومٍ قفاه وخمخمِ

---

(١) س ، ب : « إن » .
(٢) زم : بئر لبني سعد بن مالك ومنع « زم » الصرف على اعتباره علما مؤنثا .
(٣) كذا في ف ومعجم ياقوت ، وفي س ، ب : « التقي » ، ولا معنى له .
(٤) طلس : جمع أطلس : ثوب خلق .
(٥) ف « فرداً بدرهم » .
(٦) ف : « الأرحجي »
(٧) التنوم : شجر مثمر ورقه مع الخل يقلع الثآليل .
(٨) نبت له شوك دقيق لصاق بكل ما يتعلق به وهو من خيار العشب ، وله زغب خشن .
(٩) كذا في ف ، وفي س ، ب : « يسوق الجوار منخراة كأنما » وهو تحريف .

صوت

قد طال شوقي وعادني طربي من ذكر خَوْدٍ كريمةِ الن...[1]
غرّاء مثل الهلال صُورَتُها أو مثلِ تمثالِ صُورة الذه...

ويروى: «بيعة الرهب» الشعر لعبد الله بن العجلان النهدي، والغناء لمالك، و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن محرز.

(١) في حج: «الحب».

أخبار عبد الله بن العجلان

اسمه ونسبه

هو عبد الله بن العَجْلان بن عبد الأحَبّ بن عامر بن كعب بن صباح بن نَهْد بن زيد بن ليث بن أسود(١) بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر جاهلىّ أحد المتيّمين من الشعراء ومَنْ قتله الحبّ(٢) منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلّقها ، ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ قال :

قصة تشبه قصة قيس ولبنى

كان عبد الله بن العجلان النهدىّ سيداً فى قومه وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بنى نَهْدٍ مالا ، وكانت هند امرأة عبد الله بن العَجْلان التى يذكرها فى شعره امرأة من قومه من بنى نَهْد ، وكانت أحب الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد ، فقال له أبوه : إنه لا ولدَ لى غيرُك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلّقها ، وتزوجْ غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلى ألّا يكلمه أبداً حتى يطلّقها . فأقام على أمره ، ثم عمَد إليه يوماً ، وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صِرْ إلىّ ، فقالت له هند : لا تمض إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلّقنى ، فنمْ مكانك ، ولا تمض إليه . فأبى ، وعصاها ، فتعلّقت بثوبه ، فضربها بسواك ، فأرسلته ، وكان فى يدها زعفران ، فأثّر فى ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده فى أمرها ، وأنّبه ، وشتمه ،

(١) فى هج : « سود » .

(٢) فى هج : « العشق » .

وجمع عليه مشيخة الحيّ وفتيانهم ، فتناولوه بألسنتهم ، وعيّروه بشغفه بها وضعفِ حزمه ، ١٠٣
ولم يزالوا به حتى طلّقها . فلما أصبح خُبِّر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت منه ، ١٩
وعادت إلى أبيها ، فأسف عليها أسفاً شديداً ، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير ، فزوّجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن العجلان دَنِفاً سقيماً ، يقول فيها الشعر ، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحي جميعاً فلم يقبل واحدة منهن ، وقال في طلاقه إياها :

فارقتُ هنداً طائعاً ... فندمتُ عندَ فراقِها
فالعينُ تذرِي دمعةً ... كالدُّرِّ من آماقها
متحلِّيا فوق الردا ... ءِ يجول من رَقراقها
خَوْدٌ رَداحٌ طَفْلَةٌ ... ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذُّ حديثَها ... وأسَرُّ عند عناقها

وفي هذه القصيدة يقول :

إن كنتِ ساقيةً ببُزْ ... لِ الأدْمِ أو بِحقاقها
فاسقِي بني نهدٍ إذا ... شربوا خيار زقاقها
فالخيل تعلم كيف نُلْـ ... حِقُها غداة لحاقها
بأسنّةٍ زُرْقٍ صبحْـ ... نا القومَ حدَّ رقاقها
حتى ترى قِصَد القنا ... والبِيضَ في أعناقها

قال أبو عمرو الشيباني :

شعره في غارة شنها قومه

لما طلّق عبد الله بن العجلان هنداً أنكحت في بني عامر ، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات ، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان

وبنو الوحيد وبنو الحَرِيش وبنو قُشَيْر ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهدٌ أموالهم ، وقتل فى المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب، وستة بنين له ، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة(١) بن كعب، وحُصين(٢) ابن عمرو بن معاوية وَمَسْحَقة بن المجمَّع الجعفى ، فقال عبد الله بن العجلان فى ذلك :

ألا أبلغ بنى العجلان عنى ... فلا يُنْبيك بالحدثان غيرى
بأنا قد قتلنا الخير قُرْطا ... وَجُرنا(٣) فى سَرَاةِ بنى قشير(٤)
وَأَفلتنا بنو شَكَلٍ رجالا ... حُفاةً يربئون على شُبَيْر

وَقالت امرأة من بنى قيس ترثى قتلاهم :

نهدية ترثى قتلى قيس

أصبتم يا بنى نَهْدِ بن زيد ... قُروما عند قعقعة السلاح
إذا اشتد الزمان وكان محلا ... وَحاذر فيه إخوانُ السماح
أهانوا المال فى اللَّزبات صبراً ... وَجادوا بالمتالى وَاللقاح(٥)
فبكّى مالكاً وَابكى بجيرا ... وَشدّاداً لمشتجرِ الرماح
وَكعبا فاندبيه معا وَقُرْطا ... أولئك معشرى هدُّوا جناحى
وبكّى إن بكيتِ على حُصَيْنٍ ... وَمرداس قتيلِ بنى صباح

١٠٤
١٩ قال : وَأَسَر عبد الله بن العَجْلان رجلا من بنى الوَحيد ، فمنَّ عليه ، وَأطلقه ، وَوعده الوحيدىّ الثوابَ فلم يَفِ ، فقال عبدالله :

وحيدى يغدر به أسيره

(١) هج : « جعدة » .
(٢) فى ب، س : « وحسين » تحريف بدليل ما يلى .
(٣) هج : « وجلنا » .
(٤) هج : « نمير » .
(٥) بعده فى هج : « ناقة متلية : يتلوها ولدها » .

وَقالوا لن تنال الدهر فقراً   إذا شكرتْك نعمتُك الوحيدُ
فيا ندما ندمتُ على رِزَام   وتُخْلِفه كما خُلِع العَتُودُ

قال أبو عمرو : ثم إن بني عامر جمعوا لبني نهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التي كانت ناكحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر : لك(١) خمسَ عَشْرَةَ ناقة على أن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ ، وزودته تمراً وَوَطْباً من لبن ، فركب فجدَّ في السير ؛ وفَنِيَ اللبنُ ، فأتاهم والحي خلوف في غزو ومِيرَةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانه ، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم ، وأومأ لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إياه ، فابتلّ لسانه ، وتكلّم ، وقال لهم : أُتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذركم ، فاجتمعت بنو نهد واستعدّت ووافتهم بنو عامر فلَحِقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك :

نعم النذير هند

عاوَدَ عيني نصبُها وغرورها   أهمٌّ عنَاها(٢) أم قَذَاها يعورُها ؟
أم الدار أمستْ قد تعفّتْ كأنها   زبورُ يمانٍ رقشته(٣) سطورها ؟
ذكرت بها هنداً وأترابَها الأُلَى   بها يكذب الواشي ويُعْصَى أميرُها
فما مُعْوِلٌ تبكي لفقد أليفها   إذا ذكرته لا يكفُّ زفيرُها
بأغزر(٤) مني عبرة إذ رأيتها   يحثّ(٥) بها قبل الصباح بعيرها
ألم يأتِ هنداً كيفما صنَعُ قومها   بني عامر إذ جاء يسعى نذيرُها

(١) في هج : « هل لك في » .
(٢) هج : « عراها » .
(٣) هج : « نقشه » .
(٤) هج : « بأسرع » .
(٥) هج : « يخب » .

فقالوا لنا إنَّا نحبّ [illegible] [illegible]كم   وإنا نحيِّى أرضكمَ ونَزُورها
فقلنا : إذا لا [illegible] كلَّ الدهرَ عنكمُ   بصُمِّ القنا اللائى الدماء تُميرها
فلا غرو أنَّ الخيل تَنحِط فى القنا   [illegible] [illegible]طرُّ من تحت العوالى ذكورها(١)
تأوَّهُ مما [illegible] من [illegible]كريهةٍ   وتُصغِى الخدود والرماحُ تَصورها(٢)
وأربابها [illegible] صرعى ببُرْقَةِ أخربٍ   تُجَرِّرُهُمْ ضُبعانها ونُسورها
فأبلغ أبا الحجاج عنى رسالةً   مغلغلة لا [illegible] بسُورُها
فأنت [illegible] السلم يومَ [illegible]   [illegible] تُسْدِى غيّةً وتنيرهَا
فذوقوا عَلَى ما كان من فرط إحْنَة   حلائبنا إذْ غابَ عنا نصيرها

قال أبو عمرو : فلما اشتدّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرًّا من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بنى عامر لا يرهب مايلقاهم من الشرّ والتِّرَاتِ ، حتى نزل ببنى نمير ، وقصد خباءهند ، فلما قارب دارها رآها وهى جالسة عَلَى الحوض ، وزوجها يسقى ، ويذود الإبلَ عن مائه ، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشتد إليه ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند ينظر ماحالهُما ، فوجدهما ميتين . نهاية جبه

قال أبو عمرو : وأخبرنى بعض بنى نهد أنَّ عبد الله بن العجلان أراد المضىّ إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال : نجتمع معهم فى الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحج ، وحج أبوه معه ، فنظر الى زوج هند وهو يطوف بالبيت فرأى أثرَ كفِّها فى ثوبه بخَلوق ، فرجع إلى أبيه فى منزله ، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات . هذه رواية أبى عمرو .

(١) [illegible] : تزفر . تمطر : تسرع .
(٢) [illegible] . تميلها .

وقد أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن قال: حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال:

خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال:

ألا إنّ هنداً أصبحت منك محرماً ... وأصبحت من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا
وأصبحت كالمقمور جفنَ سلاحه ... يقلّب بالكفين قوساً وأسهما

ثم مد بها صوته فمات.

قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا. وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة يروى هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى

الشعر له أم لمسافر

النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة، فقدم أبو سفيان بن حرب، فسأله عن أخبار مكة، وهل حدث بعده شيء، فقال: لا، إلا أنّي تزوجت هنداً بنت عتبة، فمات مسافر أسفا عليها، ويدل على صحة ذلك قوله:

* وأصبحت من أدنى حموّتها حما *

لأنه ابن عم أبي سفيان بن حرب لحًّا وليس النميري المتزوج هنداً النهدية ابن عم(1) عبد الله بن العجلان فيكون من أحمائها، والقول الأول على هذا أصحّ.

من شعره في هند

ومن مختار ماقاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأتْ ... فقلبيَ مذ شطّتْ بها الدارُ مدنَفُ(2)
ولم أر هنداً بعد موقفِ ساعة ... بأنعَمَ في أهل الديار تطوّف
أتتْ بين أتراب تمايَسُ إذ مشتْ ... دبيبَ القطا أوهنّ منهنّ أقطَفُ

(1) هج: «من بني عم».
(2) هج: «فقلبي بها مذ شاك الدار مدنف».

يباشرن مرآةً جليًّا وتارةً ... ذكيًّا وبالأيدى مَدَاكٌ ومِسْوَفُ
أشارت إلينا فى خَفَاءٍ(1) وراعَها ... سراةُ الضحى منى على الحىّ موقفُ
وقالت : تباعد يا بن عمى فإننى ... مُنيتُ بذى صَوْلٍ يَغار ويعنفُ

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : أنشدنا فضل اليزيدىّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهدىّ قال إسحاق وفيه غناء :

خليلىّ زورا قبل شحط النوى هندا ... ولا تأمنا مِنْ دَارِ ذِى لَطَفٍ بُعْدا
ولا تعجلا ، لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيًّا يلاقى فى التعجُّلِ أم رُشْدا
ومرّا عليها بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهِكما قَصْدَا
وقولا لها ليس الضلال أجازَنا ... ولكنّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا

(1) ف : « فى حياء » .

صوت

ألا يا ظبيةَ البلدِ … برانى طولُ ذا الكمدِ

فردّى يا منى قلبى … فؤادى أو خذى جسدى

بُليتُ لشقوتى بكمُ … غلاماً ظاهرَ الجَلَدِ ١٤٧

فشيّبَ حبُّكم رأسى … وبيّن هجرُكم كبدى ١٩

الشعر للمؤمّل بن أميل، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار المؤمل ونسبه

اسمه ونسبه

المؤمل بن أميل بن أُسيد المحاربىّ . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر ، شاعر كوفىّ من مخضرمى شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت شهرته فى العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم(١) ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهدىّ فى حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب فى شعره ليس من المبرّزين الفحول ولا المرذُولين ، وفى شعره لِينٌ(٢) ، وله طبع صالح .

وَكان يهوَى امرأةً من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدتَه المشهورة :

يتمنى العمى فيستجاب له

شفّ المؤمّلَ يوم الحيرة النظرُ ليت المؤملَ لم يُخلق له بصَرُ

يقال : إنه رأى فى منامه رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه ، وقال : هذا ما تمنيت ، فأصبح أعمى .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحرّانىّ ، قال : حدثنى أبو قُدامة ، قال : حدثنى المؤمّل قال :

المهدى يغدق والمنصور ينتقص

قدمت على المهدىّ وهو بالرّىّ ، وهو إذ ذاك ولىّ عهد ، فامتدحتُه بأبيات ، فأمر لى بعشرين ألفَ درهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبى جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخْبِره أن الأمير المهدىّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يَعذِله ويلومه ، ويقول له : إنما ينبغى أن تعطى الشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم ،

(١) فى هد : « يخضرهم » بدل « يخصهم » .

(٢) فى هد : « وفى شعره لغة ودين » .

وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجّه إليه بالشاعر، فطلبه، ولم يقدر عليه، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجّه إلى(١) مدينة السلام، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهرَوان، وأمره أن يتصفّح الناسَ رجلاً رجُلا، فجعل لا يمرّ به قافلة، إلا تصفّح من فيها، حتى مرت به القافلةُ التي فيها المؤمّل، فتصفّحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أنا المؤمِّل بنَ أميل المحاربي الشاعر، أحدُ زوار الأمير المهديّ، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع(٢) خوفاً من أبي جعفر.

فقبضَ عليّ، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، وقال له: هذا الشاعر الذي أخذ من المهدي عشرين ألفاً، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إليّ، فأُدخلتُ إليه، فسلمت تسليم فزع(٣)، مُرَوَّع، فردّ السلام، وقال: ليس لك هاهنا إلّا خيرٌ، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنينَ أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيتَ غلاما غِرًّا كريماً، فخدعته فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، أتيت غلاماً غِرًّا كريماً، فخدعتُه فانخدعَ قال: فكأن ذلك أعجبَه، فقال: أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه:

هو المهديُّ إلا أن فيه ... مشابهةً(٤) من القمر المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مُشْكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلام سراجُ ليلٍ ... وهذا في النهار ضياءُ نُورِ
ولكن فضَّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابرِ والسّريرِ ١٤٨ ١٩

(١) كذا في ف، هد، هج، وفي س، ب: «توجه مدينة».
(٢) كذا في ف، بدون أن وهو أفصح.
(٣) هج: «مذعور».
(٤) كذا في ف وفي س، ب: «مشابه صورة القمر المنير».

وَبالأملاك العزيزِ فذا أميرٌ ... وماذا بالأمير ولا الوزيرِ
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا ... مُنير عند نقصان الشهور (١)
فيابن خليفةِ الله المصفَّى ... به تعلو مفاخرةُ الفخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد تواف وا ... إليكَ مِنْ الدولة والوُعورِ
لقد سبق الملوكَ أبوك حتَّى ... بقوا من بين كابٍ (٢) أو حَسيرِ
وجئتَ مصلياً (٣) تجرى حثيثاً ... وما بك حين تجرى من فُتُورِ
فقال الناس ما هذان إلا ... كما بينَ الخليق إلى الجديرِ
لئن سبق الكبيرُ لأهْلُ سبْقٍ (٤) ... له فضلُ الكبير على الصغيرِ
وَإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصغيرُ من الكَبيرِ

فقال : وَالله لقد أحسنت ، ولكن هذا لايساوى عشرين ألف درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، قال : يا ربيع ، امض معه ، فأعطه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقى. قال المؤمِّل : فخرج معى الربيع ، وَحطَّ ثِقْلى ، ووَزنَ لى من المال أربعةَ آلاف درهم ، وأخذَ الباقى .

فلما وَلِىَ المهدىُّ الخلافة ولَّى ابن ثَوبانَ المظَالم ، فكان يجلس للناس بالرُّصَافة ، فإذا ملأ كساءه رِقاعا رفعها إلى المهدىّ ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة ، فلما دخل بها ابن ثَوبان جعل المهدىُّ ينظر فى الرقاع ، حتى إذا وَصل إلى رُقْعتى ضَحِك ، فقال له ابنُ ثوبان : أصلَحَ الله أميرَ المؤمنين ! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شىء من هَذه الرقاع إلا من هذه

(١) كذا فى ف وفى س ، ب
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا ... أمير عند نقصان الشهور
(٢) كاب : عاثر من كبا يكبو .
(٣) مصليا : تاليا للسابق ، وسمى بذلك لأنه يضع أنفه عند صلوى سابقه .
(٤) كذا فى ف وفى س ، ب : « لقد » .

الرُّقعة، فقال : هذه رقعة أعرفُ سببها ، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم ، فردُّوها إلىَّ وانصرفتُ .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى ، قال : حدثنا عبد الله بن سعد بن أبى سعد قال : حدثنى الحكم بن موسى السلولىّ ، قال : حدثنى سعد بن أخى العوفىّ قال :

يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفا

قدم على المهدىّ فى بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المُؤمَّل بنُ أُمَيل المحَاربىّ والحسين ابن يزيد بن أبى الحكم السَّلولى وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِميرى من الكوفة ، فقدما على المهدىّ فى عسكره ، فأنشده المؤمِّل :

هالكَ ببيعتنا يا خير والٍ ... فقد جئنا به لكَ طائعينا[1]
فإن تفعل فأنت لذاك أهلٌ ... فهنَّ لك يابنَ خير الناس فينا
وعدلُك يابن وارث خيرِ خلقٍ ... نبيِّ الله خيرِ المرسلينا
فإن أبا أبيكَ وأنت منه ... هو العبّاسُ وارثُه يقينا
أبان به الكتابُ وذاك حقٌّ ... ولسنا للكتابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأنتم غير شكٍّ ... لها بالعَدل أكرمُ خاتمينا
فدونَكها فأنتَ لها محلٌّ ... حباك بها إلهُ العالمينا
ولو قِيدَتْ لغيرِكمُ اشمأزَّت ... وأعيَتْ أن تُطيعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألفَ درهم ، فجىء بالمال ، فأُلقى بينهما ، فأخذ كلّ واحد منهما بَدرة[2] ، وصدَعَ[3] الأخرى بينهما ، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفا .

١٤٩
١٩

(١) فى هد « فقد جئنا بذلك طائعينا » .

(٢) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم ، وجمعه بدر كعنب .

(٣) كذا فى ف وفى س ، ب « صدع » .

أخبرنى جعفرُ بن قُدامة قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عبدالله بن أُمين عن أبى محمد اليزيدىّ ، عن المؤمَّل بن أُميل قال :

صِرتُ إلى المهدىّ بجُرجان فمدحتُه بقولى :

تعزَّ ودعْ عنك سَلمى وسِرْ … حثيثًا على سائرات البِغالِ
وكل جوادٍ له مَيْعَةٌ[1] … يَخُبُّ بسرجكَ بعدَ الكَلالِ
إلى الشمسِ شمسِ بنى هاشمٍ … وما الشمسُ كالبَدْرِ أو كالهِلالِ
ويُضحكه أن يدومَ[2] السؤالُ … ويُتلف فى ضحكه كلَّ مالِ

فاستحسنها المهدىُّ ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان فى عسكره رجل يُعرف بأبى الهوْسات[3] ، يُغنِّى ، فغنّى فى الشعر لرُفقائه ، وبلغ ذلك المهدىّ فبعث إليه سرًّا ، فدخل عليه ، فغناه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وَأمر لى بعشرة آلاف درهم أخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثُم ذكر باقى الخبر على ما تقدم قبله ، وَزاد فيه :

أن المنصور قال له : جئتَ إلى غلام حَدَث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ مالا يملكه ، وأعطاك من الكُراع والأثاثِ ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خذ منه ثمانية عشر ألف درهم ، وأعطه ألفين ، ولاتعرض لشىء من الأثاث والدواب والرقيق ، ففى ذلك غناؤه . فأُخذَتْ والله منى بخَوَاتِمِها ، ووُضِعتْ فى الخزائن ، فلما ولىَ المهدىّ دخلتُ إليه فى المتظلمين . فلمّا رآنى ضحك وقال : مَظلمةٌ أعرفها ، ولاأحتاج إلى بيِّنة عليها ، وَجعل يضحك ، وَأمر بالمال فردّ إلىّ بعينه ، وزاد فيه عشرَة آلاف .

(١) ميعة الفرس : أول جريه .
(٢) فى س ، ب « يديم » .
(٣) ف : « المهوسات » .

ويتلف فى ضحكه كل مال

أخبرني الحسنُ بن علي الخفَّاف قال : حدثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُويه قال : حدثني حُذَيفة بن محمد الطائيّ قال : حدثني أبي قال :

رأيتُ المؤمَّل شيخًا مُصفرًّا نحيفًا أعمى ، فقلتُ له : لقد صدقتَ في قولك :

وقد زعموا لي أنها نذرت دَمي ... ومالي بحَمدِ الله لحمٌ وَلا دمُ — لا لحم فيه ولا دم

قال : نعم — فديتك — وما كنتُ أقول إلا حقا .

قال محمد بن القاسم : وحدثني عبدُ الله بن طاهر أن أول هذا الشعر :

حلمتُ بكم في نَوْمتي فغضبتُمُ ... ولاذنبَ لي إن كنتُ في النوم أحلمُ

سأطردُ عني النومَ كيلا أراكُمُ ... إذا ما أتاني النَّومُ والناس نُوَّمُ

تُصَارِمُني والله يعلم أنَّني ... أبَرُّ بها من والديْها وأرحَمُ

صوت

وقد زعموا لي أنها نذرتْ دمي ... وما لي بحمدِ الله لحمٌ ولا دمُ

برى حُبُّها لحمي ولم يُبق لي دَمًا ... وإن زعموا أني صحيح مسلَّم

فلم أرَ مثلَ الحبِّ صحَّ سَقيمُهُ ... وَلامثلَ من لا[1] يعرف الحبَّ يَسْقَمُ

سيقتُلُ جِلداً باليًا فوقَ أعظُمٍ ... وليس يُبالى القتلَ جلدٌ وأعظُمُ

في هذه الأبيات التي أولها : ١٥٠

١٩

* وَقد زعموا لي أنها نذرت دمي *

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى عن ابن المكي .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدثني محمد بن أحمد بن عليّ ، قال : لما قال المؤمَّل :

شفَّ المؤمَّل يوم الحيرة النظرُ ... ليتَ المؤمَّل لم يخلقْ له بَصَرُ

(١) في س ، ب : « لم » .

عَمِي ، وأُرِى فى منامه : هذا ما تمنيتَ .

أخبرنى حَبيبُ بنُ نَصْر قال : حدثنا عبدالله بن أبى سعد ، قال حدثنى علىّ بن الحسن(١) الشيبانى : قال :

رأى المؤمل فى منامه قائلا يقول : أنت(٢) المتألِّى على الله ألا يعذِّبَ المحبِّين حيث تقول :

يَكفى المحبِّينَ فى الدنيا عذابُهمُ ... وَاللهِ لاعذَّبَتْهم بعدها سَقَرُ

فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، ثم أدخل إصبعيه(٣) فى عينيه وقال له : أنت القائل :

شفَّ المؤمِّلَ يوم الحيرة النظرُ ... ليت المؤمَّل لم يُخلق له بصرُ

هذا ما تمنيت ، فانتبهَ فزِعًا ، فإذا هو قد عَمِى .

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا مُصعب الزبيرىّ قال :

لا ترضى مضر بقتلها

أُنشِدَ المهدىُّ قولَ المؤمِّل :

قتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضَرٍ ... وَاللهُ يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ

فضحك ، وقال : لو علمنا أنها قتلته ما رَضينا ، وَأغضبنا له وأنكرنا .

(١) س ، ب : «الحسين» تحريف .
(٢) المتألى : الحالف .
(٣) فى س ، ب : « إصبعه » .

صوت

بكيتُ حذارَ البين ملا بما الذى إليه فؤادى عند ذلك صائرُ
وَقال أناس لو صبرتَ وإننى على كل مكروه سوى البين صابرُ

الشعر لأبى مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصلىّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشامىّ .

قال الهشامىّ : وفيه ليزيد حوراء ثانى ثقيل ، وَالصحيح ثقيل أول .

أخبار أبى مالك ونسبه

اسمه ونشأته

أبو مالك النضر بن أبى النضر التميمىّ، هذا أكثر ما وجدتُه من نسبه، وكان مولده ومنشؤه بالبادية.

ثم وفد إلى الرشيد، ومدحه، وخدمه فأحمدَ مذهبه، ولطفت عنايةٌ من الفضل بن يحيى، فبلغ ما أحبّ، وهو صالح الشعر، متوسط المذهب، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين، ولا من المرذولين.

أخبرنى أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال:

يرثى أباه

كان أبو مالك النضر بن أبى النضر التميمىّ مع الرشيد، وكان أبوه مقيما بالبادية، فأصاب قوم من عشيرته الطريقَ، وقطعُوه عن بعض القوافل، فخرج عامل دِيارِ مضر وكان يقال له جَبّال — إلى ناحية كانت فيها طوائف من بنى تميم، فقصدهم وهم غارُّون(1)، فأخذَ منهم جماعةً فيهم أبو النضر أبو أبى مالك الأعرج، وكان ذا مال، فطالبه فيمن طلَب من الجناة، وطمع فى ماله، فضربه ضربًا أتى فيه على نفسه، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه:

فيمَ يُلحَى على بكائى العذولُ ... والذى نابنى فَظيعٌ جليلُ ١٥١
عدِّ هذا الملام(2) عنى إلى غيـ ... ـرى فقلبى ببَثِّه مشغولُ ١٩
راعنى والدى جَنَتْ كفُّ جبّا ... لٍ عليه فراح وهو قَتيلُ
أيها الفاجِعى بركُنى وعزّى ... هبلَتنى إن لم أرعْك الهَبُولُ(3)

٦

(1) غارون: غافلون.
(2) س، ب: «الكلام»
(3) هبلتنى الهبول: ثكلتنى أمى

[illegible]تنى خُماً ة الصِّدار وأظلـ ـتَ نهارى علىَّ [illegible] غولُ

ماعدانى الجفاءُ عنك ولكن لم يُدلنى⁽¹⁾ من الزمان مُديلُ

زال عنا السرورُ إذ زُلتَ عنا وازدهانا⁽²⁾ بكاؤنا والعويلُ

ورأينا القريبَ منا بعيداً وجفانا صديقُنا والخليلُ

ورمانا العدوُّ من كلِّ وجهٍ وتجنَّى على العزيز الذليلُ

يا أبا النضر سوفَ أبكيك ما عـ ـشتُ سويًّا وَذاكَ منى قليلُ

[illegible] [illegible]ك للملائكةُ الأبـ رارُ إذ مالَنا إليك⁽³⁾ سبيلُ

غيرَ أنى كذبتُك الودَّ لم تقـ ـطُر جفونى دما وأنت⁽⁴⁾ قتيلُ

[illegible] مقلتى . بإرسال دَمعى وعلى مثلك النفوسُ تسيلُ

أسِواكَ الذى أجودُ عليه بدمى إننى إذاً لبخيلُ

عثر الدهرُ فيك عثرةَ سوءٍ لم يُقِل مثلَها المعينُ المقيلُ

قل إن ضنَّ بالحياة فإنى بعده للحياة قَالٍ مَلولُ

إنَّ بالفحِ من ضباعةَ قومى⁽⁵⁾ ليسَ منهم ـ وهم أدانٍ⁽⁶⁾ ـ وَصولُ

لا يزورون جارَهم من قريبٍ وهمُ فى التراب صَرعى حلولُ

(١) لم يدلنى : لم ينصرنى .

(٢) ازدهانا : استخفنا وأذهب وقارنا .

(٣) فى هد : « إليها » بدل « إليك » وفى ف : « إليه » .

(٤) فى م : وذاك قليل ، والأول أصوب لتقدم هذه القافية .

(٥) كذا فى م ، وضباعة اسم جبل من جبال طيىء ، وفى ف : « إن بالفخ من منازل قومى » .

(٦) فى س ، ب : « أذان » وهو تحريف .

حفرة حَشْوُها وفاءٌ وحِلمٌ ونَدًى فاضلٌ ورأىٌ أصيلُ
وعفافٌ عما يَشين وحِلمٌ راجحُ الوزن بالرواسى يَميلُ
ويمين[1] بنانُها غيرُ جَعد[2] وجبينٌ صَلْتٌ[3] وخدٌّ أسيلُ
وامرؤ أشرقت صُفَيحةُ خدّيـ ـه عليه بشاشةٌ وقَبولُ

(١) فى س ، ب: «وبنان يمينها» ، ولا معنى له .
(٢) جعد : قصير ، والمراد بسط يده بالعطاء .
(٣) صلت : واضح .

صوت

لئن مصرُ فاتتنى بما كنتُ أرتجى وأخلفنى فيها الذى كنتُ آملُ
فما كل ما يخشى الفتى بمُصيبِه ولا كلُّ ما يرجو الفتَى هو نائلُ

(٤ الشعر لأبى دُهمان ، والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامىّ . انتهت
أخبار مالك ونسبه٤) .

(٤-٤) تكملة من هج ، وهد .

أخبار أبى دهمان

أبو دُهْمان الغِلابىّ شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتى بنى أمية وبنى العباس[1]. ومدح المهدىّ، وكان طيّبًا ظريفا مليحَ النادرة.

لايبيح باسم محبوبته

وهو القائل لما ضَرَبَ المهدىُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتْبة:

لولا الذى أحدثَ الخليفةُ فى الـ ـعُشّاق من ضربهم إذا عشقوا
لبُحْتُ باسم الذى أحِبُّ ولـ ـكنّى امرؤ قد ثَنانىَ الفَرَقُ

حدثنى بذلك الصولىّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبى العتاهية. وأخبرنى جحظة عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

152
19

يجيد التقليد

قال رجل لأبى دهمان: ألا أحدثك بظريفة؟ قال: بلى، قال: كنا عند فلان، فمدّ رجله هكذا، فضَرَط، ومدّ المحدث رجله يحكيه فضرط، فقال له أبو دُهمان: يا هذا أنتَ أحذَقُ خلق الله بحكاية.

نسخت من كتاب بخط ميمون بن هارون:

حق له أن يتيه عليه

بلغنى أن أبا دُهمان مرّ وهو أمير بسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ، فقام الناس إليه ودعَوْا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره: أما ترى ذلك الرجلَ فى النّظارة وترى تيهَهَ علىّ؟ فقال له: وكيف يتيه[2] عليك وأنتَ الأمير! قال: لأنه قد ناكَنى وأنا غلام.

وأخبرنى الحسن بن علىّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ، قال:

(١) فى س، ب: «بنى هاشم».
(٢) فى س، ب: «تيهه».

غلام يتعجل موته

مرض أبو دُهمان مرضا أشْفَى منه على الموت ، فأوصى وأملى وصيته على كاتبه ، وأوصى فيها بعتق غلام كان له واقفا ، فلما فرغ غدا الغلامُ بالرقعة ، فأتربها ، ونظر إليه أبو دُهمان ، فقال له : نعم أتربها يابنَ الزانية ، عسى أن يكون أنجحَ للحاجة ، لا شفانى الله إن أنجحت ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبيع .

صوت

يكرُّ كما كرَّ الكُلَيبىّ مُهرَه ... وما كرَّ إلا خيفةً أن يُعيَّرا
فلا صُلحَ حتى تزحفَ الخيلُ والقنا ... بناو بكم أو(1) يَصدُرَ الأمرُ مَصدَرا

الشعر لأبى حُزابة التميمىّ، والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بالبنصر.

وهذا الشعر يرثى به أبو حُزابةَ رجلا من بنى كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبُوعىّ، قُتِل بسجستان فى فتنة ابن الزبير، وكان سيّداً شُجاعاً.

أنشدنيه جعفرُ بن قُدامة قال: أنشدنى أبو هِفّان وأحمد بن أبى طاهر قالا: أنشدنا عبدُ الله بن أحمد العدوىّ لأبى حُزابة يرثى ناشرةَ اليربوعىّ وقُتِل بسجستان فى فتنة ابن الزبير قال:

يرثى ناشرة اليربوعى

أدرى لقد هدّتْ قريش عروشَها ... بأيمنَ نفّاحِ العشيّات أزهرا
وكان حصاداً للمنايا زرعتَهُ ... فهلاّ تركنَ النبتَ ما كان أخضرا
لحا اللهُ قوماً أسلموكَ وجرّدوا(2) ... عناجيجَ(3) أعطتْها(4) يمينُك ضُمّرا
أما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ ... يرى الموتَ فى بعض المواطنِ أفخرا
يكرّ كما كرَّ الكُلَيبىّ مُهره ... وما كرّ إلا خشيةَ أن يُعيَّرا

يُريد ما كان فى هؤلاء القوم مَنْ يكرُّ كما كرّ ناشرة الكُلَيبى مُهرَه؟

(1) فى س، ب: أن بدل أو.
(2) فى ف، هج، هد: «قد عوك وأسلموا» بدل «أسلموك وجردوا».
(3) العناجيج: جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور.
(4) فى ف: «أعطتك» بدل «أعطتها» وهو تحريف.

أخبار أبى حزابة ونسبه

اسمه ونشأته

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حَنيفة، أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . شاعر من شعراء الدولة الأموية بَدَوِيٌّ حَضَرٌ(١) وسكن البصرة ، ثم اكتُتِبَ فى الديوان ، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وأظنُّه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجّاء .

فأخبرنا الحسن بن علىّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات
قال : حدثنا محمد الهيثم الشامىّ قال : حدثنى عمّى أبو فراس عن العُذرىّ ١٥٣
قال : ١٩

دخل أبو حُزابة على طلحة الطلحات الخزاعى ، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سجستان ، وكان أبو حُزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته ، ورأى ما يُعطى غيرَه من الجوائز ، فأنشده :

أبعد الدلاء أملؤها

وأدليتُ دَلوِى فى دِلاء كثيرةٍ ... فجئن مِلاءً غير دَلوى كما هِيا
وأهلكنى ألاّ تزالَ رَغيبةٌ ... تُقَصِّر دونى أو تَحُلُّ وَرائيا
أرانى إذا استمطرتُ منك سحابةً ... لتُمطِرنى عادتْ عَجاجاً(٢) وسافيا(٣)

قال : فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدرَه ، ووقعت فى حجره ، ويقال :

(١) حضر وحضرى بمعنى واحد .
(٢) عجاجا : غبارا .
(٣) سافيا : ريحا تذرو التراب ودقّه .

بل أعطاه أربعة أحجارٍ ، وقال له : لا تُخدعْ عنها ، فباعها بأربعين ألفا ومات طلحةُ بسجستان .

ثم وَلِىَ من بعده رجل من بنى عبدِ شمس يقال له عبدُ الله بن علىّ بن عَدِىّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة :

خلف ، شحيح
ألف ، كريم

يا بنَ علىٍّ بَرِحَ الخفاءُ   قد علِم الجيرانُ والأكفاءُ
أنكَ أنت النذلُ[1] واللَّفاء[2]   أنت لِعَيْنِ طَلْحَةَ الفِداءُ[3]
بنو عَدِىٍّ كلهم سواء   كأنهم زينيّةٌ[4] جِراءُ[5]

رثاء وهجاء

قال ثم وليَها بعدَ عبد الله بن على عبدُ العزيز بنُ عبدالله بن عامر بن كُرَيز أيام الفتنة ، فاستأذنه أبو حزابة أن يأتىَ البصرة ، فأذِن له ، فقدمها ، وكان الناس يحضُرون المِرْبد ، ويتناشدون الأشعار ، ويتحادثون ساعة من النهار ، فشهدهم أبو حُزابةَ ، وأنشدهم مَرثية له فى طَلحةِ الطلحات يضمنها ذمًّا لعبدِ الله بن علىٍّ وهى قوله :

هيهاتَ هيهاتَ الجنابُ الأخضر   والنائلُ الغمرُ الذى لا يُنْزَرُ
وَاراهُ عنا الجَدثُ المغوَّرُ[6]   قد علم القوم غداة استَعَبَرُوا

(١) ب ، س : « البذل » تحريف .
(٢) اللفاء : الخسيس .
(٣) س ، ب : القذاء .
(٤) زينيّة : كلاب .
(٥) الأبيات فى الحيوان ١ : ٢٥٥ .
(٦) المغور : البعيد الغور .

والقَبْرُ بين الطالحاتِ يُحفر ... أنْ لَنْ يروا مثلَكَ حتى يُنشروا(١)
أنا أتانا جَرَزٌ محمَّرُ(٢) ... أنكرهُ سَرِيرُنا والمِنْبَرُ
والمسجدُ المُحتَضَر المُطَهَّرُ ... وخانهُ ياطلح منك أعْوَرُ(٣)
بايَعَهُ ياربَّنا لا نسخَرَ ... أقلُّ من شِبرين حينَ يُشْبَرَ
* مثل أبى القعواء لا بل أقصر(٤) *

قال : وأبو القَعْواء حاجبٌ لطلحة كان قصيراً .

بئس العقاب

فقال عون بن عبد الرحمن بن سلَامة — وسلامة أُمُّهُ — وهو رجل من بنى تميم ابن مرة قيس : بأسما قاتَلت ! أتشاهر الناسَ بشَتْم قريش؟ فقال له ، إنى لم أُعَمِّمْ ، إنما سَمَّيتُ رجلا واحداً ، فأغاظ له عونٌ حتى انصرفَ عن ذلك الموضع ، ثم أمر عَوْنٌ ابن أخ له ، فدعا أبا حُزابة فأطعمه ، وسقاه ، وخلط فى شرابه شُبرُماً(٥) فسلَّحه ، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه ، فسلَح على بابهم وفى طريقه ، حتى بلغ أهلَه ، ومرض أشهراً ، ثم عُوفى ، فركب فرساً له ، ثم أتى المِرْبد فإذا عونُ بن سلامة وَاقف ، فصاح به ، فوقف ، ولو لم يقفْ لكان أخذه ، لهجائه ، فقال له أبو حُزابة :

ياعون قفْ واستمع الملامَهْ ... لا سلَّم اللهُ على سلامهْ

(١) البيت ساقط من م
(٢) كذا فى ف وفى س ، ب : « جزر » تحريف والأصوب — كما فى بعض النسخ — جرز محمر : فأر هجين .
(٣) فى س ، ب : بعد شطرين .
(٤) س ؛ ب : « أصغر » .
(٥) الشبرم : شراب مسهل .

زنجيّة تحسبها نعامهْ شكّاءُ(1) شانَ جسمَها دمامهْ
ذاتِ حِرٍ كريشتَي حمامهْ بينهما بَظْرٌ كرأس الهامهْ ١٥٤
أعلمتُها وعالِمِ العلامهْ لو أن تحت بَظرها صِمامهْ ١٩
* لدفعتْهُ قُدُما(2) بها أمامه *

فكان الناس يمزحون به :

* أعلمتها وعالم العلامة *

أخبرني عمّي قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني عمي أبو فراس، عن الهيثم بن عديّ قال :

أبو حزابة يمدح طلحة

كان عبد الله بن خلف ، أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتِل معها يومئذ، وعلى بني خلف ، نزلتْ عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصرِ بني خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أُمَويًّا ، وكانت بنو أُميّةَ مكرِمين له .

فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة :

يا طلحَ يأبى مجدُك الإخلافا والبخلَ لا يُعترفُ اعترافا(3)
إن لنا أحمرةً عِجافًا يأكُلْن كلَّ ليلة إكافا(4)

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهمَ ، وقال له : هذه مكانُ أُحمرتك .

يأبى الوقوف بباب يزيد

أخبرني عمي قال حدثنا السكُرانيّ(5) قال : حدثني العمريّ ، عن الهيثم قال : قيل لأبي حُزابة : لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لفرض لك ، وشرّفكَ ، وألحقكَ بعليّة

(1) كذا في ف ومعناها صماء ، وفي س ، ب : «سكاء» .
(2) غير مستوية ولا ملتوية .
(3) اعترفه : استخبره عن حاله ، أي مجدك واضح لا يسأل عنه سائل .
(4) الإكاف : برذعة ويقال له وكاف .
(5) كذا في ف وفي س ، ب : «الكبانى» تحريف .

أصحابه ، فلم يدوّنهم ، وكان أبو حُزابة يومئذ غلاما حدثا ، وكان معاوية حيًّا ، ويزيدُ أميراً يومئذ ، فلما أكثر قومُه عليه فى ذلك ، وفى قولهم : إنك ستشرُف بمسيرك إليه قال :

يُشرّفنى سِنّى[1] وقلبٌ مُجانبٌ لكل لئيم باخلٍ ومعلهَجِ[2]
وكرّى على الأبطال طِرْفًا كأنه ظَليمٌ وضربى فوق رأسِ المدَجَّجِ
وقَولِى إذا ما النفسُ جاشت وأجهشت مخافةَ يومٍ شرُّه متأجِّجِ[3]
عليكِ غمارَ الموت يانفسُ إننى جرىءٌ على درء الشجاع الهُجَهْجِ[3]

فلما أكثر عليه قومُه ، وعنّفوه فى تأخره أتى يزيدَ بن معاوية ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فرجع ، وقال : والله لا يرانى ما حملت عيناى[4] الماء إلا أسيراً أو قتيلا ، وأنشأ يقول :

ثم يقف ، فلا يصل إليه

فوالله لا آتى يزيدَ ولو حوتْ أناملُه مابين شرقٍ إلى غربِ
لأنّ يزيداً غيّر الله مابِهِ جَنوحٌ إلى السُّوءى مُصِرٌّ على الذنبِ
فقل لبنى حرْب تَقُوا الله وحدَه ولا تُسعدوه[5] فى البِطالة واللعبِ
ولا تأمنوا التغييرَ إن دام فعلُه ولم ينهَه عن ذاك شيخُ بَنِى حربِ

(١) كذا فى س ، ب ؛ وفى ف : « سيفى » .
(٢) معلهج : أحمق لئيم .
(٣) الهجهج : الداهية .
(٤) كذا فى ف وفى س ، ب : « عينى » ، والعبارة كناية عن الإبصار .
(٥) فى ب : ولا تحمدوه ، وهو تحريف .

أيشربُها صِرفًا إذا الليل جنَّه معتَّقةً كالمسكِ تختالُ فى القلبِ(1)
ويَلْحَى عليها شاربيها وقلبُه يهيمُ بها إن غاب يوما عن الشَّربِ(2)

يرهن سرجه لبيتة

أخبرنى حبيبُ بنُ نَصر المهلبىّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة، عن المدائنى قال: لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجّاج، وكان(3) معه أبو حُزابة فمرّوا بدَسْتَبَى(4) وبها مستراد(5) المزّناجة(6)، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلا بمائة درهم، فبات بها أبو حُزَابة ورهن عندها سرجَه، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن، فلما أقبل صاح به وقال:

أمرُّ ضالٍّ نابهٍ فى العجّ(7) كأننى مطالَبٌ بخَرْجِ ١٥٥
ومستراد ذهبت(8) بالسَّرْج فى فتنة الناسِ وهذا المرْجِ ١٩

فعرف ابنُ الأشعث القصةَ، وضحك، وأمر بأن يُفتكَّ له سِرجُه، ويُعطى معه ألفَ درهم، وبلغت القصةُ الحجاجَ فقال: أيجاهرُ فى عسكره بالفجور فيضحك، ولا ينكر(9)! أما لو ظفرتُ به إن شاء الله.

(1) ب، س: «القلب».
(2) الشرب: جماعة الشاربين، اسم جمع شارب كصاحب.
(3) لعل من الصواب حذف الواو لتكون «كان» جواب لما.
(4) دستبى: كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الرى وهمذان.
(5) مستراد: موضع كمراد، الأول من استراد والثانى من أراد، ويبدو أنه كان مثابة للهو والمجون كما يبدو من كلام الحجاج.
(6) المزناجة: اللاعبون بالأوتار أو المغنون.
(7) العج: الصياح والضوضاء.
(8) فى هد، ف: «رهنت» بدل «ذهبت».
(9) فى هد: «ولا يبكى» بدل «ولا ينكر».

لا يثيبه على المدح فيهجوه

أخبرني عمّي، قال حدثنا الكرانيّ عن الدوريّ، عن العُتبيّ قال:

مدح أبو حُزابة عبد الله بن علي الهاشميّ وهو على سجستان فلم يُثبْه فقال يهجوه:

هبّتْ تعاتبني أما مةُ في السماحة والفعال
وأبيتُ عند عِتابها إلا خلائقَ ذي النّوال
أُعطِي أخي وأحُوطُه جُهدي وأبذُل جُلّ مالي
وأقِيه عند تشاجُر الأبطا لِ بالأسَلِ[1] النِّهال[2]
حِفْظاً له ورعايةً للحاليات من الليالي
إذ نحنُ نشربُ قَهوة دِرياقة[3] كدمِ الغَزالِ
حمراء يُذهِبُ رِيحُها مافي الرءوس[4] من الخَبالِ
وإذا تشعشع[5] في الإنا ء رمتْ أخاها باغتيالِ
وعلا الحَبابُ فخلتَه عِقْداً يُنظَّم من لآلي
تَشْفِي السقيمَ بريحها وتُميتُه قبل الإجال[6]
تلك التي تركتْ فؤا د أبي حُزابةَ في ضَلالِ
لا يستفيق ولا يُفيـ ق نزيفها في كلّ حال
وإذا الكماةُ[7] تنازلوا ومشى الرجالُ إلى الرجالِ

(١) الأسل: الرماح.
(٢) النهال: العطاش جمع ناهل.
(٣) درياقة: شفاء.
(٤) في ف، هد: «النفوس».
(٥) تشعشع: تمزج وتخالط.
(٦) الإجال: جمع أجل حذفت منه الهمزة لسهولة الوزن.
(٧) جمع كمي على غير قياس، وهو المدجج بالسلاح.

وبدت كتائبُ تمترى(1) مُهَجَ الكتائبِ بالعوالى
فأبو حُزابةَ عند ذا ك أخو الكريهة والنِّزالِ
يمشى الهوينى مُعلِمًا(2) بالسيف مشيًا غير آلِ
كالليث يترك قِرنَه مُتجدِّلا بين الرِّمالِ(3)
إنى نذيرُ بنى تميـ م من أخى قيلٍ وقالِ
من لا يجود ولا يسو د ولا يُجير من الهُزالِ
وتراه حين يجيئه السؤا ل يُولَع بالسُّعالِ
متشاغلا متنحنحا كالكلب جَمجم(4) للعِظالِ(5)
فارفضْ قريشًا كُلَّها من أجل ذى الداء العُضالِ

— يعنى عبد الله بن على العبشمىّ .

يشيد بشجاعة السجستانيين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنى محمد بن الهيثم الشامىّ قال : حدثنى عمى أبو فِراس ، عن العذرىّ قال :

١٥٦
١٩
دخل أبو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج ، وقد قَدِما سجستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن لما قدمها هرَب ، ولم يبق بسجستان

(1) تمترى : تستخرج .
(2) جاعلا لنفسه علامة ليتحدى الأبطال فى النزال ؛ وفى هد ، ف : العرضنة ، بدل الهوينى .
(3) كذا فى ف وفى س ، ب : « المجال » .
(4) فى س ، ب : جمع ، ومعنى جمجم أخفى صوته .
(5) العظال : الملازمة فى السفاد للكلاب ونحوها .

من(1) أصحابه إلا سبعمائة رجل من بنى تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حزابة : إنّ الرجل قد هرب منكما ، ولم يبق من أصحابه أحد ، وإنما بسجستان من(1) كان بها من بنى تميم قبل قدومه فقالا له : مالهم عندنا أمان ، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنه ورد عليهم فى جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة . فلم يُجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصرهم أهل الشام ، فاستقتلت(2) بنو تميم ، فكانوا يخرجون فى كل يوم إليهم ، فيواقعونهم ، وَيَكْبِسونهم(3) بالليل ، وينتهبون أطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلما رأى قلّتهم قال : أما كنتم إلا ما أرى ! قالوا : نعم(4) ، فإن شئت أن نُقِيلك الصلح أقلناك ، وعُدْنا للحرب ، فقال : أنا غنىّ عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حُزابة فى ذلك :

لله عينا من رأى من فوارس ... أكرّ على المكروه منهم وأصبرا
وَأكرمَ لو لاقَوْا سواداً مُقاربا ... ولكن لقُوا طَمًّا(5) من البحر أخضرا
فما برحوا حتى أعضُّوا سيوفهم ... ذُرَى الهام منهم والحديدَ المُسمَّرا
وحتّى حسبناهم فوارسَ كهمسٍ(6) ... حيوا بعد ما ماتوا من الدّهر أعصرا

(1–1) تكملة من ف ، هد ، هج .
(2) فى س ، ب : فاستقلت ، وهو تحريف .
(3) فى س ، ب : « يبيتونهم » .
(4) فى س ، ب : « لا » .
(5) طما : غمرا .
(6) كهمس أبو حى من ربيعة ، أو لعل المقصود به كهمس الصريمى ، وهو خارجى حارب فى أربعين رجلا أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفى رجل ، فثبت لهم .

صوت

إذا اللهُ لم يسقِ إلا الكرامَ فسقّى وُجوه بَنى حَنبلِ
وسقّى ديارَهمُ باكراً من الغيث في الزمن المُمحِلِ
تُكفكفه بالعشيّ الجنوبُ وتُفرِشُه هزة الشّمألِ
كأنّ الرّبابَ(١) دوينَ السحابِ نَعامٌ تعلّقُ بالأرجل

الشعر لزهير السكب التميمى المازنى ، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبنصر عن الهشامى وحبش .

(١) الرباب : السحاب الأبيض .

نسب زهير السكب وأخباره

اسمه ونسبه

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعى[(١)] شاعر جاهلى . وإنما لقب السكب ببيت قاله وقال فيه :

بَرقٌ يُضيء خلالَ البيتِ أُسْكوبُ[(٢)]

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازة قال : حدثنا أبو هِفَّان عن سَعيد بن هُرَيم[(٣)] عن أبيه قال :

كان زُهير بن عروة المازنىّ الملقب بالسكب جاهليًّا ، وكان من أشراف بنى مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم ، ففاضل قومه فى شىء ذممه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بنى تميم ، فألحقه فيهم نسبهم ، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته ، فأبت نفسه ذلك عليه ، فقال يتشوق ناساً منهم كانوا بنى عمه دِنْية[(٤)] يقال لهم بَنُو حَنْبل :

تشوق إلى أبناء عمومته

إذا الله لم يَسْقِ إلا الكرامَ فسقّى وجوهَ بنى حَنْبلِ

مُلِثًّا[(٥)] أحمّ دوالى[(٦)] السحاب هَزيم الصلاصل والأزملِ[(٧)]

(١) كذا فى م وفى س ، ب : « خزاعة » .
(٢) أسكوب المطر وينهمر .
(٣) فى س ، ب : « هزيم » .
(٤) دنيه أقربيه ويقال فيهم : دنية ودنيا ودنيا .
(٥) ملثا : دائم المطر لا ينقطع .
(٦) أحم : أسود ويجمع على حم ، وفى الكامل دوالى جمع دالية : ما تدلى من السحاب .
(٧) صلصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل صلصلة ، الأزمل : الصوت المختلط .

تكركره(١) خضخضاتُ(٢) الجنوب … وتفرغه(٣) هِزة الشمأل
كأن الربابَ دُوينَ السحابِ … نَعام تعلّق بالأرجُلِ
فنعم بَنو العم والأقربون … لدى حَطْمة(٤) الزمن المُمْحلِ
ونعم المواسونَ فى النائبا … ت للجار والمعتفى(٥) المُرْمِلِ(٦)
ونعم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ … إذا غائِظُ(٧) الأمر لم يُحلَلِ
ميامينُ صُبْرٌ لدى المعضلاتِ … على مُوجع الحدَثِ المعضِلِ
مباذيلُ عفواً(٨) جزيلَ العطاء … إذا فَضلةُ الزاد لم تُبذَلِ
هم سبقوا يوم جَرْى الكرامِ … ذَوى السبق فى الزمن الأوّلِ
وساموْا إلى المجد أهلَ الفَعال … فطالوا بفعلهم الأطوَلِ

أخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعىّ : قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه قال :

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرّباب فقال : أما تراه معلقًا بالسحاب كالذيل له ، أما سمعت قول صاحبنا الشّكب : أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره

كأن الرّبابَ دُوَيْنَ السحاب … نَعامٌ تعلّق بالأرجل ١٥٧ ١٩

(١) تكركره : تجمعه بعد تفرقه .
(٢) جمع خضخضة : هى تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة ضربية بخلاف ريح الشمال .
(٣) كذا فى ف وفى س وب : «تفرعه» ولا معنى لها .
(٤) حطمة : بضم الحاء وفتحها معناها الشدة .
(٥) المعتفى : السائل .
(٦) المرمل : الذى نفد زاده .
(٧) غائظ الأمر : الأمر المجهد الشاق ، وفى رغبة الآمل : «عائد» ، وفى س ، ب : «غائط» ، وهو تحريف .
(٨) عفوا : فضلا وزائدا .

صوت

سلا عن تذكُّره تُكْتَمَا وكان رَهِينًا بها مُغْرَما
وأقْصَرَ عنها وآثارُها(١) تُذَكِّره داءَها الأقدما

الشعر للنَّمِر بن تولَب، والغناء لخزَرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشامىّ .

(١) فى منتهى الطلب : « وآياتها » .

أخبار النمر بن تولب ونسبه

اسمه ونسبه

هو النَّمِر بن تَوْلَب بن أُقَيش(١) بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل — واسم عكل عوف بن عبد مناف(٢) — بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر مقلّ مخضرم أدركَ الجاهلية، وأسلم، فحسُن إسلامه، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب له كتابا، فكان فى أيدى أهلِهِ، وَرَوى عنه صلى الله عليه وسلم حديثاً سأذكره فى موضعه، وكان النمر(٣) أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعىّ:

أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس

كان أبو عمرو بن العلاء يُسمّى النمرَ بن تولب الكيِّسَ لجَوْدة شعره وحُسْنه.

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحىّ، وأخبرنا به أبو خليفة فى كتابه إلىّ، عن محمد بن سلّام قال:

كان النمر بن تولب جواداً لا يُليق(٤) شيئاً، وكان شاعراً فصيحاً جريئا على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيِّس لحسن شعره.

أخبرنى هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخزاعىّ قال: أخبرنا الرياشىّ قال: حدثنا

(١) فى م: «أقيشر».

(٢) فى هد، هج: «عبد مناة» بدل «عبد مناف».

(٣) فى س، ب: «النمير» وهو تحريف.

(٤) لا يليق: لا يبقى شيئا لجوده وسخائه، فهو شبيه بحاتم فى جوده وشعره.

الأصمعى : قال حدثنا قُرَّة بن خالد، عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أخى مُطرِّف ، وأخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىَّ قال : حدثنا محمد بن سلاّم قال :

١٥٨ وفد النَّمِر بن تولب على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابًا ، أخبرناه قُرَّة بن
١٩ خالد السَّدوسى وسعيد بن إياس الجريرىّ ، عن أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أخى مُطرِّف .

وأخبرنى عمى عن القاسم عن محمد الأنبارى عن أحمد بن عبيد ، عن الأصمعى ، عن قُرَّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخى مُطرف — واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض — قال :

بينما نحنُ بهذا المِربد جلوس — يعنى مِرْبَدَ البصرة — إذ أتى علينا أعرابىٌّ أشعثُ الرأس ، فوقف علينا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، قال : أجَلْ ، وإذا معه قطعة من جِراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبهُ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله لبنى زُهَير — هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ، وقال الباقون : لبنى زُهَير بن أُقيش — حيٍّ من عُكْل — إنكم إن شهدتم أن لاإله إلا الله وأنّى رسول الله ، وأقمتم الصلاةَ ، وآتيتم الزكاةَ ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمُس من الغنائم وسهم النبى والصَّفِىّ[1] فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله .

يحظى بكتاب نبوى

وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره خاصة : « لكم ما للمسلمين وعليكم ماعليهم » . وقالوا جميعاً فى الخبر : فقال له القومُ : حدِّثنا رَحِمَك اللهُ ، ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « صَومُ شهر الصَّبر ، وصومُ

يشكون فى روايته فيؤخذ ...

(١) الصفى : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا .

ثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن كثيراً من وَحَر[1] الصدر». فقال له القوم: أأنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أراكم تخافون أن أكذبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاحدثتكم حديثاً، ثم أهوَى إلى الصحيفة، وانصاع[2] مُدبرا. قال يزيد بن عبد الله: فقيل لى بعد ما مضى: هذا النمر بن تولب العُكلِيّ الشاعر.

أخبرنى محمد بن خلَف، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلف، قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال:

مثل من كرمه

خرج النمرُ بنُ تولب بعد ما كبر فى إبله، فسأله سائل، فأعطاه فحلَ إبله، فلما رجعت الإبل إذا فحلُها ليس فيها، فصاحت به امرأتهُ، وعذَلَتْه، وقالت: فهلّا غيرَ فحل إبلك؟ فقال لها:

دَعِينى وأمرى سأكفِيكِه وكُونى قَعِيدةَ بيتٍ ضُباعا[3]
فإنكِ لن تَرْشُدى غاويا ولن تدركى لك حظّاً مُضاعا

وقال أيضا فى عزلها إياه:

بَكَرتْ باللّوم تَلحانا فى بعير ضلّ أو حَانا
عَلِقَتْ لوًّا تُكرّرها إنّ لوًّا ذاكَ أعيانا

قال: وأدرك الإسلام فأسلم.

أخبرنى الحسنُ بن علىّ؛ قال: حدثنا أحمدُ بن زهير، قال: حدثنا محمد بن

(١) وحر: حقد وغيظ.
(٢) انصاع: انفتل راجعا.
(٣) ونرجح أنها مرخم «ضباعة»، وهو اسم زوجته.

سلام قال : كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب ، وكان سيدا معطيا فأغار الحارث على بنى أسد فسبى امرأة منهم ، يقال لها جمرة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ، ففركته (١) ، فبنى بها ، حتى استقرت ، وولدت له أولادا ، ثم قالت له فى بعض أيامها : أزرنى أهلى فإنى قد اشتقت إليهم ، فقال لها : إنى أخاف إن صرت إلى أهلك أن تغلبينى على نفسك ، فواثقته لترجعن إليه . فخرج بها فى الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بنى أسد ، فلما أطل على الحى تركته واقفا ، وانصرفت إلى منزل تخدعه زوجه

٥٩ ‖ ١٩ بعلها الأول ، فمكث طويلا ، فلم ترجع إليه ، فعرف ما صنعت ، وأنها اختدعته فانصرف وقال :

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل ... جزاء مغل (٢) بالأمانة كاذب
لهان عليها أمس موقف راكب ... إلى جانب السرحات أخيب خائب
وقد سألت عنى الوشاة ليكذبوا ... علىّ وقد أبليتها (٣) فى النوائب
وصدت كأن الشمس تحت قناعها ... بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقال فيها أيضا :

كل خليل عليه الرعا ... ث (٤) والحبلات كذوب ملق

— الحبلات : واحدتها حبلة ، وهى جنس من الحلى قدر ثمر الطلح — .

وقالت : إلىّ فأحلفتها ... بهدى قلائده تختفق (٥)
بأن لا أخونك فيما علمت ... فإن الخيانة شر الخلق

(١) فركته : أبغضته وهو خاص بالزوجين وهى فارك وفروك .
(٢) مغل : خائن ، وقيل : الغلول خاص بالخيانة فى الفىء والغنيمة .
(٣) أبليتها : أحسنت إليها .
(٤) الرعثات : مفردها رعثة ، والبيت من المتقارب دخله الخزم .
(٥) تختفق : تتحرك وتضطرب ، وفى س ، ب : « يختنق » ولا معنى له .
(٦) كذا فى هج ، وفى ب : « شر خلق » .

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها .

يشبه حاتما في شعره

أخبرني اليزيديّ ، عن محمد بن حبيب ، قال :

كان أبو عمرو يُشبِّهُ شِعْرَ النمر بشِعرِ حاتم الطائيّ .

أخبرني الحُسين بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا مُصعَبُ بن عبد الله الزبيري قال :

أفتى الشعراء

بلغني أن صالحَ بنَ حسان قال يوما لجلسائه : أيُّ الشعراء أفتى ؟ قالوا : عمر بن أبي ربيعه ، وقالوا : جميل ، وأكثروا القول ، فقال : أفتاهم النمر بن تولب حين يقول :

أهيمُ بدَعد ما حييتُ وإن أمُتْ ... فواحزنَا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعدى(1)

أخبرني الحسن قال : حدثنا أحمد بن زُهير ، عن محمد بن سلام قال :

جمرة توصيه بولده منها

حج النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بمِنًى ، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه ، فعرفته ، فبعثت إليه بالسلام ، وسألته عن خبره ، ووصَّتْه خيراً بولده منها فقال :

فحُيِّيتِ عن شَحطٍ بخيرٍ حَدِيثُنا ... ولا يأمنُ الأيامَ إلا المُغَفَّلُ

يودُّ الفتى طولَ السلامة والغِنى(2) ... فكيف يرى طولَ السَّلامةِ يفعلُ

أخبرني ابنُ المرزُبان قال : حدثنا أبو محمد اليزيديّ ، عن الأصمعيّ . وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال :

لما وفد النمر بن تولب على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده :

(1) من العجيب أن يعد هذا البيت دليل الفتوة ، وتذكر كتب الأدب أن سكينة بنت الحسين انتقدته ؛ لأنه يجافى الغيرة ، واقترحت إصلاحه على النحو التالى :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

(2) رواها الكامل : «البقا» مقصورة ، وفى رغبة الآمل : «يود الفتى طول السلامة جاهدا» .

شعره بين يدى الرسول

يا قوم إنى رجل عندى خَبرْ ... لله من آياته هذا القَمَرْ
والشمسُ والشِّعرى[(1)] وآياتٌ أُخَرْ ... من يَعْدُ ما بالهدى فالحقُّ شَمَرْ
إنا أتيناك وقد طال السفَرْ ... نَقودُ خَيلا رُجُعا[(2)] فيها ضَرَرْ
* نُطعِمُها اللحمَ إذا عزَّ الشَّجَر *

قال اليزيدىّ ، عن ابن حبيب خاصة ، قال الأصمعىّ : أطعمها اللحم : أسقيها اللبن ، والعرب تقول : اللبن أحد اللحمين . وقال ابن حبيب : قال ابن الأعرابى : كانت العرب إذا لم تجد العَلَف دقت اللحمَ اليابسَ ، فأطعمته الخيل :

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرانىّ قال : حدثنا الثَّورىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عياش . وأخبرنا ابنُ المرزُبن قال : أخبرنى عيسى بنُ يونس قال :
160 حدثنى محمد بن الفضل قال : حدثنا الهيثمُ بن عدىّ ، عن ابن عبَّاس قال :
19

ذ او بدعد عن جمرة

لما فارق النمر بن تولب امرأتَه الأسدية جزع عليها ، حتى خيف على عَقله ومكث أياماً لايَطعمُ ، ولا ينام ، فلما رأت عشيرتُه منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونَه ، ويُعيِّرونه ، وقالوا : إن فى نساء العرب مندوحةً ومتَّسعا ، وذكروا له امرأة من فَخذه الأَدنينْ يقال لها دَعْد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه ، وشغلته عن ذكر جَمْرةَ وفيها يقول :

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمُتْ ... أُوَكِّلْ بدَعْدٍ من يَهيمُ بها بَعدِى

والناسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب ، وهو خطأ .

أخبرنى اليزيدىّ عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه . وأخبرنى

(1) الشعرى : نجم فى السماء وهما شعريان : الكبير والغميصاء ، ويعدونهما أختى سهيل .
(2) كلزلة : مهزولة جمع رجيع .

إبرهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال:

أظرف الناس النمر بن تولب حين يقول:

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمت ... أوكِّلْ بدعد مَنْ يهيم بها بعدي

يرثى جمرة

أخبرني ابن المرزُبان قال: أخبرني عبد الله بن محمد قال: أخبرني محمدُ بنُ سلاّم قال:

لما بلغ النَّمرَ بنَ تولَب أن امرأته جمرة تُوفِّيت، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزام أو حَرام، فقال:

ألم تر أنَّ جمرةَ جاء منها ... بيانُ الحقِّ إنْ صدقَ الكلامُ

نَعاها بالندىِّ[1] لنا حزامٌ ... حَديث ما تحدَّثُ يا حَرامُ

فلا تبعَدوقد بعِدَتْ وأجرى[2] ... على جَدثٍ تهزَّمُها الغَمامُ

— قال الأصمعي: يقال بَعِد وأبْعَد —

أخبرني أبو الحَسَن الأسديّ قال: حدثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ، عن أبي عمرو، وأخبرني به هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال: حدثنا أبو غسّان دَماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو قال:

يهذي في كبره

أدركَ النَّمرُ بن تولب النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه، وعُمِّر، فطال عمره، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وَهَّابا لماله، فلما كبر

(١) كذا في م، أ، وفي س، ب: «النداء».

(٢) كذا بالأصول، ولعلها محرفة عن أمرى من مريت الناقة فأمرت أى: در لبنها.

خَرِف وأُهتِر(1)، فكان هِجِّيراه(2) : اصبَحوا الرَّاكب ، اغبِقوا(3) الرَّاكب ، اقرُوا ، انحروا للأضياف ، أعطوا السائل ، تحملوا لهذا فى حمالته كذا وكذا — لعادته بذلك — فلم يزل يَهذِى بهذا وشبهِهِ مدة خَرَفه حتى ماتَ .

موازنة بين خرف وخرف

قال : وخَرِفَتْ إمرأةٌ مِنْ حَيّ كرام عظيم خطرُهم وخطرُها فيهم ، فكان هِجِّيراها : زَوِّجونى ، قولوا لزوْجى يدخل ، ادنوا لى إلى جانبِ زوجى ، فقال عمرُ بن الخطاب ، وقد بلغه خبرُها : ما اهتجّ به أخوكم النمر بن تولب فى خرَفه أفخرُ وأسْرَى ، وأجملُ مما لَهِجتْ به صاحبتُكم . ثم ترحَّم عليه .

أخبرنى ابن المرزُبان قال : حدثنى أبو بكر العامرىُّ ، قال : حدثنى على بنُ المغيرة الأثرم ، عن أبى عبيدة قال :

مات الحارث بن تولَب ، فرثاه النمر فقال :

يرثى أخاه

لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصَيِّفٍ(4) يجودُ على حِسْنِ(5) الغميم(6) فيثرب
فوالله ما أسقى البلادَ لحُبِّها ولكنما أسقيكَ حارِ بن تولَب
تضمَّنتَ أدوَاء العشيرة بينهَا وأنت على أعواد نَعْش مُقَلَّب
كأن امرأً فى الناس كنتَ ابنَ أمه على فَلَجٍ(7) من بطن دجلة مطنب(8)

(1) أهتر : فقد عقله من الكبر .

(2) هجيراه : ديدنه وعادته .

(3) كذا فى م ، وفى س ، ب : «أعقبوا الركب» تحريف ، والصبوح : الشرب صباحا ، والغبوق : الشرب مساء .

(4) صيف : مطر يجىء فى الصيف أو بعد الربيع .

(5) كذا فى ف ومعناه محبس الماء ، وفى س ، ب : «حبس» .

(6) الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

(7) فلج : نهر صغير .

(8) بعيد فى ذهابه : يريد من كنت أخاه ، فإنما هو على بحر من البحور من الخصب والسعة (مادة طنب فى اللسان) .

قال حمّاد الراوية: كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيتِ السائر والبيتِ المتمثَّل به، فمن ذلك قوله:

لا تغضبنَّ على امرىء في ماله ... وعلى كرائم صُلْب مالكَ فاغضبِ — يمثل بأبياته ١٦١ ١٩
وإذا(١) تصبك خصاصة فارجُ الغنَى ... وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ

وقوله:

تلبَّسْ لدهركَ أثوابَه ... فإن يبتني النّاسُ ما هدَّما
وأحببْ حبيبَك حبًّا رويدا ... فليس يعولُك أن تصرِما(٢)
وَأبغِضْ بغيضَك بُغضًا رويداً ... إذا أنت حاولتَ أن تحكما

وقوله:

أعاذلُ أن يصبحْ صداي بقفرةٍ ... بعيدًا فأنّي ناصري وقريبي
ترَىْ أن ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه ... وأن الذي أفنيتُ كان نصيبي

نسختُ من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال: محمدُ بن حبيب:

كان للنمر بن تولب صديق فأتاه النمرُ في ناس من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها، فلمّا رآهم، وسألوه تبسَّم، فقال النمر: — يعنى صديقه من الدية ويتحملها

تبسم ضاحكا لما رآني ... وأصحابي لدىَّ عن التمام(٣)

فقال له الرجل: إن لي نفسًا تأمرني أن أعطيكم، ونفسا تأمرني ألا أفعل، فقال النمر:

(١) رواية الشعر والشعراء: «ومتى». وإذا صحت رواية إذا فهي شاهد للجزم بإذا.

(٢) كذا في مختار الأغاني. ومعناه يشق عليك. وفي س، ب: «يهولك»، وفي شواهد المغني للسيوطي: فقد لا يعولك.

(٣) تكملة من هد، هج.

أما خليلي فإني غيرُ معجِله ... حتى يؤامرَ نفسيْه كما زَعَما

نفسٌ له من نفوسِ الناس صالحةٌ ... تعطي الجزيلَ ونفس ترضع الغَنَما

ثم قال النمرُ لأصحابه: لا تسألوا أحداً، فالديةُ كلُّها عليّ .

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبد الله بن حسن بن عليّ قال:

قصة سيف كالذي وهبه النمر

جاء أعرابي إلى أبي، وهو مستتر بسُوَيقة (١) قبل مخرجه، ومعه سيف، قد علاه الصدأ، فقال: يابن رسول الله، إني كنت ببطن قُدَيد (٢)، أرعى إبلي وفيها فحل قَطِم (٣)، قد كنتُ ضربتُه، فحقد عليّ وأنا لا أدري، فخلا بي فشدّ عليّ يريدُني، وأنا أُحْضِر، ودنا مني حتى أن لعابَه ليسقطُ على رأسي لقربه مني. فأنا أشتدّ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أذبّه عني به، إذ وقعتْ عيني عَلَى هذا السيف، قد فَحَصَ عنه السيل، فظننته عوداً بالياً، فضربتُ بيدي إليه، فأخذته فإذا سيف، فذببتُ به البعير عني ذبًّا، والله ما أردتُ به الذي بلغتُ منه، فأصبتُ خيشومَه فرميتُ بفقْمه (٤)، فعلمتُ أنه سيف جيد، وظننتُه من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُديد (٥)، وها هوذا قد أهديتُه لك يابن رسولِ الله. قال: فأخذه منه أبي، وسُرّ به. وجالس الأعرابيّ يُحادثه، فبينا هو كذلك

(١) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب .

(٢) قديد: موضع قرب مكة .

(٣) القطم: المرعول .

(٤) الفقم: اللحى وطرف الخطم .

(٥) وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة .

إذ أقبلت غنمٌ لأبى ثلاثمائة شاة فيها رِعاؤها ، فقال له : أبى : يا أعرابىُّ هذه الغنم والرُّعاة لك ، مكافأةً لك عن هذا السيف ، قال : ثم أرسل به إلى المدينة ، أو أرسل إلى قين(١) فأُتِىَ به من المدينة ، فأمر به فحُلِّىَ ، فخرجَ أكرَم سيوف الناس ، فأمر فاتُّخِذ له جَفن ، ودفعه إلى أختى فاطمة بنت محمد . فلمّا كان اليوم الذى قُتِل فيه ، قاتل بغير ذلك السيف ، قال : وبقىَ ذلك السيف عند أختى فاطمة بنت محمد . فزرتُها يوماً وهى بينبُع فى جماعة من أهل بيتى ، وكانت عند ابن عمها الحسن ابن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلامُ ، فخرجتْ إلينا ، وكانت بَرْزَة(٢) تجلس لأهلها كما يجلس الرجال ، وتحدِّثهم ، فجلست تحدثنا ، وأمرت مولًى لها ، فنحرَ لنا جزوراً(٣) ليهيئ لنا طعاماً .

فنظرت إليها ، والجَزورُ فى النخل باركة ، وقد بردت وهى تُسلَخُ ، فقالت :
١٦٢ / ١٩ إنى لا أرى فى هذه الجزور ، مضرباً حسناً . ثم دعت بالسيف ، وقالت : ياحسنُ — فدتك أختُك — هذا سيف أبيك ، فخذه واجمع يديك فى قائمه ، ثم اضرب به أثناءها(٤) من خلفها — تريدُ عراقيبها — وقد أثبتُّها للبُروك ، وهى أربعة أعظم ، قال : فأخذتُ السيفَ ، ثم مضيتُ نحوها ، فضربتُ عراقيبَها فقطعتُها — والله — أربعتَها ، وسبقنى السيف ، فدخل فى الأرض ، فأشفقتُ عليه أن ينكسرَ إن اجتذبتهُ ففزتُ عنهُ ، حتى استخرجتهُ ، قال : فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب :

(١) القين : الحداد والصيقل .

(٢) برزة : متجاهرة جايلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهى عفيفة .

(٣) جزور : بعير او ناقة تجزر ، والجمع جزر والجزائر .

(٤) أثناءها : جمع ثنى بمعنى مثنى (ثنيات) .

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نَمِرٍ ... أسبادَ(١) سيفٍ قديمٍ أثرُه بادى
تظلّ تحفر عنه الأرضَ مُندفعاً ... بعد الذراعين والقيدين والهادِى(٢)

ويروى:

* تظلُّ تحفر عنه إن ظفرتَ به *

يشكو الشيخوخة

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبّة قال: أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ، عن أبي عُبيدة قال:

قيل للنمر بن تولب: كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فأنشأ يقول:

أصبحتُ لا يحملُ بعضي بعضا ... أشكو العروقَ الآبِضات(٣) أبضا
كما تَشكّى الأرحبيُّ(٤) الغَرْضا ... كأنما كان شبابي قرضا

من توسلاته

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: أنشدني حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدّه:

أعِذْني ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ... ومن نَفْسٍ أعالجُها علاجا
ومن حاجات نفسٍ فاعصِمَنّي ... فإن لمضمرات النفس حاجا
فأنت وليُّها وبرئتُ منها ... إليك فما قضيتَ فلا خِلاجا(٥)

عود إلى فتوته

ثم قال: كان النمر أفتى خلق الله، فقلت: وما كانت فتوّته؟ قال: أو ليس فتًى من يقول:

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمتْ ... فواحزَنًا من ذا يهيم بها بعدى؟

(١) أسباد: مفرده سبد، ومعناها بقية.
(٢) الهادي: العنق وجمعه هواد.
(٣) الآبضات: الشادّات.
(٤) الأرحبي: كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب، وأرحب أيضا مخلاف باليمن منسوب إلى أرحب، وهو مرة بن دعام بن مالك، والغرض: حزام الرحل جمعه غروض وأغراض، وفي س، ب: «الأرجى القرضا» تحريف.
(٥) خلاجا: نزاعا وشكا.

صوت

أيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا ... برابيةٍ إني مقيمٌ لياليا
وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجَعي ... وردُّا على عَيْنيَّ فضلَ رِدائيا
ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما ... من الأرض ذاتِ العَرض أن توسعاليا
لعمري لئن غالتْ خراسانَ هامتي[1] ... لقد كنتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائيا
فيا ليتَ شعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بجنب الغضا أُزْجي القِلاصَ النواجيا[2]

الشعر لمالك بن الريب، والغناء لعبد الله لا يُشكّ فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوُسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ، وفيه لإبراهيم رَمَل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأول والثالث من الأبياتِ، ولإبراهيم ثقيل أول في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ، وقيل: إن الرَّمَل المنسوب إليه لابنه.

(١) هامتي: رأسي، جمعه هام.
(٢) النواجي: جمع ناجية بمعنى سريعة، ويقال أيضا: ناقة نجيبة.

١٦٣
١٩

أخبار مالك بن الريب ونسبه

اسمه ونسبه

هو مالك بن الريب بن حوط بن قُرط[١] بن حِسل بن ربيعة بن كابية بن حُرقوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

لص قاطع طريق

وكان شاعرًا فاتكًا لصًّا ، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شُعراء الإسلام في أول أيام بني أُمية .

أخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : أخبرنا أبو سعيد السكَّريّ عن محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابي وعن هشام ابن الكلبي وعن المفضل بن محمد وإسحاق بن الجصّاص وحمّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحوًا مما حكاه الآخرون قالوا :

الوالي يريد استصلاحه

استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفان عَلَى خراسان ، فمضى[٢] سعيد بجنده في طريق فارس ، فلقيَه بها مالك بن الريب المازني ، وكان من أجمل الناس وجهًا ، وأحسنهم ثيابًا فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له : مالكَ ، ويحكَ تُفسد نفسَك بقطع الطريق! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعوني إليه العَجْز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيتُك ، واستصحبتك ، أتكفُّ عما كنتَ تفعل ؟ قال : إي والله أيها الأمير ، أكفُّ كفًّا لم يكفَّ أحدٌ أحسنَ منه ، قال : فاستصحبه ، وأجرى له خمسمائة دِرهم في كل شهر .

قالوا :

داود بن الحكم يتعقبه وأصحابه

وكان السبب الذي من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان

(١) في س ، ب : «فرط» بالفاء تحريف .

(٢) في هد ، هج : «فسر» بدل «فمضى» .

يقطع الطريق هو وأصحابٌ له، منهم شِظاظ — وهو مولى لبنى تميم، وكان أخبثهم — وأبو حرْدَبَة، أحد بنى أثالة بن مازن، وَغويث، أحد بنى كعب بن مالك بن حنظلة، وفيهم يقول الراجز :

اللهُ نجاكَ من القصيم[(١)] وَبطنِ فَلْج وبنى تميم
ومن أبى حردبة الأثيم ومالكٍ وسيفه المسموم
وَمن شِظاظ الأحمرِ الزّنيم[(٢)] وَمن غويث فاتح العُكوم[(٣)]

فساموا[(٤)] الناسَ شرًّا، وطلبهم مروانُ بن الحكم، وهو عامل على المدينة، فهربوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحىّ، وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة يطلبهم، فهربوا منه .

وبلغ مالكَ بنَ الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال :

يتوعد من يتوعده

تألّى حلفةً فى غير جُرْمٍ أميرى حارث شِبْهُ الصّرار[(٥)]
علىّ لأجلدَنْ فى غيرِ جُرْم ولا أُدنى فينفعنى اعتذارِى
وقلتُ وقد ضممتُ إلىّ جأشِى تحلّلْ لا تألَّ علىّ جارِى
فإنى سوف يكفينيكَ عَزمى ونصُّ[(٦)] العيسَ بالبلد القفارِ

(١) القصيم : موضع يشقه طريق بطن فلج
(٢) الزنيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه .
(٣) العكوم : جمع عكم وهو الحمل (الربطة) .
(٤) فى هد ، هج : « فأشعروا الناس » بدل « فساموا الناس » .
(٥) الصرار : ما يشد فوق أخلاف الناقة من خرق
(٦) نص العيس : إجهادى النوق على السير الشديد .

وعنسٍ(١) ذات معجمةٍ(٢) أمونٍ(٣) علنداةٍ(٤) موثَّقةِ الفَقارِ
تَزيفُ(٥) إذا تواهقتِ(٦) المطايا كما زاف المشرَّفُ للخِطارِ(٧)
وإن ضربتْ بلَحييها وعامت تقصَّمَ(٨) عنهما حلَقُ الصِّفارِ(٩)
مِراحاً غير مانعةٍ ولكنْ لَجاجاً حين تشتبهُ الصحارى
إذا ما استقبلتْ جَوْناً بَهيماً تفرَّجَ عن مخيَّسةٍ(١٠) حِضارِ(١١) ١٦٤
إذا ما حال روض رُباب(١٢) دونى وتثليثٌ(١٣) فشأنُك بالبكارِ ١٩
وأنيابٌ يُخافُهنّ [illegible] وشدّاتُ الكمىِّ عَلَى التِّجار(١٤)
فإن أهلِكْ أرحْ منه أناسى بضربة فاتك غيرِ اعتذارِ
وإن يُغلَبْ فإنى سوف أبغى بنيَّ بالمدينة أو صِرارِ(١٥)

(١) عنس : ناقة صلبة قوية .
(٢) ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير .
(٣) أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال .
(٤) علنداة : ضخمة شديدة طويلة .
(٥) تزيف : تسرع فى تمايل .
(٦) تواهقت : تبارت وتسابقت .
(٧) المعين للسباق ؛ وفى هد هج : «المسدد» بدل «المشرف» .
(٨) تقصم : تكسر من غير انفصال .
(٩) الصفار : حديدة أو جلده توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .
(١٠) مخيسة : مذللة منقادة .
(١١) حضار : جمعت قوة وجودة سير .
(١٢) رباب : أرض بين ديار بنى عامر وبلحارث بن كعب .
(١٣) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .
(١٤) كذا فى م ، ا ، ب ، وأنياب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، وتجمع أيضا على نيب وفى الشعر والشعراء : و«كرات الكمى» بدل و« شدات الكمى» .
(١٥) صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .

ألا من مبلغٌ مروانَ عنى فإنى ليسَ دهرى بالفِرارِ
ولا جزِعٍ من الحدَثانِ يومًا ولكنى أرود لكم وبارِ

— وبار : أرض لم يطأ أحد ثراها —

بهزمار(١) ترادُ العِيسُ فيهَا إذا أشفقنَ من قَلَق الصِّفارِ(٢)
وهنّ يحشْن(٣) بالأعناق حَوْشا كأن عظامهنّ قِداحُ بارِ
كأنّ الرحْل أسأرَ من قَراها(٤) هلالَ عشيةٍ بعد السِّرار(٥)
رأيتُ وقد أتى نجْرانُ دُونى(٦) لليلى بالغُمَيِّم ضوء نارِ(٧)
إذا ما قلتُ : قد خمدَتْ زَهاها عُصىُّ الرند(٨) والعُصُفُ السوارى(٩)
يُشَبُّ وقودها ويلوحُ وَهْنًا كمالاح الشَّبوب(١٠) من الصِّوار(١١)
كأن النَّارَ إذْ شُبَّتْ لليلى أضاءتْ جيدَ مُغزلة(١٢) نوارِ(١٣)

(١) ليس فيما بين أيدينا من المعاجم اسم بلفظ هزمار أو هرماز ولعلها محرفة عن هرماس وهو موضع بالمعرة أو نهر بنصيبين
(٢) فى جميع النسخ بالفاء ، وهى حبة تسمى بالبرلوع تمضغها عند الجوع فى زعم العرب ولعلها الصفار
(٣) يحشن : يرمين
(٤) أسأر : أبقى . والقرا : الظهر
(٥) السرار : آخر الشهر وفى الكلام كناية عن التقوس والنحافة .
(٦) فى س وب : « نجدا ودونى » ، وهو تحريف .
(٧) كذا فى معجم البلدان بالغين والتصغير وهو ماء لبنى سعد وفى س ، ب : الغميم
(٨) الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل فى البخور
(٩) العصف : جمع عصوف وهى الريح الشديدة وفى ب : « [illegible] » وهو تحريف
(١٠) الشبوب : الشاب من البقر
(١١) الصوار ، كغراب وكتاب : القطيع من البقر
(١٢) مغزلة : ذات غزال
(١٣) نوار : نفور

وتصطادُ القلوبَ على مطاها (١) ... بلا جَعْدِ القرونِ ولا قِصارِ (٢)
وتبسم عن (٣) نقيِّ اللونِ عذبٍ ... كما شِيفَ (٤) الأقاحي بالقِطارِ
أتجزعُ أن عرفتَ ببطن قَوٍّ (٥) ... وصحراء الأُدَيهم رسمَ دارِ
وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم ... مرابعَ (٦) بين دخلَ إلى سَرارِ (٧)
إذا حلُّوا بعائجةٍ خلاءٍ ... يُقَطِّفُ نَوْرَ حَنْوَتِها العذارى (٨)

يقتل حارسه ويخلص صديقه

فبعث إليه الحارث رجلا من الأنصار فأخذه ، وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له، فجعل يسوق مالكاً. فتناولَ مالكٌ غلام الأنصاري ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدَّ على الأنصاريّ ، فضربه بالسيف ، حتّى قتله ، وجعل يقتل من كان معه يميناً وشمالاً .

ثم لحق بأبي حردبة ، فتخلّصه (٩) ، وركبا إبلَ الأنصاري ، وخرجا فراراً من ذلك هاربين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمعَ إليهما أصحابُهما ، ثم قدموا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ، فلم يزل بفارس، حتى قدِم عليه سفيان بن عثمان ، فاستصحبه .

(١) كذا في الأصول ولعلها محرفة عن صفاها بمعنى قسوتها
(٢) القرون الجعدة : القصيرة ، والقرون : الغدائر ؛ قصار : اسم من قصر، يريد بشعر: لا متجعد ولا مكفوف
(٣) في ب ، س : على ، وهو تحريف ينكسر به الوزن
(٤) شيف : جلي ، ومنه درهم مشوف مجلو
(٥) بطن قو : واد بين البصرة والمدينة وفي س ، ب : قر
(٦) مرابع : موضع قريب من حزن بني يربوع
(٧) سرار : واد
(٨) الحنوة : نبت طيب الريح
(٩) في س : فخلصه

فقال مالك فى مهربه(١) ذلك :

شعره فى مهربه

أحقًّا على السلطان أمّا الذى لَهُ ... فيُعطَى وأما ما يرادُ فيُمنَعُ
إذا ما جعلتُ الرملَ بينى وبينَه ... وأعرضَ سَهْبٌ بين يبرين بلقَعُ(٢)
من الأُدَمى(٣) لا يستجمُّ بها القَطَا ... تكلُّ الرياحُ دونَه فتقطَّعُ
فشأنكم يا آلَ مروانَ فاطلبُوا ... سِقاطى(٤) فما فيه لباغيه مَطمَعُ
وَما أنا كالعَير المقيم لأهله ... على القيد فى بُحبوحة الضَّيم يرتعُ
١٦٥ ولولا رسولُ اللهِ أن كان منكمُ ... تبيَّن من بالنِّصف يَرضى ويقنعُ
١٩

وقال أيضًا :

لو كنتم تنكرون الغُدر(٥) قلت لكم ... يا آل مروانَ جارى منكم الحكمُ
وَأنتمُ كم يمينُ الله ضاحيةً ... عند الشهود وَقد توفِى به الذممُ
لا كنتُ أحدثتُ سوءًا فى إمارتكم ... وَلا الذى فات منى قبل ينتقمُ
نحنُ الذين إذا خفتمُ مجلِّلةً(٦) ... قلتم لنا : إننا منكم انتصروُا
حتّى إذا انفرجت عنكم دجُنَّتُها ... صرتم كجَرمٍ فلا إلٌّ(٧) وَلا رَحِم

(١) س : « مالك بن مهروبه » ، تحريف .
(٢) يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الأحساء .
(٣) الأدمى : موضع ببلاد سعد .
(٤) سقاطى : عثارى وسقوطى .
(٥) فى س ، ب : « الغدر » .
(٦) مجللة : نازلة عامة .
(٧) إل : ذمة وعهد .

وقال مالكٌ حين قتل غلام الأنصاريّ الذي كان يقودُه :

غلامٌ يقولُ السيفُ يُثقل عاتِقي ... إذا قادني وَسْطَ الرجالِ المجَنْدِلِ(١)

فلولا ذُبابُ السيفِ ظلّ يقودُني ... بنِسْعَتِه(٢) شثْنُ(٣) البنانِ حَزنْبلُ(٤)

أراد اغتيال مالك فاغتاله مالك وقال في ذلك شعراً

قالوا : وبينا مالكُ بن الريب ذاتَ ليلة في بعض هَناته وهو نائم — وكان لا ينام إلا متوشِّحًا بالسيف — إذ هو بشيء قد جَثَم عليه لا يدري ما هو ، فانتفضَ به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك :

أدلجتُ في مَهْمَهٍ ما إن أرى أحدًا ... حتى إذا حان تعريسٌ لمن نَزلا

وضعتُ جنبي وقلتُ : الله يكلؤني ... مهما تنم عنك من عينٍ(٥) فما غفَلا

والسيفُ بيني وبين الثوب مُشْعِرُه(٦) ... أخشى الحوادث إني لم أكن وَكِلا

ما نمتُ إلا قليلا نمتُه شئِزًا(٧) ... حتى وجدتُ على جُثمانيَ الثِّقلا

داهيةً من دواهي الليل بيّتني ... مُجاهدًا(٨) يبتغي نفسي وما ختَلا

أهويتُ نفحًا(٩) له والليلُ ساترُه ... إلا توخّيَه والجرس فانخزَلا(١٠)

(١) جدل فلانا : صرعه .

(٢) النسعة : قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال .

(٣) شثن : غليظا .

(٤) حزنبل : قصير وثيق الخلق .

(٥) في هد ، هج : « من ليل » .

(٦) جاعله شعاري أو مشتملا بي ، وفي هج : « الأرض » بدل « الثوب » .

(٧) شئزا : قلقا .

(٨) في هد ، هج : « مجاهرا » ، وفي هج « قفلا » بدل « ختلا » .

(٩) نفحا : ضربا .

(١٠) انخزل : انقطع .

لما ثنى الله عنى شرّ عدوته ... رقدت لا مثبتا ذعرا ولا بعلا(1)

أما ترى الدار قفرا لا أنيس بها ... إلا الوحوش وأمسى أهلها احتملا

بين المنيفة(2) حيث استنّ(3) مدفعها(4) ... وبين فردة(5) من وحشيها قبلا(6)

وقد تقول وما تخفى لجارتها ... إنى أرى مالك بن الريب قد نحلا

من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها ... تراه مما كسته شاحبا وجلا

خذها فإنى لضرّاب إذا اختلفت ... أيدى الرجال بضرب يختل البطلا(7)

وقال مالك فى ذلك أيضا :

يا عاملا(8) تحت الظلام مطيّة ... متخايلا لابل وغير مخاتل(9)

أنّى أنخت لشابك(10) أنيابه ... متأنس بدجى الظلام منازل

لا يبتريع عظيمة يرمى بها ... حصبا(11) يحفز(12) عن عظام الكاهل

حربا(13) تضربه(14) بذى هواجر ... عارى الأشاجع(15) كالحسام الناحل

(١) بعلا : دهشا فرقا ، وفى هج « وجلا ».

(٢) المنيفة : ماء لتميم على فلج بين نجد واليمامة .

(٣) استن : وضح .

(٤) مدفعها : مسيلها ومجراها .

(٥) فردة : جبل فى ديار طيئ .

(٦) قبلا : عيانا .

(٧) أى ينزع أعلى البيضة .

(٨) فى س ، ب : « غاسلا » .

(٩) صريح لا يخادع ولا يرائى .

(١٠) الأسد المشتبك الأنياب ، وهذا كناية عن القوة ، ويعنى مالكا نفسه .

(١١) حصبا : رميا .

(١٢) يحفز : يدفع من خلف .

(١٣) حربا : شديد الغضب .

(١٤) كذا فى النسخ ، ولعل تضربه محرفة عن تنضبه بمعنى : جاءه من أقاصى الأمور الغائبة ، أى يطلب منها .

(١٥) الأشاجع : رءوس الأصابع ، جمع اشجع .

١٦٦ لم يدر ما غُرفُ القُصور وفيؤهـا … طاوٍ بمنزل … وداه التماثل

١٩ يقظ[١] الفؤادِ إذا القلوب تآنست … جزعا[٢] ونُبَّهَ كلُّ أروع باسلِ

… الدُّجى مُتطاً … لغة وله … كالذئب فى غَلَس الظلام الماثلِ

فوجدته ثَبْتَ الجنان مُشيَّعاً[٣] … ركّابَ مَنْهج كلِّ أمر هائلِ

فتراك أبيض كالعقيقة[٤] صارماً … ذا رَونق يعنى[٥] الضريبة فاصلِ

فركبتَ رَدعك[٦] بين ثِنْى فائز[٧] … يعلو به أثر الدماء وشائلِ

رجل حرب لا سائس إبل

قال : وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان ، حتى إذا كانوا فى بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجدوه ، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غِلمان سعيد : أَدْنِ منى فلانة — لناقة كانت لسعيد عزيزة — فأدناها منه ، فمسحها وَأبسَّ[٨] بها حتى درَّت، ثم حَلبَها ، فإذا أحسن حالب حالبه الناس وأغزره دِرَّة ، فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلى ، فتكونَ فيها، وأُجزلَ لك الرزقَ إلى ما أرزقُك ، وأضع عنك الغَزْو ؟ فقال مالك فى ذلك :

أنى لأستحيى الفوارسَ أن أُرى … بأرض العدا بوَّ المخاضِ الروائم[٩]

(١) فى س ، ب : « يعظ »
(٢) فى س ، ب : « جزعا ووثبة » تحريف .
(٣) مشيعا : شجاعا
(٤) العقيقة : البرقة المستطيلة فى عرض السحاب يكثر استعارتها للسيف
(٥) يعنى : يقصد ويصيب وفى مهذب الأغانى : « يغشى »
(٦) الردع فى الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه
(٧) المراد به السيف وثنيه انثناءه وربما كان المراد بين دم « فائر » وآخر سائل ، ويكون قوله « فائز » تصحيف فائر بدليل قوله يعلو به أثر الدماء ، فهذا لايكون إلا فى الفوارن
(٨) أبس : مسح ضرعها
(٩) الروائم : جمع رائم أو رائمة : عطوف على ولدها .

وإنى لأستحيى إذا الحربُ شمّرتْ ... أن ارْخِىَ(١) دون الحرب ثوبَ المُسالم
وما أنا بالنائى الحفيظة فى الوغى ... ولا المتقى(٢) فى السلم جرَّ الجرائم
ولا المتأنى فى العواقب للذى ... أهمُّ به من فاتكات العزائم
ولكننى مستوحِدُ العزم مِقدامٌ ... على غمرات الحادث المتفاقم(٣)
قليلُ اختلاف الرأى فى الحرب باسلٌ ... جميعُ الفؤاد عند حلِّ العظائم

فلما سمع ذلك منه سعيدُ بنُ عثمان، علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

مالك والذئب

قالوا: وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم فى بعض مفازاته إذ بيَّته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد، فلم يبرح، فوثب إليه بالسيف، فضربه، فقتله، وقال مالك فى ذلك:

أذئبَ الغضا قد صرتَ للناس ضُحكة ... تُغادى بك الركبانُ شرقا إلى غرب
فأنت وإن كنتَ الجرىء جنانُه ... مُنيتَ بضرغام من الأُسْد الغُلْب
بمن لاينامُ الليلَ إلا وسيفُه ... رهينةُ أقوام سراعٍ إلى الشَّغْب
ألم ترنى ياذئبُ إذا جئتَ طارقا ... تخاتلُنى أنى أمرؤ وافرُ اللُّبِّ
زجرتكَ مراتٍ فلما غلبتَنى ... ولم تنزجرْ نهنهتُ(٤) غربَك بالضرب
فصرتَ لَقًى لمّا علاكَ ابنُ حرّة ... بأبيضَ قطّاعٍ يُنجّى من الكَرْب
ألا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنتَ شاهداً ... لهالكَ ذِكرى عند معمعة(٥) الحرب

(١) فى س، ب «أرفض» وهو تحريف
(٢) فى س، ب: «الملق»
(٣) فى هج: «على الحادث المتعاظم المتفاهم»
(٤) نهنهت: كففت.
(٥) ب، س: «معمة» وهو تحريف

ولستَ ترى إلا كريماً مجدّلا ... يداه جميعاً تثبتانِ من التُّربِ(١)

وآخر يهوى طائرَ القلبِ هاربا ... وكنتُ امرأً فى الهيْج مجتمعَ القلبِ

أصولُ بذى الزِّرّين(٢) أمشى عِرضْنةً(٣) ... إلى الموت والأقرانُ كالإبلِ الجُربِ

١٦٧

أرى الموتَ لا أنحاشُ عنه تكرّما ... ولو شئتُ لم أركبْ على المركبِ الصعبِ ١٩

ولكن أبتْ نفسى وكانتْ أبيّةً ... تقاعَسُ أو ينصاعَ قومٌ من الرعبِ

تعلق به ابنته عند الفرزدق فقال فى ذلك شعراً

قال أبو عبيدة : لما خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بثوبه، وبكت، وقالت له : أخشى أن يطولَ سفرُكَ أو يحول الموتُ بيننا فلا نلتقى، فبكى وأنشأ يقول :

ولقد قلتُ لابنتى وهى تبكى ... بدخيلِ الهُموم قلباً كئيبا

وهى تُذرى من الدموع على الخدّيـ ... ـن من لوعة الفراقِ غُرُوبا

عَبَرات يكدن يجرحْن ماجُزْ ... ن به أو يدعْنَ فيه نُدوبا

حذرَ الحتفِ أن يصيبَ أباها ... ويلاقى فى غير أهلٍ شَعوبا(٤)

اسكُتى قد حززتِ بالدمع قلبى ... طالما حزَّ دمعكُنَّ القلوبا

فعسى اللهُ أن يدفعَ عنّى ... ريبَ ماتحذرين حتى أءوبا

ليس شىءٌ(٥) يشاؤه ذُو المعالى ... بعزيزٍ عليه فادْعى المُجيبا

ودَعى أن تُقَطِّعى الآن قلبى ... أو تُريبنى فى رحلتى تعذيبا

(١) فى هج : « تنتزيان » بدل « تثبتان »
(٢) الزرين : الحدين
(٣) عرضنة ، أى أمشى بقوة .
(٤) شعوب : علم على المنية وقد يعرف بأل
(٥) فى س ، ب : « شيئا » .

أنا في قبضةِ الإله إذا كنـ ـتُ بعيداً أو كنتُ منه قريبا
كم رأينا امرأً أتى من بعيدٍ ومقيما على الفراشِ أصيبا
فدعيني من انتحابكِ إني لا أبالي إذا اعتزمتُ النحيبا
حسبيَ الله ثم قرّبتُ للسيـ ـرِ علاةً(1) أنجِبْ بها مَركُوبا

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال:

يتشرد من أجل ضرطة

كان سببُ خروج مالك بن الريب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان، هَرباً من ضرطةٍ، فسألته كيف كان ذلك؟ قال: مرّ مالك بليلى الأخيلية، فجلس إليها يحادثها طويلا، وأنشدها. فأقبلت عليه، وأعجبتْ به حتى طمع في وصالها، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها، كأنه نصلُ سيفٍ، فجلس إليها، فأعرضتْ عن مالك، وتهاونتْ به، حتى كأنه عندها عُصفور، وأقبلتْ على صاحبها مليًّا من نَهارها، فغاظهُ ذلكَ من فعلها، وأقبل على الرجل، فقال: من أنتَ؟ فقال: توبةُ بن الحُمَيّر، فقال: هل لك في المصارعةَ؟ قال: وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا؟ قال: لابدّ منه، فظنّ أن ذلك لخوفهِ منه، فازداد لجَاجًا، فقام توبةُ فصارعه، فلما سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة، فضحكتْ ليلَى منه. واستحيا مالك، فاكتتب بخُراسان وقال: لا أقيم في بلد العرب أبداً، وقد تحدّثتْ عني بهذا الحديثِ، فلم يزل بخُراسان حتى مات، فقبره هناك معروف.

وقال المدائنيّ، وحدثني أبو الهيثم: قال:

يتحدث مع أصحابه ويتذاكرون ماضيهم في السرقة

اجتمع مالكُ بن الريب، وأبو حَردبة وشِظاظ يوما، فقالوا: تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سَرِقتنا، فقال أبو حَردبة: أعجبُ ما صنعتُ، وأعجبُ ما سرقتُ أني صحبت

(1) علاة: ناقة مشرفة.

رُفقةً فيها رجل على رَحْل، فأعجبنى، فقلت لصاحبى، والله لأَسرقنّ رَحْلَه، ثم لا رضيت أو آخذَ عليه جُعالة، فرمقته، حتى رأيتُه قد خَفَق برأسه، فأخذتُ بخطام جمله، فقدته، وعدَلْتُ به عن الطريق، حتى إذا صيّرتُه فى مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث، أنخت البعيرَ وصرعته، فأوثقت يدَه ورجلَه، وقدتُ الجمل، فغيّبته ثم رجعت إلى الرُّفقة، وقد فقدوا صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلت: مالكم؟ فقالوا: صاحبٌ لنا فقدناه، فقلت: أنا أعلم الناس بأثره، فجعلوا لى جُعالة، فخرجت بهم أتبع الأثرَ، حتى وقفوا عليه، فقالوا: مالك؟ قال: لا أدرى، نمت، فانتبهت لخمسين فارسًا قد أخذونى، فقاتلتهم، فغلبونى.

قال أبو حَردبة: فجعلت أضحكُ من كذبه، وأعطونى جُعالتى، وذهبوا بصاحبهم.

وأعجب ما سرقت، أنه مرّ بى رجل معه ناقةٌ وجمل، وهو على الناقة، فقلت: لآخذنّهما جميعًا، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خفَق برأسه، فبدرت، فأخذتُ الجملَ، فحللته، وسقته، فغيّبته فى القَصيم — وهو الموضع الذى كانوا يسرقون فيه — ثم انتبه، فالتفت، فلم ير جملَه، فنزل وعقَلَ راحلته، ومضى فى طلب الجمل، ودُرْت فحللت عِقال ناقته، وسقتُها.

فقالوا لأبى حَردَبة: ويحك! فحتّام تكون هكذا! قال: اسكتوا، فكأنكم بى وقد تبت، واشتريتُ فرسا، وخرجتُ مجاهدًا، فبينا أنا واقف، إذ جاءنى سهمٌ كأنه قطعة رِشاء، فوقع فى نحرى، فمت شهيدًا. قال: فكان كذلك: تابَ، وقدِم البصرةَ، فاشترى فرسا، وغزا الروم، فأصابه سهم فى نحره فاستُشهد.

ثم قالوا للشِّظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ فى لصوصيتك، ورأيت فيها، فقال: نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عم ذاتُ مال كثير، وهو وليُّها، وكانت له نسوة، فأبت أن تتزوّجه، فحلف ألا يزوّجها من أحد ضرارًا لها، وكان

يخطبُها رجل غنى من أهل البصرة ، فحرصتْ(١) عليه ، وأبى الآخر أن يزوّجَها منه ، ثم إنّ ولىّ الأمر حجّ ، حتى إذا كان بالدوّ(٢) — على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سَنام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرتْ ، أو وردتْ — مات الولىّ ، فدُفن برابية ، وشُيِّد على قبره ، فتزوجت الرجلَ الذى كانَ يخطبها . قال شِظاظ :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزّ ومتاع ، فبصرتهم وما معهم وأتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيَّتُّهم ، وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذُونى ، وضربونى ضرباً شديداً ، وجرّدونى — قال : وذلك فى ليلة قَرّة — وسلبونى كلّ قليل وكثير ، فتركونى عُريانا ، وتماوتُّ لهم ، وارتحل القومُ ، فقلتُ : كيف أصنعُ ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه ، فنزعتُ لوحَه ، ثم احتفرتُ فيه سَرَبا ، فدخلتُ فيه ، ثم سددتُ علىّ باللوح ، وقلتُ : لعلى الآنَ أدفأ(٣) فأتبعهم . قال : ومرّ الرجل الذى تزوج بالمرأة فى الرُّفقة ، فمرّ بالقبر الذى أنا فيه ، فوقفَ عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنّ إلى قبر فلان ، حتى أنظرَ هل يحمى الآن بُضْعَ فلانة ؟ قال شِظاظ : فعرفتُ صوتَه فقلعتُ اللوحَ ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر ، وقلتُ : بلى وربّ الكعبة لأحميَنَّها ، فوقع والله على وجهه مغشيًّا عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل(٤) . فسقط من يده خِطام الراحلة ، فأخذتُ وعهد الله بخطامها(٤) فجلستُ عليها ، وعليها كلّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجّهتها قِبَلَ مطلع الشمس هارباً من الناس ، فنجوتُ بها ، فكنتُ بعد ذلك أسمعه يحدّثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أن الميّت الذى كان منعَه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بلِبْسه وكفنه . فبقى يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجبون منه فعامّتهم يكذّبه ، والأحمقُ منهم يصدّقه ، وأنا أعرف القصةَ ، فأضحكُ منهم كالمتعجّب .

(١) فى س : فخرجت
(٢) أرض ملساء بين مكة والبصرة
(٣) فى هج : « لعلى الآن قد أفيق فألحقهم »
(٤–٤) تكملة من هد ، هج

١٦٩ قالوا: فزدنا، قال: فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحمق من هذا؛ إنى لأمشى فى
١٦ الطريق أبتغى شيئاً أسرقه، قال: فلا والله ما وجدت شيئاً، قال: وكان هناك شجرة

مغامرة أخرى لشظاظ

ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظلٌّ غيرها، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له، فقلت له: أتسمع؟ قال: نعم، قلت: إن المقيل الذى تريد أن تقيله يُخسَف بالدوابّ فيه، فاحذره، فلم يلتفت إلى قولى. قال: ورمقته، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره، فاستقته، حتى إذا برزْت به، قطعتُ طرف ذَنَبه وأُذنيه، وأخذتُ الحمارَ، فخبأتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمارَ، ويقفو أثرَه، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرَف ذَنَبه وأُذنيه، فقال: لعمرى لقد حُذِّرتُ لو نفعنى الحذر، واستمرّ هاربًا خوف أن يُخسَف به، فأخذتُ جميع ما بقىَ من رحله فحملتُه على الحمار، واستمرّ فألحقُ بأهلى.

الحجاج يصلب شظاظا

قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاجُ رجلا من الشُّراة بالبصرة، وراح عشيًّا، لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مقبل بوجهه عليه، فدنا منه، فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبتَ فأعقب(1)، فقال الحجاج: من هذا؟ قالوا: هذا شظاظٌ اللِّص قال: لاجرمَ! والله ليُعقِبَنّك، ثم وقف، وأمر بالمصلوب، فأنزِل وصلِبَ شظاظا مكانَه.

قال ابنُ الأعرابى:

مات مالك حتف أنفه

مرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان فى طريقه، فلما أشرف على الموت تخلّفَ معه مُرّةُ الكاتب(2) ورجل آخرُ من قومه من بنى تميم وهما اللذان يقولُ فيهما:

(1) أى اترك عقبك ومن يخلفك.

(2) فى هد: «الكنانى» بدل «الكاتب»

أياصاحبىْ رَحْلِي دنا الموتُ فانزلا ... برابية إنى مقيمٌ لياليا

ومات فى منزله ذلك ، فدفناه ، وقبرُه هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يَرْثى بها نفسه .

قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتًا ، والباقى منحول ، ولَّدهُ الناس عليه .

صوت

فما بيضةٌ بات الظليمُ يحفُّها ... ويرفعُ عنها جُؤجُؤا مُتجافيا
بأحسنَ منها يومَ قالتْ: أظاعنٌ(1) ... مع الركْبِ أم ثاوٍ لدينا لياليا؟
وهبّتْ شمالٌ آخرَ الليل قرّةٌ(2) ... ولا ثوب إلاّ بُرْدُها وردائيا
وما زال بُردى طيِّبًا من ثيابها ... إلى الحولِ حتى أنهَجَ(3) الثوبُ(4) باليا

الشعر لسحيم عبد بنى الحسحاس، والغناء لابن سُريج فى الأول والثانى من الأبيات ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وفى الثالث والرابع لمُخارق خفيف ثقيل عمِله على صنعة إسحاق فى :

* أماوىَّ إن المال غادٍ ورائحُ *

وكاده بذلك ليقال إن لحنه أخذه منه، وألقاه على عجوز عُمير، فألقته على الناس، حتى بلغ الرشيدَ خبره، ثم كشفه فعلم حقيقته، ومن لا يعلم ينسبه إلى غيره، وقد ذكر حَبَش أنه لإبراهيم، وذكر غيره أنه لابن المكى.

وقد شرحت هذا الخبر فى أخبار إسحاق.

(1) فى رواية الديوان : « أراحل » .
(2) رواية الديوان : «وهبت لنا ريح الشمال بقرة» وروى أيضا : «وهبت شمالا آخر الليل قرة»
(3) أنهج : خلق وبلى
(4) فى الديوان : « البرد » بدل « الثوب » .

أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه سُحَيم ، وكان عبدًا أسودَ نوبيًّا أعجميًّا مطبوعًا فى الشعر ، فاشتراه ٢
بنو الحسحاس ، وهم بطن من بني أسد ، قال أبو عبيدة : الحسحاسُ بن نُفَاثة بن سَعيد ٢٠
ابن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة .

قال أبو عبيدة — فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ عن أبى حاتم عنه : كان عبدُ بنى الحسحاس عبدًا أسودَ أعجميًّا ، فكان إذا أنشد الشعر — استحسنه أم استحسن غيره منه — يقول : أهشنتُ والله — يريد أحسنتُ والله — وأدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسنُ بن موسى قال حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد ، عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم تمثّل :

يستشهد الرسول بشعر له

* كفى بالإسلام والشيب ناهيا *

فقال أبو بكر : يارسولَ الله :

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فجعلَ لا يطيقهُ ، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسولُ الله ﴿ وما علّمناه الشعرَ وما ينبغى له ﴾ .

قال محمد بن خلف وحدثنى أحمدُ بن شداد عن أبى سلمة التَّبوذكى عن حماد ابن سلمة ، عن رجل ، عن الحسن مثله ، وروى عن أبى بكر الهذلىّ أن اسم عبد بنى الحسحاس حيّة .

كان أسود الوجه

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: كان عبدُ بنى الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشى، وفى سواده يقول:

وما ضرَّ أثوابى سوادِى وإنَّنى ... لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقهُ
كُسِيتُ قميصًا ذا سواد وتحته ... قميصٌ من القُوهىّ(١) بيض بنائقهُ(٢)

٣ — ويروى: وتحته قميص من الإحسان —

٢٠ أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال: حدثنا أحمد بن أبى خَيْثمة قال: أنشدنى مُصعَب ابن عبد الله الزبيرىّ لعبد بنى الحسحاس — وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به — قال:

أشعارُ عبد بنى الحسحاس قُمْنَ له ... عند الفخارِ مَقام الأصلِ والوَرِق
إن كنتُ عبدًا فنفسِى حرّةٌ كَرَمًا ... أو أسودَ اللونِ إنى أبيضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم: حدثنى السَّرِىُّ بنُ صالح بن أبى مِسهر قال: أخبرنى بعضُ الأعراب، أن أول ماتكلم به عبدُ بنى الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائدًا فجاء وهُوَ يقول:

أنعتُ غيثًا حسنًا نباتُه ... كالحَبَشِىِّ حولَه بناتُه

فقالوا: شاعرٌ والله، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك.

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطاب قوله:

بيت له يستحسنه عمر

عُميرة ودِّع إن تجهَّزتَ غاديا ... كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

---

(١) منسوب إلى قوهستان (كورة بين نيسابور وهراة) ويطلق القوهى على الثوب الأبيض، وإن لم يكن منسوبًا إلى قوهستان، ويريد سحيم هنا بياض سريرته وطهارة قلبه

(٢) البنائق: جمع بنيقة أى مايخيط بالعنق من الثوب

فقال عمر : لو قلتَ شعرَكَ كلَّه مثلَ هذا لأعطيتُكَ عليه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عبد الملك ابن عبد العزيز قال : حدثني خالي يوسف بن الماجِشُون قال :

لاحاجة لعثمان به

كان عبد الله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجَنَد ، فكتب إلى عثمانَ : إني قد اشتريتُ غلاماً حَبَشيّاً يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : « لاحاجة لي إليه، فاردده، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه، إن شَبِعَ أن يتشبّب بنسائهم ،وإن جاع أن يهجوَهم » ، فردّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

وروى إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجَشون قال :

كان عبدُ الله بن أبي ربيعة — مثل مارواه الزبير — إلا أنه قال فيه : إن جاع هَرّ ، وإن شَبِع فَرّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال : حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَرَ قولَه :

تُوسِّدُني كفًّا وتَثني بمِعصَمٍ عليّ وتحوِي رِجلَها من ورائيا

فقال عمرُ : ويلَكَ إنّكَ مقتول .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال : حدثني أحمد بن القاسم قال : حدثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ ، عن ابن أبي عائشة قال :

أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله :

* كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً *

الإسلام أولا

فقال له عمر : لو قدّمتَ الإسلام على الشيب لأجزتك .

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا مُعاذُ بن مُعاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيرين ، أن عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله .

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدثنا إسحاق بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن ، ابن أخي الأصمعي عن عمه قال :

كان عبد بني الحسحاس قبيحَ الوجه ، وفي قُبحه يقول :

كان قبيح الوجه

أتيتُ نساء الحارثيين غُدوةً ... بوجهٍ برَاه اللهُ غيرَ جميلِ
فشبّهنني كلبًا ولستُ بفوقِه ... ولا دونه إن كان غيرَ قليلِ

99 أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلّام ، قال :

19 أُتِي عثمانُ بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريَه فأعجِب به فقالوا : إنه شاعر ، وأرادوا أن يرغّبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي به ؛ إذ الشاعرُ لا حريم له ، إن شبع تشبّب بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيرُه ، فلما رحل قال في طريقه :

كان يشبب بنساء مواليه

أشوقًا ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ ... فكيف إذا سار المطيُّ بنا شَهرا ؟(1)
وما كنتُ أخشى مالكًا أن يبيعني ... بشيء ولو أمستْ أناملُه صِفرا
أخوكم ومولى مالِكم وحليفُكم ... ومن قد ثوى فيكم وعاشركُم دَهْرا(2)

فلما بلغهم شعرُه هذا رَثَوا له ، فاستردّوه .

فكان يشبّبُ بنسائهم ، حتى قالَ :

(1) في هج ، هد : « عشرا » بدل « شهرا » .
(2) في هج : « أخوكم ومولاكم وكاتم سركم » .

ولقد تحدّر من كريمة بعضكم[1] عرقٌ على متن[2] الفراش وطيبُ

قال: فقتلوه.

أخبرنى الحرمىّ بنُ أبى العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدثنى عبد الملك ابن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجِشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها:

فلما استردّوه نشب يقولُ الشعر فى نسائهم، فأخبرنى من رآه واضعًا إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبّب بأخت مولاه وكانت عليلة، ويقول:

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمالٍ لوجهه تَبَعُ!
ما يرتجى خاب من محاسنها أمَا لَهُ فى القِباح مُتّسَعُ!
غيّر من لونها وصفّرها فزيدَ[3] فيه الجمال والبِدَعُ
لو كان يبغى الفداء قلتُ له: ها أنا دونَ الحبيب يا وجعُ

أخبرنى محمد بن خلف قال: حدثنا أبو بكر العامرىّ، عن علىّ بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة:

الذى تناهى إلينا من حديث سحيم عبد بنى الحسحاس أنه جالسَ نسوةً من بنى صُبَير بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشدّة المغالبة على إبداء المحاسن، فقال سحيم:

كأن الصُّبيريّاتِ يومَ لقيننا ظباءٌ حنت أعناقَها[4] فى المكانس
فكم قد شققنا من رداء مُنَيَّرٍ[5] ومن برقع عن طَفلة غيرِ ناعسِ

(١) فى الديوان: «فلقد تحدر من جبين فتاتكم».
(٢) فى الديوان: «على ظهر».
(٣) فى س، ب: «فارتد».
(٤) كذا فى الديوان وفى س، ب: «حنت أعناقهم المكانس» وفيه الإقواء حينئذ.
(٥) كذا فى الديوان وفى س، ب: «مزنر»، ومعنى منير: له نير، أى علم الثوب.

إذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبرد بُرقُعٌ(١) ... على ذاك(٢) حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

فيقال: إنه لما قال هذا الشعر اتّهمه مولاه، فجلس له فى مكان كان إذا رعى نام فيه، فلما اضطجع تنفّس الصُّعَداء، ثم قال:

يا ذِكرةً مالكَ فى الحاضرِ ... تذكُرُها وأنتَ فى الصادرِ
من كل بيضاءَ لها كَفَلٌ(٣) ... مثلُ سنام البَكرة المائرِ

قال: فظهر سيّدُه من الموضع الذى كان فيه كامنا، وقال له: مالكَ؟ فلجلج فى منطقه، فاستراب به، فأجمعَ على قتله، فلما وردَ الماء خرجتْ إليه صاحبتُه، فحادثتْه، وأخبرتْه بما يرادُ به، فقام ينفض ثوبه ويعفى أثره، ويلتقط رضًّا من(٤) مَسَكِها(٥) كان كسرَها فى لعبه معها، وأنشأ يقول:

صوت

أتُكتَمُ حُيّيتُم على النأى تُكتَما ... تحيةَ من أمسى بحبّكِ مُغرَما
وما تُكتَمين إن أتيتِ دَنيّةً ... ولا إن ركبنا يابنةَ القوم مَحرَما
ومثلكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمها ... إلى مجلسٍ تجرُّ بُرداً مُسَهَّما(٦)

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكى ثانى ثقيل، قال:

وماشيةٍ مَشْىَ القطاة اتّبعتُها ... من السترِ تخشى أهلَها أن تَكلَّما

(١) فى س، ب: «نيط بالبرد برقع».
(٢) فى الديوان: «دواليك» وبهذه الرواية يعدّه النحويون فى باب المصدر الموضوع موضع الحال المثنى المضاف إلى ضمير المخاطب
(٣) فى الديوان: «كعثب» وما هنا أعلى
(٤) رضا: كسرا
(٥) مسكها: من سوارها أو خلاخلها
(٦) مسهما: فيه صورة السهم

فقالت: صهٍ ياويحَ غيرِكَ إننى ... سمعتُ حديثًا بينهم يقطُرُ الدَّما
فنفّضتُ ثوبيها ونظّرتُ حولها ... ولم أخشَ هذا الليلَ أن يتصرّما
أُعفّى بآثار الثياب مبيتَها ... وألقطُ رضًّا من وقوفٍ[1] محطّما

قال: وغدوا به ليقتلوه، فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مودّةٌ ثم فسدت، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال:

فإن تضحكى منى فيارُبَّ ليلةٍ ... تركتُكِ فيها كالقَبَاء المفرّج

فلما قدّم ليقتل قال:

شُدّوا وثاقَ العبد لا يُفلتكمُ ... إن الحياةَ من الممات قريبُ
فلقد تحدّر من جبين فتاتِكم ... عَرَقٌ على مَتْنِ الفراش وطيبُ

قال: وقُدِّم فقُتِل. وذكر ابن دَأْب أنه حُفِر له أخدود، وأُلقِىَ فيه، وأُلقِىَ عليه الحطبُ فأُحرِق. يحرق فى أخدود

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد بن أبى الأزهَر قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ قال:

كان عبدُ بنى الحسحاس يسمّى حيّة، وكان لسيّده بنتٌ بِكر، فأعجبها، فأمرته أن يتمارضَ، ففعل وعصب رأسه. فقالت للشيخ: أسرِحْ أيها الرجل إبلَكَ، ولا تَكِلْها إلى العبد، فكان فيها أيامًا، ثم قال له: كيف تجدُكَ؟ قال: صالحًا، قال: فرُحْ فى إبلك العشيّة، فراح فيها، فقالت الجارية لأبيها: ما أصبحتُ إلا قد ضيّعتَ إبلك العشيّةَ، أن وَكَلْتَها إلى حيّة، فخرج فى آثار إبله فوجده مستلقيًا فى ظل شجرةٍ، وهو يقول: أصابهن كلهن إلا واحدة

(١) وقوف: جمع وقف أى سوار من ذبل أو عاج

يا رُبَّ شجوٍ لك فى الحاضر تذكُرها وأنتَ فى الصادر
من كلِّ حمراءَ جُمالِيّةٍ[1] طاميةٍ القادم والآخر

فقال الشيخ : إن لهذا لشأنا، وانصرف ، ولم يُرِه وجهَه . وأتى أهل الماء، وقال لهم : تعلَّموا والله أن هذا العبدَ قد فضحنا، وأخبرهم الخبر، وأنشدهم ماقال ، فقالوا : اقتله ، فنحنُ طوعُك ، فلما جاءهم وثبوا عليه ، فقالوا له : قلتَ وفعلتَ ، فقال : دعونى إلى غد حتى أُعْذِرَهَا[2] عند أهل الماء ، فقالوا : إن هذا صواب فتركوه ، فلما كان الغد اجتمعوا فنادى: يا أهل الماء ، ما فيكم امرأةٌ إلا قد أصبتُها إلا فلانةَ فإنى على موعد منها، فأخذوه فقتلوه.

ومما يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بنى الحسحاس ، وقال : إن من الناس من يرويها لغيره :

٦ ٢٠
يُجمّعْنَ من شتَّى ثلاثا وأربعا وواحدةً حتى كَمَلْنَ ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يَعُدْنَنى بقيّة ما أبقينَ نَصلا يمانيا
يعُدْن مريضا هنَّ قد هِجن داءهُ ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، والذى ابتداؤه « تجمعنَ من شتى ثلاث » لبنان . والذى أوله : « وأقبلن من أقصى الخيام » . ذكر الهشامى أنهُ لإسحاق وليس يشبه صنعته، ولا أدرى لمن هو ؟

مخارق يكيد لإسحاق

أخبرنى جحظة عن ابن حمدون أن مخارقا عملَ لحناً فى هذا الشعر :

وَهَبَّتْ شمالا آخرَ الليل قَرَّةً ولا ثوبَ إلا بردُها وردائيا

على عمل صنعة إسحاق فى :

(١) جمالية : جميلة .
(٢) أعذرها : أثبت لها عذرا .

* أماويّ إن المال غاد ورائح *

ليكيد به إسحاق، وألقاه على عجوز عُمَيرٍ الباذغيسي، وقال لها: إذا سُئلتِ عنه فقولي: أخذتُه من عجوزٍ مدنية، ودار الصوت حتى غُنِّيَ به الخليفة، فقال لإسحاق: ويلك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنّيه[1] كلَّه، فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعلْ وتضمَّن له كشفَ القصة، ثم أقبل على مَنْ غنّاهم الصوتَ فقال: عمّن أخذتَه؟ فقال: عن فلان، فلقيه، فسأله عمن أخذه فعرّفه، ولم يزل يكشف عن القصة، حتى انتهى من كل وجه إلى عجوز عميرٍ، فسألها عن ذلك، فقالت: أخذتُه عن عجوز مدنية، فدخل إسحاق على عُمَير، فحلف له بالطلاق والعتاق وكلِّ مُحرِجٍ من الأيمان ألاّ يكلمه أبدا ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يَصْدُقَه عن حال هذا الصوت وقصته، فصدَقه عُمير عن القصة، فحدّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق، فلم يمكن مُخارقا دفعُ ذلك، وخجل خجلاً بان فيه، وبطل ما أراده بإسحاق.

(١) س، ب «بمينه» بدل «تغنيه»

صوت

ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أحبُّه ... وبيتان ليسا من هواىَ ولا شَكلى

ألا أيها البيتُ الذى حِيلَ دونَه ... بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

الشعر لجميل، والغناء لإسحاق ماخورى بالبنصر من جامع أغانيه، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعَلّويه ولم أجد طريقته.

متمم العبدي والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المرادي عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: حدثني متمم العبدي قال:

خرجت من مكة زائراً لقبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإني لبسوق الجحفة(١) إذا جُوَيرية تسوقُ بعيراً، وتترنّم بصوت مليح طيّب حُلْو في هذا الشعر:

ألا أيها البيتُ الذي حِيل دونه … بنا أنت من بيتٍ وأهلُكَ من أهل

بنا أنتَ من بيتٍ وحولك لَذّةٌ … وظِلُّكَ لو يُستطاعُ بالبارد السهل

ثلاثة أبياتٍ فبيتٌ أحبُّه … وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي

فقلت: لمن هذا الشعر يا جُويرية؟ قالت: أما ترى تلك الكُوّةَ الموفّاةَ بالكِلّة الحمراء؟ قلت: أراها، قالت: من هناكَ نهض هذا الشعرُ، قلت: أو قائلُه في الأحياء؟ قالت: هيهات، لو أنّ ميتاً أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورِقّةُ ألفاظها، فقلت لها: ألكِ أبوان؟ فقالت: فقدت خيرَهما وأجلَّهما، ولي أم، قلت: وأين أمُّكِ؟ قالت: منك بمرأى ومسمع، قال: فإذا امرأة تبيعُ الخرَزَ على ظهر الطريق بالجُحْفَة، فأتيتُها، فقلتُ: يا أُمَّتَاه، استمعي مني، فقالتْ لها: يا أُمَّهْ، فاستمعي من عمّي ما يلقيه إليكِ، فقالتْ: حيَّاكِ الله، هيه، هل من جائبةِ خبرٍ(٢)؟ قلتُ: أهذه ابنتُك؟ قالت: كذا كان يقول أبوها، قلتُ: أفتزوّجينها؟ قالت: ألِعلّةٍ رغبتَ فيها؟ فما هيَ والله مَنْ عندها جمالٌ، ولا لَها مال، قلتُ: لحلاوة لسانها وحُسن عقلها، فقالت: أيُّنا أملَكُ بها؟ أنا أمْ هي بنفسها؟ قلت: بل هي بنفسها، قالت: فإياها فخاطِبْ، فقلتُ: لعلها أن تستحيَ من الجواب في مثل هذا، فقالت: ما ذاكَ عندها، أنا أخبر

٧
١٠

(١) الجحفة: قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام
(٢) تريد خبراً يجوب البلاد متنقلا.

بها ، فقلتُ : يا جارية ، أما تسمعين ما تقول أُمُّكِ ؟ قالت : قد سمعتُ ، قلتُ : فما عندكِ ؟ قالت : أوليس حسبك أنْ قلتُ : إنى أستحى من الجواب فى مثل هذا ، فإن كنتُ أستحى فى شىء فلِمَ أفعلُه ؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطكَ ، لا واللهِ لا يشتمُنى علىّ رجل حِواه وأنا أجدُ مَذْقَةَ (١) لبن أو بقلةً ألين بها مِعَاى ، قال : فورد والله علىّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوجكِ والإذنُ فيه إليكِ ، وأعطى اللهَ عهداً أنى لا أقربُكِ أبداً إلا عن إرادتِك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لى فى هذا إرادةٌ أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتزوّجتها ، وحملتها وأمّها معى إلى العراق ، وأقامت معى نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضممتُ عليها جِواى قطُّ ، وكانت قد عَلِقت من أغانى المدينة أصواتا كثيرة ، فكانت ربما ترنّمت بها ، فأشتهيها ، فقالت : دَعينى من أغانيكِ هذه فإنها تبعثُنى على الدنوِّ منك . قال : فما سمعتها رَافِعةً صوتَها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقَتِ الدنيا ، وإن أمها عندى حتى الساعة ، فقالت : ما أدرى متى دار فى سمعى حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

(١) مذقة : لبن مخلوط بالماء

صوت

أيها الناسُ إن رأيى يُرينى — وهو الرأىُ — طوفةً فى البلادِ
بالعوالى وبالقنابل تَرْدى[1] — بالبطاريق[2] مِشيةَ العُوّاد
وبجيشٍ عرمرمٍ ... ربىٍّ — جَحْفل يرتجز صوتَ المنادى
من تميمٍ وخندفٍ وإياد — والبهاليلِ حِميرٍ ومُراد
فإذا سرتُ سارت الناسُ خلفى — ومعى كالجبالِ فى كلّ واد
... تُسقّنى ثم ... قٌ حميرَ قومى — كأسَ خمرٍ أولى النُّهى والعِماد

الشعر لحسان بن تُبّع ، والغناء لأحمد النصيبى خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

(١) تردى : تسرع ، والمصدر الرديان والردى
(٢) البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل

أخبار حسان بن تبع

أخبرنى بخبر حسان الذى من أجله قال هذا الشعر علىّ بن سليمان الأخفش عن السكرىّ ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابىّ . وعن أبى عبيدة وأبى عمرو ، وابن الكلبى وغيرهم ، قال :

كان حسانُ بن تُبَّع أحولَ أعسَر(١) ، بعيدَ الهمّة شديدَ البطش ، فدخل إليه يوما وجوهُ قومه ـ وهم الأقيالُ مِنْ حِمير ـ فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم :

هو طوافه فى البلاد

أيها الناسُ إن رأيى يُرينى وهْوَ الرأى طوفةً فى البلاد
بالعوالى وبالقنابل تَرْدى بالبطاريقِ مِشيةَ العُوّاد

٨
٢٠

وذكر الأبيات التى مضت آنفا ، ثم قال لهم : استعدّوا لذلك ، فلم يراجعه أحد لهيبته ، فلما كان بعد ثلاثة خرج ، وَتبعه الناسُ ، حتى وطئَ أرض العجم ، وقال : لأبلغنّ من البلاد حيث لم يبلغ أحدٌ من التبابعة ، فجال بهم فى أرض خُراسان ، ثم مضى إلى المغرب ، حتى بلغ رُومية(٢) ، وخلف عليها ابنَ عم له ، وأقبل إلى أرض العراق ، حتى إذا صار على شاطىء الفُراتِ ، قالت وجوهُ حِمير : مالنا نُفنى أعمارَنا مع هذا ! نطوفُ فى الأرض كلِّها ، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادِنا وعيالنا وأموالنا ! فلا ندرى من نُخَلِّفُ عليهم بعدَنا !

فكلّموا أخاه عَمراً ، وقالوا له : كلِّم أخاكَ فى الرجوع إلى بلده ، وملْكه . قال : هو أعسرُ من ذلك وأنكر(٣) ، فقالوا : فاقتلْه ، ونملِّكُك علينا ، فأنت أحقّ

(١) أعسر : يعمل بيده اليسرى
(٢) روميه : مدينة بالمدائن بنيت وسميت باسم أحد الملوك
(٣) فى مج : « وأنكد » بدل « وأنكر »

بالملك من أخيك ، وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك ، فقال : أخاف الأحدوثة ، وأن أكون قد قتلت أخي ، وخرج الملك عن يدي ، فوافقوه ، حتى ثلج[1] إلى القوم ، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلا ذا رعين ، فإنه خالفهم ، وقال : ليس هذا برأي ، يذهب الملك من حمير . فشجعه الباقون على قتل أخيه ، فقال ذو رعين : إن قتلته باد ملكك .

فلما رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة ، فقال : يا عمرو : إني مستودعك هذا الكتاب ، فضعه عندك في مكان حريز ، وكتب فيه :

ألا مَنْ يشتري سهرًا بنومٍ ... سعيد مَنْ يبيتُ قريرَ عيْنِ

فإن تكُ حميرٌ غدَرَتْ وخانتْ ... فمعذرةُ الإلهِ لذي رُعيْنِ

ثم إن عمرًا أتى حسانَ أخاه وهو نائم على فراشه ، فقتله ، واستولى على مُلكه . فلم يبارَكْ فيه ، وسلّط الله عليه السهرَ ، وامتنع منه النومُ ، فسأل الأطباء والكهّان والعُرّاف ، فقال له كاهن منهم : إنه ما قتل أخاه رجل قطُّ إلا مُنع نومَه ، فقال عمرو : هؤلاء رؤساء حمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ، ولم ينظروا إليَّ ولا لأخي .

قتله أخوه فامتنع منه النوم

فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ، حتى خلَص إلى ذي رُعين وأيقنَ بالشر ، فقال له ذو رعين : ألم تعلم أني أعلمتك ما في قتله ، ونهيتك وبيّنت هذا ؟ قال : وفيم هو ؟ قال : في الكتاب الذي استودعتُك .

فدعا بالكتاب ، فلم يجده ، فقال ذو رعين : ذهب دمي على أخذي بالحزم ، فصرت كمن أشار بالخطأ ، ثم سأل الملك أن يُنعم في طلبه ، ففعل ، فأُتِيَ به فقرأه ، فإذا فيه البيتان ، فلما قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم ، قال : إني خشيت ما رأيته صنعتَ بأصحابي .

(١) ثلج إلى قولهم : استراح .

ذو شناتر وذو نواس

قال: ثم اضطرب أمرُ حمير حين قُتل أشرافُها، واختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لخنيعة ينوف(١)، ولم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله، واستولى على الملك، وكان يقال له ذو شناتر(٢) الحميرى، وكان فاسقاً يعمل عمل قوم لوط، وكان يبعثُ إلى أولاد الملوك فيلوط بهم، وكانت حمير إذا ليطَ بالغلام لم تملّكه، ولم ترتفع به، وكانت له مَشربة(٣)، يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أُتِىَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفى فيه السواكُ، فيقطعون مشافر ناقة الذى يركبها وذنبها، فإذا خرجَ صيح به: أرطبٌ أم يباس(٤)؟ فمكث بذلك زمانا.

حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس، وكانت له ذُؤابة، وبها سمى ذا نُواس — وهو الذى تهوّد، وتسمى يوسف، وهو صاحب الأخدود بنَجران، وكانوا نصارى، فخدّهم،

٩ وحرقَ الإنجيلَ، وهدّم الكنائس، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن، لأنهم

٢٠ نَصارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحرَ، واقتحمه على فرس فغَرق —

فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك وقد فُعِل بك كذا وكذا، فأخذ سكيناً لطيفاً خفيفاً وسمّه، وجعل له غلافاً، فلما دعا به لخنيعة جعله بين أخمصه ونعله، وأتاه على ناقة له يقال لها: سرابٌ، فأناخها، وصعدَ إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعة، فأخذ السكين فوَجأ بها بطنَه، فقتله، واحتزّ رأسه، فجعل السواك فى فيه، وأطلعه من الكُوّة، فرفع الحرسُ رءوسهم، فرأوه،

(١) كذا فى اللسان والجمهرة وهو مأخوذ من اللخع، وهو استرخاء اللحم. وينوف من ناف الشىء إذا طال وارتفع

(٢) شناتر: أصابع بلغة حمير

(٣) مشربة: غرفة مرتفعة

(٤) يباس: يابس أو يبيس

ونزل زُرعةُ ، فصاحوا : زُرعةُ يا ذا نواس، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ، است ذي نُواس ، رطب أم يباس ؟ وجاء إلى ناقته ، فركبها ، فلما رأى الحرس اطّلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قتل. فأتوا زُرعة ، فقالوا : ماينبغى أن يملكنا غيرُك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق ، واجتمعت حمير إليه ، ثم كان مِنْ قصته ما ذكرناه آنفاً .

صوت

يا ربةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمّي إليكِ رحالَ القومِ والقُرُبا (١)
في ليلةٍ مِنْ جُمادى ذاتِ أنديةٍ ... لا يُبصر الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا (٢)
لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خيشومهِ الذَّنَبا

الشعر لمُرّة بنَ محكان السعديّ، والغناء لابن سُريج، رَمَل بالوسطى، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو، وذكر حَبَش أن فيه لسياط ثاني ثقيل بالوسطى، والله أعلم.

(١) القرب: جمع قراب ككتاب وهو غمد السيف.
(٢) الطنب: الحبل الطويل يشد به السرادق وجمعه أطناب.

أخبار مرة بن محكان

اسمه ونسبه

هُوَ مُرَّة بن محكان ولم يقع إلينا باقي نسبه، أحدُ بني سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر مُقِلّ إسلاميّ من شُعراء الدَّولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق، فأخملا ذكره، لنباهتهما في الشعر.

وكان مُرَّة شريفاً جواداً وهو أحد من حُبِس في المناحرة والإطعام. أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز، عن المدائني، قال:

ينحر مائة بعير

كان مُرَّة بن محكان سخيًّا، وكان أبو البكراء يوائمهُ في الشرف، وهما جميعاً من بني الرُّبيع، فأنهب مُرَّةُ بنُ محكان مالَهُ الناسَ، فحبسه عبيد الله[1] بن زياد، فقال في ذلك الأُبيرد الرِّياحي:

حبستَ كريمـاً أن يجودَ بمـاله ... سعى في ثأى[2] من قومه متفاقم
كأنّ دماء القوم إذ علقوا به ... على مكفهرٍّ من ثنايا المخارم[3]
فإن أنتَ عاقبتَ ابن محكان في الندى ... فعاقِبْ هداك اللهُ أعظَمَ حاتم

قال: فأطلقه عُبيد الله بن زياد، فذبحَ أبو البكراء مائة شاة، فنحرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مُرَّة:

(١) كذا بالأغاني في ترجمة الأبيرد الرياحي جزء ١٢ ص ١٤، ومثله في الأمالي جزء ٣ ص ١٧٧، وفي النسخ «زياد»، والصواب عبيد الله لقول الأبيرد:
فأبلغ عبيد الله عني رسالة ... رسالة قاض بالحكومة عالم
(٢) كذا في ف، والأمالي جزء ٣ ص ١٧٧. والثأى: الفساد.
(٣) المخارم: جمع مخرم، وهو أنف الجبل

شرتني مائةً فأنبها جواداً وأنت تناهب الحذَف القِهادَا

— الحذف : صغار الغنم . والقهاد : البيض —

أخبرني أحمدُ بنُ محمد الأسدىّ أبو الحسن ، قال : حدثنا الرياشيّ قال : سئل أبو عبيدة عن معنى قول مُرّة بن مَحكان :

* ضمِّى إليك رحالَ القوم والقُرُبا *

ما الفائدة فى هذا ؟ فقال : كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا ١٠
إليهم رحله ، وبقى سلاحُه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مُرّة بن محكان يخاطب ٢٠
امرأته : ضمِّى إليكِ رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ، فإنهم عندى فى عزّ وأمْن من الغارات والبيات ، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابسًا سلاحه .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، عن يونس ، قال : كان الحارث بن أبى ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه رجلٌ من بنى تميم — يقال له مُرّة بن مَحكان — رجلاً ، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّة بنُ مَحكان يقول : مصعب بن الزبير يقتله

أحارِ تثبّتْ فى القَضاء فإنه إذا ما إمامٌ جار فى الحكم أقصَدا (١)
وإنكَ موقوف على الحكم فاحتفظْ ومهما تضْعه اليومَ تُدرِكْ به غداً
فإنّى مِمّا أُدرِكُ الأمرَ بالأنى (٤) وأقطع فى رأس الأمير المهنّدا

(١) أقصد : أصاب فى المقتل أو قتله مكانه .

(٢) فى هد ، هج : « نائيا » ، وقد تكون محرفة عن « آنيا » . والأنى : الحلم .

فلما وَلِّيَ مُصعبُ بنُ الزبير دعاه، فأنشده الأبياتَ، فقال: أما والله لأقطعنّ السيف في رأسك، قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحُبِس، ثم دسّ إليه من قتله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن ابن جامع، عن يونس قال:

جاء رجل من قريش إلى الغَريض فقال له: بأبي أنتَ وأمي إني جئتُك قاصدًا من الطائف، أسألك عن صوت تُغنّيني إياه، قال: وما هو؟ قال: لحنك في هذا الشعر:

تشرّبَ لونَ الرازقيّ بياضُه ... أو الزعفرانَ خالط المسكَ رادعُه (1)

فقال: لا سبيل إلى ذلك، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه، ولكنّي أغنّيك في شعر لمُرّة بن مَحكان، وقد طرقه ضيفٌ في ليلة شاتيةٍ، فأنزلهم، ونحر لهم ناقته، ثم غنّاه قوله:

يا ربّةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمّي إليكِ رحالَ القومِ والقُرُبا

فأطربه، ثم قال له الغَريض: هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج، وسأغنّيك لحنًا عملته في شعر على وزن هذا الشعر ورَويّه للحطيئة، ثم غنّاه:

ما تَنقَموا من بغيض لا أبا لهمُ ... في بائس جاء يحدو أينقًا شُزُبا (2)
جاءتْ به من بلاد الطُّور تحدره ... حصّاءُ (3) لم تتركْ دون العصا شَذَبا (4)

(1) في س، ب: «رادغه»، تحريف، والرازقي: الخمر.
(2) شزب: جمع شازب بمعنى المهزول، وفي اللسان: قال الأصمعي: وسمعت أعرابيا يقول ما قال الحطيئة أينقا شزبا وإنما قال أعنزا شزبا
(3) سنة مجدبة: لا نبت فيها كالرأس الأحص الذي لاشعر فيه.
(4) شذبا: قشرا وجمعه أشذاب.

فقام القرشىّ ، فقبّلَ رأسه ، فقال له: فدتك نفسى وأهلى ، لو لم أقدُم مكة لعمرة ولا لبرّ وتقوى ، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلكَ قليلاً . ثم انصرف .

وحدثنى بعض مشايخ الكتّاب أنه دخل على أبى العُبَيس بن حمدون يومًا ، فسأله أن يُقيم عنده فأقام ، وأتاهم أبو العُبَيس بالطعام ، فأكلوا ، ثم قُدِّم الشراب فشَرِبوا ، وغنَّاهم أبو العُبَيس يومئذ هذا الصوتَ :

ألا مُتَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمةً … غداة رأيتَ الحىَّ للبين غاديا
ولم تعتصرْ عيناك فَكهةُ مازحٍ … كأنك قد أبدعتَ إذ ظلْتَ باكيا

فأحسن ماشاء ، ثم ضرب ستارتَه وقال :

* ياربةَ البيتِ غَنّى غير صاغرة *

فاندفعت عِرفانُ ، فغنّت :

ياربةَ البيت قومى غيرَ صاغرة … ضُمّى إليك رِحال القوم والقُرُبا

قال: فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعتُه من غنائهما يومئذ .

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا متَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمة … غداة رأيتَ الحىَّ للبين غاديا
ولم تعتصر عيناك فَكهةُ مازح … كأنك قد أبدعت إذ ظلتَ باكيا
فصيّرتَ دمعا أن بكيتَ تَلَدُّدًا … به لفراقِ الألف كفؤا مُوازيا
لقد جلَّ قدر الدمع عندك أنْ ترى … بكاءك للبين المُشتِّ مُساويا

الشعر لأعرابىّ أنشدناه الحرمىّ بن أبى العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبى طالب الدينارىّ عن إسحاق الموصلىّ الأعرابىّ .

قال الدينارىّ : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب[1]، وهو قائله وأظن هذا الشعر له ، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه .

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : للأعرابى .

صوت

فإن تكُ من شيبانَ أمى فإننى ... لأبيضُ من عِجل عريض المَفارقِ
وكيف ، بذكرى أمّ هارون بعد ما ... خَبطنَ بأيديهنّ رملَ الشقائقِ
كأنّ نقَا من عالجٍ[1] أُزِّرَتْ به ... إذا الزُّل ألهاهنّ شدُّ المناطقِ
وإنا لتَغلِى فى الشتاء قُدورُنا ... ونصبر[2] تحت اللّامعات الخوافقِ

عروضه من الطويل الشعر للعُدَيل بن الفَرخ العِجْلىّ ، والغناء لابن خفيف ، ثقيل من أصوات قليلة الأشباه ، عن يونس وإسحاق ، وفيه لهشام بن المريّة لحن من كتاب إبراهيم ، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامى وحَبَش ، وقال حبش خاصة : فيه للهذلى أيضاً ثانى ثقيل بالوسطى .

(١) عالج : رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيىء .
(٢) فى ف : « ونضرب »

أخبار العديل ونسبه

اسمه ونسبه

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمَى(1) بن الحارث — وهو العُكابة(2) — بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعْب ابن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعمىّ بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نِزار.

وقال أبو عبيدة: كان العُكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل، فلقّب باسم كلبه، وغَلَب عليه. قال: وكان عِجل من مُحمَّقى العرب، قيل له: إن لكل فرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابقٌ جواد، فسمِّه، ففقأ إحدى عينيه وقال: قد سمّيته الأعور، وفيه يقول الشاعر:

رمتنى بَنو عجل بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ فى الناس أحمقُ من عجل؟
أليس أبوهم عارَ عينَ جواده ... فصارتْ به الأمثالُ تضرب بالجهل(3)

هو ودابغ

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية، وكان له ثمانيةُ إخوة، وأمُّهم جميعاً امرأة من بنى شيبان، ومنهم من كان شاعرًا فارسًا: أسود وسوادة وشملة — وقيل سلمة — والحارث، وكان يقال لأمهم درماء.

وكان للعُديل وإخوته ابنُ عم يسمى عَمرًا، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم، فغضبوا ورصدوه ليضربوه، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً، فوثب العُديلُ وإخوتُه،

(1) كذا فى جمهرة أنساب العرب وفى س، ب «شَى» وفى هج: «ابن سيار».
(2) كذا فى جمهرة الأنساب، وفى هد، س، ب: «العباب».
(3) فى هد، هج: «فسارت به الأمثال فى الناس بالجهل».

فأخذوا سيوفَهم، فقالت أمهم: إنى أعوذ بالله من شرّكم، فقال لها ابنها الأسود: وأىّ شىء تخافينَ علينا؟ فوالله لو حلنا بأسيافنا على هذا الحىّ بنو قُراقر(١) لما قاموا لنا(٢) فانطلقوا حتى لقوا عَمْرًا، فلما رآهم ذُعِر منهم وناشدهم، فأبوا، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْرًا ضربة بالسيف، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة:

ألا من يشترى رِجلا برِجْل ... تأبَّى للقيام فلا تقوم

وقال عمرو لدابغ: اضربْ وأنت حرّ، فحمل دابغ، فقتل منهم رجلا، وحمل عمرو، فقتل آخر، وتداولاهم، فقتلا منهم أربعةً، وضُرب العُدَيل على رأسه، ثم تفرّقوا، وهربَ دابغ، حتى أتى الشأم، فداوى ربضةُ بن النعمان الشيبانىّ للعُديل ضربتَه، ومكث مدة.

ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجًّا، فقيل له إن دابغًا قد جاء حاجًّا، وهو يرتحل، فيأخذُ طريقَ الشأم، وقد اكترى. فجعل العُديلُ عليه الرصدَ، حتى إذا خرج دابغ ركب العديلُ راحلته وهو متلثّم، وانطلق يتبعه، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العُدَيل ويقول:

يادارَ سلمى أقفرتْ من ذى قارْ ... وهل بإقفارِ الديارِ من عارْ

وقد كسينَ عرَقًا مثل القارْ ... يخرجْن من تحتِ خلالِ الأوبار(٣)

فلحقه العُدَيل، فحبس عليه بعيرَهُ، وهو لا يعرفه، ويسيرُ رُويداً، ودابغ يمشى رُويداً، وتقدمت إبلُه فذهبت، وإنما يريدُ أن يباعده عنها بوادى حُنَين، ثم قال له العُدَيل: والله لقد استرخى حَقَبُ(٤) رَحلى، أنزِلْ فأغيّر الرحْلَ، وتُعينُنى. فنزل فغيّر

(١) قراقر: موضع حول ذى قار

(٢) ف: «لما قام لنا»

(٣) فى هج: «ظلال» بدل «خلال»، والشعر من السريع، ساكن الروى

(٤) الحقب كسبب: الحزام يلى حقو البعير.

الرَّحْلَ ، وجعل دابغٌ يُمينه ، حتى إذا شدّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السيف ، فضربه حتى بَرَدَ ، ثم ركب راحلته فنجا ، وأنشأ يقول :

أَلم ترنى جلّلتُ بالسيف دَابغا   وإن كان ثأرًا لم يُصبه غليلى
بوادى حنينٍ ليلةَ البدر رعتُه   بأبيض من ماء الحديد صَقِيلِ
وقلت لهم : هذا الطريقُ أمامكم   وَلم آلُ[1] إذ صاروا لهم بدَليل

وقال أبو اليقظان : كان العُديلُ هجا جرثومة العَنزىَّ الجِلاَّنِىَّ فقال[2] فيه :

جرثومة العنزى يهجو العديل

أُهاجى بنى جِلاّن إذ لم يكنْ لها   حديثٌ ولا فى الأولين قديم

فأجابه جرثومة فقال :

وإنّ امرأ يهجو الكرام ولم ينَل   من الثأر إلا دابغًا للئيمُ
أتطلُب فى جِلاّن وترًا ترومُه   وفاتك بالأوتار شَرٌّ غريمِ[3]

العديل يهرب من الحجاج

قالوا : واستعدى مولًى دابغ على العُديل الحجاجَ بن يوسف ، وطالبه بالقَوَد فيه ، فهرب العُديلُ من الحجاج إلى بلد الروم ، فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر ، فأمّنه ، وقال فى الحجاج :

أُخوَّفُ بالحجاج حتّى كأنّما   يُحرَّكُ عظم فى الفؤاد مَهِيضُ
ودون يد الحجاج من أن تنالَنى   بِساط[4] لأيدى الناعجات عَريض[5]
مهامه أشباه كأن سَرابَها   مُلاَءٌ بأيدى الراحضات رَحِيض[6]

(١) فى س ، ب : « ولم آل » ، وفى بعض النسخ « ساروا » بدل « صاروا » .
(٢) فى ب ، م : « الجلان » وهو تحريف
(٣) فى البيت إقواء .
(٤) بساط : أرض منبسطة مستوية
(٥) الناعجات : السريعات .
(٦) الراحضات : الغاسلات ، والرحيض : المغسول وفى هج : الغاسلات .

فبلغ شعرهُ الحجاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثنّ به أو لأغزينّك جيشاً يكون أوله عندك وآخره عندى ، فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجّاج لما أُدخل عليه : أأنت القائل :

ودون يد الحجاج من أن تنالنى ... فكيف رأيتَ اللهَ أمكَنَ منك ؟ قال : بل أنا القائل أيها الأميرُ :

فلو كنتُ فى سلمى أجَا وشعابِها   لكان لحجّاجٍ علىّ دليلُ

خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُهُ   لكلّ إمامٍ مصطفًى وخليلُ

بَنَى قُبّةَ الإسلامِ حتى كأنّما   هَدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ

فخلّى سبيله ، وتحمل دِيَةَ دابغ فى ماله .

أخبرنى عمى وحبيب بن نصر المهلبىّ ، قالا : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن منصور بن عطية الغنوىّ قال : أخبرنى جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبى عثمان البقطرىّ[1] قال :

الحجاج يعفو عن العديل

خرج العُديلَ بن الفَرْخ يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجبه الحاجبُ ، فوثب عليه العُديلُ ، وقال : إنه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أكبرُ منى ولا أولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيدَ بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتجَ الحجاجُ بالبخل بابَه   فباب الفتى الأزدىّ[2] بالعُرف يُفتحُ

فتًى لا يُبالى الدهرَ ماقلّ مالُه   إذا جعلتْ أيدى المكارم تَسنحُ

يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ماحوتْ   وأخرى على الأعداء تَسطو وتجرحُ

(١) نسبة إلى بقطر : موضع بصعيد مصر على شاطىء مدينة قفط شرقى النيل .
(٢) يقصد بالفتى الأزدى يزيد بن المهلب .

اذا ما أتاه المرملون(١) تيقنوا بأن الفتى فيهم سيمشى ويسرح
أقام على الساقين حرّاسَ بابِهِ ينادونهم وَالحرُّ بالحرِّ يفرحُ
هلموا إلى سَيْبِ الأمير وَعُرفِهِ فإنّ عطاياه على الناس تنفحُ
وليس كحجاج من تمودَ بكفِّهِ من الجودِ وَالمعروف حزم مطرَّح(٢)

فقال له يَزيدُ : عرّضْتَ بنا وَخاطرْتَ بدمك ، وَ بالله لا يصلُ إليك وَأنت فى حيِّزى ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله(٣) على أفراس ، وَقال له : الحق بمياه نجد ، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجاج أو تحتجنك محاجِنهُ(٤) ، وابعث إلىَّ فى كل عام ، فلك علىَّ مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجاجَ خبرُه ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُديلَ ، ففاته ، وقال لما نجا :

ودونَ يد الحجاج من أن تنالَنى بساطٌ لأيدى الناعجاتِ عريضُ

قال : ثم ظَفِر به الحجاج بعد ذلك ، فقال : إيه ، أنشدنى قولَكَ :

* ودون يد الحجاج من أن تنالنى *

فقال : لم أقل هذا أيها الأمير ، ولكنى قلت :

إذا ذُكر الحجاجُ أضمرتُ خيفة لها بين أحناء الضلوع نَقيضُ

فتبسم الحجاجُ ، وقال : أولى لك ا وعفا عنه ، وفرضَ له .

وقال أبو عمرو الشيبانى : لما لجَّ الحجاج فى طلب العُدَيل لفظته الأرض ، ونبا به سادت بكر بمعو- له عند الحجاج كلُّ مكان هربَ إليه ، فأتى بكرَ بنَ وائل ، وهم يومئذٍ بادُون جميعٌ منهم بنو شيبان

(١) المرملون : من نفد زادهم
(٢) فى س ، ب « مطرح »
(٣) فى س ، ب « وأمر له »
(٤) محاجنه : عصيه المعوجه التى يحتجن الناس بها كالخطاطيف .

١٤ وبنو عجل وبنو يشكر ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتسلموننى ،
٢٠ هكذا وأنتم أعز العرب ؟ قالوا : لا والله ، ولكن الحجاج لا يُراغَم ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كُفينا ، وأن حادَّنا فى أمرك منعناكَ ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهَبَك لنا . فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج ، فقالوا له : أيها الأميرُ ، إنا قد جنينا جميعاً عليك جنايةً لا يُغفرُ مثلُها ، وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت ، وإمَّا عاقبتَ ، فكنتَ الظالمَ اللائمَ العادل . فتبسّم ، وقال : قد عفوتُ عن كل جرم إلا جُرْمَ الفاسق العُديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا : مثلك أيها الأمير لا يَدَ تثنى على أهل طاعته وأوليائه فى شىء فإن رأيتَ ألّا تكدِّر منتك بإستثناء ، وأن تهبَ لنا العُديل فى أول من تهب لنا قال : قد فعلت ، فهاتوه قبَّحه الله ، فأتوه به ، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقولُ :

فلو كنتُ فى سلمى أجاً وشعابِها ... لكان لحجّاجٍ علىَّ دليلُ
بنى قبَّة الإسلامِ حتى كأنَّما ... هدى الناسَ من بعدالضلالِ رسولُ
إذا جار حُكْمُ النَّاس ألجا حكمَه ... إلى الله قاضٍ بالكتاب عقولُ
خليلُ أمير المؤمنين وسيفُه ... لكل إمامٍ صاحبٌ وخليلُ
به نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمُ ... وثبّتَ مُلكاً كادَ عنه يزولُ

— ويروى : به نصرَ اللهُ الإمامَ عليهم —

فأنت كسيفِ اللهِ فى الأرض خالدٍ ... تصولُ بعونِ الله حين تصولُ
وجازيتَ أصحابَ البلاء بلاءهم ... فما منهمُ عمّا تُحِبُّ نُكولُ
وصُلتَ بمرّان[1] العراقِ فأصبحتْ ... مناكبُها للوطء وهى ذَلولُ

(١) مران العرلق : قرية كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع لبنى هلال وهى على طريق البصرة

— (١ أقام الواحد مقام الجمع في قوله : ذلول ١) —

أذقت الحمامَ ابني عُبَادٍ فأصبحوا ... بمنزل موهونِ الجناح شكولِ(٢)
ومن قَطَريٍّ نابَ ذاك وحوله ... كتائبُ من رَجّالة وخيولُ
إذا ما أتت باب ابنِ يوسفَ ناقتي ... أتتْ خيرَ منزولٍ به ونزيلِ(٣)
وما خفتُ شيئاً غيرَ ربّي وحدَه ... إذا ما انتحيتُ النفسَ كيفَ أقولُ؟
ترى الثقلينِ الجنّ والأنسَ أصبحا ... على طاعة الحجّاج حينَ يقولُ(٤)

فقال له الحجّاج : أولى لك فقد نجوتَ ! وفرض له، وأعطاه عطاءه، فقال يمدح سائر قبائلَ وائل، ويذكر دفعَها عنه، ويفتخرُ بها :

صَرمَ الغواني واستراح عواذلي ... وصحوتُ بعد صَبابة وتمايُلِ
وذكرت يوم لوى عتيقٍ نسوةً ... يخطِرن بين أكلّة(٥) ومراحلِ(٦)
امرَ النعيمُ بهنّ في أطلاله ... حتى لبسنَ زمانَ عيشٍ غافلِ

صوت

يأخذنْ زينتهنّ أحسنَ ما ترى ... وإذا عطِلن فهنّ غيرُ عواطلِ
وإذا خبأن خدودَهنّ أريْننا ... حدَقَ المها وأخذْنَ سهم القاتلِ

(١-١) تكملة من هد، هج.
(٢) في البيت إقواء
(٣) في البيت إقواء أيضا.
(٤) في س، ب : «يصول».
(٥) أكلة : جمع إكليل بعد حذف همزته، كدليل وأدلة.
(٦) مراحل : ثياب فيها صور الرحال.

ومهورة نَفْسى لا يستترن بجُنَّة ... إلا الصِّبا وعلمن أين مَقاتلى
يلبسن أرديةَ الشباب لأهلها ... ويجرُّ باطلُهنَّ حبلَ الباطلِ

الغناء فى هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثانى ثقيل بالوسطى من رواية يحيى المكى، وذكر الهشامى أنه من منحول يحيى المكى إلى ابن سُريج .

بيضُ الأنُوق[1] كأنّهن[2]، ومن يُرِدْ ... بَيْضَ الأنوق فوكرُها بمعاقلِ
زعم الغوانى أن جهلك قد صحا ... وسوادَ رأسك فيه شيبٌ شاملِ[3]
ورآك أهلُكَ منهمُ ورأيتَهم ... ولقد تكونُ مع الشباب الخاذل
وإذا تطاولتِ الجبالُ رأيتَنا ... بفروع أرعَنَ فوقها متطاولِ
وإذا سألت ابنَىْ نزارٍ بيننا ... مَجْدى ومنزلتى من ابنَىْ وائلِ
حدثتك بنو بكر علىَّ وفيهمُ ... كلُّ المكارم والعديدِ الكاملِ
خطروا ورائى بالقنا وتجمّعت ... منهم قبائلُ أُردفوا[4] بقبائلِ
إن الفوارسَ من لُجَيمٍ[5] لم تزَل ... فيهم مهابةُ كلِّ أبيضَ ناعلِ
متعمِّم بالتاج يسجدُ حولَه ... مِنَ آل هَوذةَ[6] للمكارم حاملِ
أو رهط[7] حنظلة الذين رماحُهمْ ... سمُّ الفوارس حتفُ موتٍ عاجلِ

(١) الأنوق : العقاب ، ويقال : أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه فى أوكارها فى القلل الصعبة فلا يكاد أحد يظفر به .

(٢) فى س ، ب : « يكسرهن » وهو تحريف .

(٣) فى مج « ومشا برأسك » بدل « وسواد رأسك »

(٤) فى ت « أردفت » .

(٥) لجيم بن صعب بن وائل .

(٦) هو هوذة بن على وفد على كسرى وقاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

(٧) من بنى عجل بن لجيم

قوم إذا شَهَرُوا السيوف رأَوْا لها حقًّا ولم يك سَلُّها للباطلِ
ولئن فخرتُ بهم لمثلِ قديمهم بسَمَا المُفاخر قال آن القائلِ
أولاد ثعلبة[1] الذين لمثلهم حِلْم الحليم وردُّ جهلِ الجاهلِ
ولَمَجْدُ يشكرَ[2] سَوْرَةٌ عاديَّةٌ وأب إذا ذكروه ليس بخاملِ
وَبنو القدارِ اذا عددتَ بيوتَهم وضَحَ القديمُ لهم بكل محافلِ
وإذا فخرتَ بتغلبَ ابنةِ وائل فاذكر مكارمَ من ندًى وشمائل[3]
وابنا أبي الغلباء عزٌّ بيِّنٌ عاديَّة[4] ويزيد فوقَ الكاهلِ
تسطو على النعمان وابنِ محرِّق[5] وابنى قَطَامِ بعزة وتناولِ
بالمقربات[6] يبتْنَ حول رحالهم كالقِدِّ بعد أجلّة وصواهل
أولاد أعوجَ[7] والصريح[8] كأنها عقبانُ يوم دُجُنَّةٍ ومخايل[9]
يلفظن بعد أزومهن[10] على الشبا[11] علقَ[12] الشكيمِ بألسُن[13] وجحافل

(١) هو ثعلبة بن حنظلة .
(٢) يشكر بن بكر بن وائل .
(٣) فى س ، ب : «أوائل» .
(٤) فى هج : « أحلام ثوت » بدل « عز بين » .
(٥) هو عمرو بن هند .
(٦) المقربات : جمع مقربة ، وهى الفرس تدنى وتكرم .
(٧) فحل من الخيل لبنى هلال تنسب إليه الخيل الأعوجيات .
(٨) اسم فرس كريم لعبد يغوث بن حرب وآخر لبنى نهشل وثالث للخم
(٩) كذا فى ف وهى جمع المخيلة : السحابة التى تحسبها ماطرة وفى بعض النسخ : تخايل ، وفى س ، ب : تخايل
(١٠) أزومهن : عضهن .
(١١) الشبا : اسم جمع شباة وهى حد كل شىء .
(١٢) علق : كل مايعلق بغيره
(١٣) الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام

قوم هم قتلوا ابن هند عَنْوة ... وقنا الرماح تذودُ وِرْدَ الناهل
منهم أبو خِرَاش(١) وكان بكفّه ... رِىٌّ السِّنان ورىٌّ صدرِ العامل
ومُهاوِل الشعراء إن فخَروا به ... وندى الكُلَيْبِ عنه فضلِ النائل
حَجَب المنيَّةَ دون واحد أمّه ... من أن تبيتَ وصدرُها ببلابلِ
كفى مجالسة الشَّباب(٢) فلم يكنْ ... يُشتمُ(٣) مجلسُه وحقِّ النازلِ
حتى أجارَ على الملوك فلم يدعْ ... حَرِبًا(٤) ولا صَعَراً لرأس مائلِ
فى كل حىٍّ للهُذيل ورهطِه ... نَعَم وأخذُ كريمةٍ بتناولِ
بيضٌ كرائمُ ردَّهن لعَنوة ... أسلُ القَنا وأخذنَ غيرَ أراملِ
أبناؤهنَّ من الهُذيل ورهطِه ... مثلُ الملوك وعشنَ غيرَ عواملِ

وقال أبو عمرو أيضاً : قال: العُدَيل لرجل من موالى الحجّاج كان وجّهه فى جيش إلى بنى عِجْل يطلب العُديل حين هرَبَ منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إبلَه، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته وأخذ حُليَّهن ، فدخل العُديلُ يوماً على الحجّاج ومولاه هذا بين يديه واقف ، فتعلّق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول :

صوت

سلبتَ بناتى حَلْيَهنّ فلم تدعْ ... سِواراً ولا طَوْقاً على النحر مُذْهبا

— هكذا فى الشعر : سلبتَ بناتى ، والغناء فيه : سلبتَ الجوارى حَلْيَهن —

وما عزَّ فى الآذان حتى كأنما ... تُعَلَّل بالبيض الأَوانسِ رَبْربا

(١) هو عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ، من الأوس
(٢) فى س ، ب « وأبى مجالسة الشباب »
(٣) فى ب : يتشاتم
(٤) فى س ، ب : « حدبا »

عواطلُ إلا أن ترى بخدودها قسامةَ[1] عتق أوَ بنانا مُخضَّبا
فككتَ البُرينَ[2] عن خِدَال[3] كأنها بَرادىُّ[4] غِيلٍ[5] ماؤه قد تنضَّبا[6]
من الدُّرّ و الياقوتِ عن كل حُرّةٍ ترى بينها بين الجُمان مُثقَّبا
دَعَوْن أميرَ المؤمنين فلم يجب دعاء ولم يُسمعن أمًّا وَلا أبَا

غنّى فى الأول والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبى الهمذانىّ ثان ثقيل بالسبابة فى مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفيهما ثقيل أول بالسبابة والوُسطى ، نسبه ابن المكى إلى عبد الرحيم الدَّفّاف ، ونسبه الهشامىّ إلى عبد الله بن العباس .

وقال أبو عمرو الشيبانى : أصاب رجل من رهط العُديل من بنى العكابة أنف رجل من بنى عِجل يقال له جَبّار ، فقال العُديلُ فى ذلك — وكان عَدُوًّا له :

أصاب رجل من رهط العديل أنف رجل من عجل فقال العديل فى ذلك شعرا

ألم تر جبّاراً ومارِنَ ألفه له نَلَمٌ يهوين أن يتنخّما[7]
ونحنُ جَدَعْنا أنفَه فكأنما يَرَى الناسَ أعداء إذا هو أظلَما
كُلُوا أنفَ جَبّار بِكاراً[8] فإنما تركناه عن فَرَطٍ من الشرِّ أجدعا
مماقدُ من أيديهمُ وأنوفهمْ بِكارا ونِيبًا[9] تركبُ الحَزْنَ ظُلَّعا[10]

(١) قسامة : حسن .
(٢) البرين : جمع برة وهى هنا الخلخال .
(٣) خدال السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة .
(٤) برادى : جمع بردى بفتح الباء ، وهو نبات مائى يكتب على أوراقه إذا جفت .
(٥) غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .
(٦) تنضب : غار وذهب ماؤه ، ولعله مطاوع نضب ، ولم نجده فى المعاجم التى بأيدينا .
(٧) يتنخم : يلقى أو يرمى نخاعته .
(٨) بكارا : مسرعين مبادرين .
(٩) فى س ، ب : «وشيبا» .
(١٠) ظلعا : غامزة فى مشيتها من الإعياء ، جمع ظالع .

قال : وكان رَجلٌ[1] من رَهط العُدَيل أيضاً ضربَ يد وكيع أحدِ بنى الطاغية ، وهما يشربان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العُديلُ وأبوه إلى بنى قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخر بقطع أنف جبَّار ويد وكيع ؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفه ويدَه دَون من فَعلَ ذلك بهم ، فلجأ إلى عُفَير بن جُبَير بن هلال بن مُرة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العُديلُ فى ذلك :

تركتُ وكيعاً بعد ما شاب رأسُهُ ... أشلَّ اليمين مستقيمَ الأخادِعِ[2]
فَتَشْرَبُ[3] بهاوُرْقَ[4] الإفال[5] وكُلْ بها ... طعامَ الذليل وانجحِرْ[6] فى المخادِعِ

فقالت بنو قَيس بن سعد للفَرخ أبى العديل : يافرخُ ؛ أنت من قومك ، وأعطهم حقهم ، فركب إليهم الفرخُ ، ومعه حسَّانُ بن وقَّاف ودينار (رجلان من بنى الحارث) ١٧ ٢٠
فأسرته بنو الطاغية ، وانتزعوه من الرجلين ، وتوجَّهوا به نحو البصرة ، فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم ، فركب النفير فى طلب بنى الطاغية ، فأدركوا منهم رجلا فأسروه [7] بدل الفرخ . ثم إن عُفَيْرًا لَحِقَ بهم [7] ، فاشترى منهم الجراحةَ بستين بعيرًا ، وأخذ الفرخ منهم فأطلقه ، فقال العُديلُ فى ذلك:

مازال فى قيسِ بن سعد لجارهمْ ... على عَهدِ ذى القرنين مُعْطٍ ومانعُ
هم استنقذوا حسَّانَ قسراً وأنتمُ ... لئام المقام والرماحُ شوارعُ
غدرتم بدينارٍ وحسَّان غَدرةً ... وبالفَرخ لما جاءكم وهو طائعُ

(١) فى س ، ب: كان رهط العديل .
(٢) الأخادع : جمع أخدع وهو شعبة من الوريد .
(٣) كذا فى ف ومعناه أطعم بها ، وفى س ، ب : « تشرب ».
(٤) ورق : جمع أورق وهو مافى لونه بياض إلى سواد .
(٥) الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل وقد يجمع على أفائل على غير قياس .
(٦) فى س ، ب « انحجر » .
(٧-٧) تكملة عن ف .

فلولا بنو قيسِ بن سعد لأصبحتْ … علىّ شداداً(1) قَيْنُهنّ الأصابعُ
ألا تسألون ابن الشتّم عنهم … جُمامةَ والجيرانُ وافٍ وظالع(2)

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدثنا الرّياشي عن الأصمعيّ قال: قال أبو النجم للعُدَيل بن الفرخ: أرأيت قولك:

فإن تك من شيبانَ أُمّي فإنّني … لَأبيضُ عجليٌّ عريضُ المَفارقِ؟

أكنتَ شاكًّا في نسبك حين قلتَ هذا؟ فقال له العُدَيل: أفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت:

أنا أبو النجم وشعري شعري … لله دَرِّي ما يُجِنُّ صدري

فأمسك أبو النّجم واستحيا.

العديل ومالك بن مسمع

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشيّ عن العتبيّ قال: حَمَل زيادٌ إلى معاوية مالًا من البصرة، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسْمَع، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب في حياته، واستغاثوا به وقالوا: يُحمَلُ المال، ونبقى بلا عطاء. فركب مالك في ربيعة، واجتمع الناسُ إليه فلحق بالمال فردّه، وضرب فُسطاطًا بالمِربد، وأنفق المالَ في الناس حتى وفّاهم عطاءهم، ثم قال: إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا، فما راجعه زياد في ذلك بحرف، فلما ولِيَ حمزةُ بن عبد الله بن الزبير البصرة جمع مالا ليحمله إلى أبيه، فاجتمع الناس إلى مالك، واستغاثوا به، ففعل مثل فعله بزياد، فقال العُديلُ بنُ الفَرْخ في ذلك:

إذا ما خَشِينا من أميرٍ ظُلامة … دعونا أبا غسّانَ يوما فعسكرا
ترى الناسَ أفواجًا إلى باب داره … إذا شاء جاءوا دارِعينَ وحُسَّرا(3)

(1) في ف: «شديدا»
(2) ظالع: غامز في مشيه
(3) حسر: جمع حاسر: من لا سلاح معه

وأول هذه القصيدة :

أمِنْ منزلٍ من أمّ سَكْن عشيّةً ظَلِلْتُ به(١) أبكى حزينا مُفكّرا
مغى كلّ مُسترخى الإزار كأنه إذا ما مشى من جنِّ غِيل وعَبْقَرا(٢)
يُزجّى(٣) المَطَايا لايبالى كليهما(٤) مُقَلّصةً(٥) خُوصا(٦) من الأيْن(٧) ضُمَّرا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى علىّ بن الحسن الشيبانىّ قال : حدثنى عباءة بن عِصْمة بن معبد القَيْسِىّ قال : حدثنى
98 جاى أبو أمى فِراس بن خِنْدِف، عن أبيه، عن جده علىّ بن شَفيع قال :
19

لقى الفرزدقَ منصرفَه عن بكر بن وائل ؛ فقال له : يا أبافِراس : مَنْ شاعرُ بكر

العديل شاعر بكر ابن وائل

ابن وائل مِمّن خلّفتَه خلفك ؟ قال : أُمَيم بنى عِجل ؛ يعنى العديلَ بنَ الفرخ — على أنه ضائع الشعر، مسروقُ الأبيات.

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعىّ عن إسحاق عن الهيثم بن عدىّ، عن حماد الراوية قال :

لما قدم الحجّاجُ العراقَ قال العُديل بنُ الفَرخ :

دعوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنّما يُهان ويُسبَى كلُّ من لا يقاتلُ

مدح أو تحريض

لقد جرّد الحجاجُ لِلحقِّ سيفَه ألا فاستقيموا لا يَميلنّ مائلُ

(١) فى س، ب : « بها »
(٢) غيل وعبقر : مكانان تزعم العرب أنهما من مساكن الجن .
(٣) فى س، ب : « يزجى »
(٤) فى س، ب : « كلاهما »
(٥) فى س، ب : « ملفصة »، ومعناها مسرعة .
(٦) خوص : جمع خوصاء أى غائرة العين
(٧) من الأين : من التعب

وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم كَنَزْوِ القطا ضمّت عليه الحبائلُ
وأصبح كالبازى يقلّبُ طرفَه على مرقب والطيرُ منه دواحلُ(١)

قال : فقال الحجاج — وقد بلغته — لأصحابه : ما تقولون؟ قالوا : نقول : إنه مدحك ، فقال : كلاّ ولكنه حرّض علىّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرَب وقال :

أخوّفُ بالحجاج حتى كأنما يُحرّكُ عظم فى الفؤاد مهيضُ
ودون يدَى الحجّاج من أن تنالَنى بِساطٌ لأيدى الناعجات عَرِيضُ
مهامهُ أشباه كأنّ سرابَها مُلاءٌ بأيدى الغاسلات رَحِيضُ

فجدّ الحجاجُ فى طلبه حتى ضاقت عليه الأرضُ ، فأتى واسطًا ، وتنكّر ، وأخذ رُقعةً بيده ، ودخل إلى الحجّاج فى أصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقول :

هأنذا ضاقتْ بىَ الأرض كلُّها إليكَ وقد جوّلتُ كلَّ مكان
فلو كنتُ فى ثهلان(٢) أو شعبتَى أجَا لخِلتُكَ إلا أن تُصَدَّ ترانى

فقال له الحجاج : العديلُ أنتَ ؟ قال: نعم ، أيها الأمير ، فلَوى قضيبَ خيزُران كان فى يده فى عنقه ، وجعل يقول : إيه

* بساط لأيدى الناعجات عريض *

فقال : لا بِسَاط إلاّ عفوُك ، قال : اذهب حيث شئت :

أخبرنى محمدُ بنُ خلف بن المرزُبان قال : حدثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال : حدثنا العُمَرىّ ، عن الهيثم بن عدِىّ ، عن ابن عياش قال :

حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعى يتنازعان الشرف

كان حوشب(٣) بن يَزيد بن الحُويرث بن رُوَيْم الشيبانىّ وعِكرِمَة بن رِبعىّ البكرىّ ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان فى إطعام الطعام ونحر الجُزُر فى عسكر مصعب ،

(١) دواحل ، معناها فارة ومستترة وفى س ، ب: « رواحل » .
(٢) ثهلان : جبل لنمير
(٣) فى جمهرة الأنساب : « هو حوشب بن ريط بن الحارث بن يزيد بن رويم » .

وكاد حوشب يتلف بعكرمة لسخاء يده. قال: وقدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسار مولى بُجَير — قال: وهو زوج أم شُعْبة الفقيه — بسفائنِ دقيق، فأتاه عكرمة فقال له: اللهَ اللهَ فيَّ، قد كاد حوشب أن يتلفني، ويناظرني بماله، فبِعْني هذا الدقيقَ بتأخير، ولك فيه مثلُ ثمنه ربحًا، فقال: خذه، وأعطاه إياه، فدفعه إلى قومه، وفرّقه بينهم، وأمرهم بعجنه كلِّه، فعجنوه كلَّه، ثم جاء بالعجين كلِّه، فجمعه في هُوّة عظيمة، وأمر به فغُطِّيَ بالحشيش، وجاء برَمَكةٍ[1]، فقرّبوها إلى فرس حوشب، حتى ألقحها، وأفلتت، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعها، حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس، حتى تورّطا في العجين وبقيا فيه جميعًا، وخرج قومُ عكرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين، أدركوا فرسَ حوشب، فقد غرق في خميرة عكرمة، فخرج الناس تعجّبًا من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس، فلم يبق في العسكر أحدٌ إلا ركب ينظر، وجاءوا إلى الفرس — وهو غريق في العجين ما يبين منه إلا رأسُه وعنقُه — فما أُخرج إلا بالعُمُد والحِبال، وغلب عليه عكرمة، وافتضح حوشب، فقال العُدَيل بن الفرخ يمدحهما، ويفخر بهما:

وعكرمةُ الفيّاضُ فينا وحوشبٌ ... هما فتيا الناسِ اللّذا لم يُغَمَّرا
هما فتيا الناسِ اللذا لم يَنَلْهما ... رئيسٌ ولا الأقيالُ من آل حِمْيَرا

قال: وفي حوشب يقولُ الشاعر:

وأجوَدُ بالمال من حاتم ... وأنحرُ للجزْر[2] من حوشب

أخبرني محمدُ بنُ يونس الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن عبيد، عن الأصمعيّ قال: دخلتُ على الرشيد يومًا وهو محموم فقال: أنشدني يا أصمعي شعرًا مليحًا، فقلت: أرصينًا

(١) الرمكة: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل.
(٢) في ف: للبزل جمع بازل: البعير القوى في تاسع سنيه.

شعر العديل بين السهل والفحل

فخلاً تُريده يا أميرُ المؤمنين أم سهلا ؟ فقال : بل غَزَلا بين الفَحْل والسهل ، فأنشدته للعُدَيل بن الفَرْخ العِجْلىّ :

صحا عن طِلاب البِيضِ قبل مَشيبه — وراجع غَضَّ الطرف فهو غَضِيضُ
كأنِّىَ لم أرعَ الصِّبا ويروقُنى — من الحىِّ أحْوى المقلتين غَضِيضُ
دَعانى له يوما هوًى فأجابَه — فُؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ
لمُسْتأنِساتٍ بالحديثِ كأنّه — تهلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهنّ وَمِيضُ

فقال لى : أعدْها ، فما زلتُ أُكررها عليه ، حتى حفظها .

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال : حدثنى الرياشىّ ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال :

موته ورثاء الفرزدق له

قدم العُدَيل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مِسْمَع الجحْدرىّ ، فوصله ، فأقام بالبصرة ، واستطابها ، وكان مقيما عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادمُ الفرزدق ، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولَدَتْ مثلَ العُدَيلِ حليلةٌ — قديما ولا مستحدثَاتُ الحلائل
وما زال مذ شَدّتْ يداه إزاره — به تَفتَحِ الأبوابَ بكرُ بن وائلِ

صـوت

إنى بدَهماء عزَّ ما أجدُ عاودنى من حِبابها زُؤُدُ
عاودنى حبُّها وقد شَحَطَتْ صرفُ نواها فإننى كَمِدُ

قوله : « عزَّ ما أجد » أى : شدَّ ما أجد. وحبابُها : حبّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛ والزُّؤُدُ : الفزع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذى تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأت . والكمد : شِدَّةُ الحزن .

الشعر لصخر الغَيِّ الهُذَلىّ ، هكذا ذكر الأصمعىّ وأبو عمرو الشيبانىّ ، وذكر إسحاق عن أبى عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون فى هذه القصيدة فيرويها بعضهم لصَخْر الغَىّ ، ويرويها بعضهم لعمرو ذى الكلب ، وأن الهيثم بن عدىّ حكى عن حمّاد الراوية أنها لعَمرو ذِى الكلب .

أخبار صخر الغى ونسبه

اسمه ونسبه

هو صخرُ بن عبد الله الخَيْثَمى، أحد بنى خَيْثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد ابن هُذَيل. هذا أكثر ما وجدته من نسبه، ولقب بصخر الغىّ لخلاعته، وشدة بأسه، وكثرة شرّه. ٢٠ ٢٠

فمن روى هذه القصيدة له، ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبنى خُناعة بن سعد بن هُذيل من بنى الرمداء كان جاورهم رجل من بنى مُزينة، وقيل: إنه كان جاراً لأبى المثلّم الشاعر، وهو أخوهم، فقتله[1] صخر الغىّ فمشى أبو المثلم إلى قومه، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزنى، والإدراك بثأره، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلّم وما فعله، فأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول:

وَلستُ عبداً للموعِدِينَ ولا أَقبَلُ ضَيْماً أتَى به أحدُ
جاءت كبيرٌ كيما[2] أُخَفِّرَها والقومُ صِيدٌ كأنّهم رَمِدوا
فى المزنىّ الذى حَشَشْتُ[3] به مالَ ضَرِيكٍ[4] تِلادُه نَكِدُ
إن أُمسِكْه فبالفِداء وإن أُقتَلْ بنفى فإنه قَوَدُ

ولصخر وأبى المثلم فى هذا مناقضات وقصائدُ قالاها، وأجاب كلُّ واحد منهما صاحبه، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب.

---

(١) فى س، ب: «فرآه» ولا معنى له.
(٢) فى س، ب: «كثيرا كيما أحقرها».
(٣) حششت: قويت.
(٤) كذا فى ف والديوان وهو الفقير السيىء الحال وفى س، ب: «طريف».

وحكى الأثرم عن أبى عبيدة أنه حدّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمحىّ قال:

الأعلم العداء

كان الأعلم أخو صخر الغىّ أحدَ صعاليك هُذيل ، وكان يعدو على رجليه لا يُلحَق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخَير أصبحوا تحت جبل يقال له السِّطاع[1] ، فى يوم من أيام الصيف شديد الحر وهو متأبّط قِربة لهم فيها ماء ، فأيبستها السَّموم ، وعطشوا حتى لم يكادوا يبصروا مِنْ العطش ، فقال الأعلم لصاحبيه : أشرب من القربة لعلى أن أرد الماء فأروى منه والزما مكانكما ، وكانت بنو عدىّ بن الدّيل على ذلك الماء وهو ماء الأطواء[2] ، بنخل متأخّر عن الماء قدرَ رَمية سهم . فأقبل يمشى متلثّمًا ، وقد وضع سيفه ونَبله فيما بينه وبينَ صاحبه ، فلما برز للقوم مشى رُويدًا مشتملًا ، فقال بعض القوم : ترون الرجلَ ؟ فقالوا : نراه بعضَ بنى مُدلِج بن مرة .

ثم قالوا لبعضهم : الْقَ الفتى ، فاعرفْه ، فقال لهم : ما تريدون بذلك ؟ هو آتيكم إذا شَرِب ، فدعوه فليس بمفيتنا ، فأقبل يمشى حتى رمى برأسِهِ فى الماء مُدْبِرًا عنهم بوجهه ، فلما رَوِىَ أفرغ على رأسه من الماء ، ثم أعاد نِقابه ، ثم ولّى طريقه رُويدًا ، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء : هل عرفتَ الرجل الذى ورد ؟ قال : لا ، فقالوا : فهل رأيتَ وجهَه ؟ قال : نعم ، هو مشقوق الشَّفة ، فقالوا : الأعلَم ، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهم آخر ، فعَدَوْا فى أثره ، وفيهم رجل يقال له : جُذَيمة لَيس فى القوم مثلُه عدوًا ، فأغروْه به ، وطردوه فأعجزهم ، ومرّ على سيفِهِ وقوسه ونَبله ، فأخذه ، ثم مرّ بصاحبَيْه فصاح بهما فضبرا[3] معه فأعجزوهم ، فقال الأعلم فى ذلك :

(١) سطاع ، بكسر أوله : جبل بينه وبين مكة مرحلة ونصف من جهة اليمين

(٢) كذا فى شرح السكرى لديوان الهذليين ، ولعل المراد بالأطواء قرية باليمامة أو عامر ، وفى س ، ب : «أطوانهم» ، ولم نعثر له على معنى .

(٣) ضبرا معه : عدوا معه .

لما رأيتُ القومَ بالـ علياء دون قِدى(١) المناصب(٢)

وفَرِيتُ(٣) من فزعٍ فلا أرمى ولا ودَّعتُ صاحبْ

٢٠ يُغْرون صاحبهم بنا جَهْدًا وأغرى غيرَ كاذبْ(٤)

٢١ أُغرى أخى(٥) صخرا ليُجْـزِهم وقد لاذوا بالحلائب(٦)

وخشيتُ وقعَ ضريبةٍ(٧) قد جُرِّبتْ كلَّ التجاربْ

فأكونَ صيدَهُمُ بها وأسيرَ(٨) لأشْيَعِ السوّاغبْ

جَزَرًا وللطير المُربّـة(٩) والذئابِ وللثعالبْ

(١) كذا فى ف والديوان ومعناه قدر ، وفى س ، ب : قرى ، وهو تحريف . والمناصب : الأغراض والمرامى

(٢) المناصب : المبارى المنافس

(٣) فريت : تحيرت ودهشت

(٤) فى هج ، هد : وأغرى كل كاذب

(٥) فى الديوان : « أبا وهب » .

(٦) الحلائب : الجماعات جمع حلبة غير قياس

(٧) ضريبة : سيف .

(٨) كذا فى الديوان وفى النسخ : للذئب بدل وأسير

(٩) الربة : المقيمة الملازمة

وهى قصيدة طويلة .

صـ و

وقالوا جميعاً : خرج صخرُ الغىّ وأخوه أبو عمرو فى غزاة لهما ، فباتا فى أرض رَملة ، فنهشت أخاه أبا عمرو حيّة ، فمات ، فقال يرثيه :

صخر يرثى أخاه أبا عمرو

لعمرُ أبى عمرو لقد ساقه المنَا إلى جَدَثٍ يُوزَى لهُ بالأهاضبِ
لحيّةِ جُحرٍ فى وجار(1) مقيمةٍ تنمّى(2) بها سوقُ المنَا والجوالبِ
أخى لا أخاَ لى بعده سبقت به منيّتُه جمعَ الرُّقى والطبائبِ
وذلك مما يُحدث الدهرُ إنه له كل مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ

يوزى له : يعنى له والإزاء : مهراق الدلو · والأهاضب : الجبال —

وقال الأثرمُ عن أبى عبيدة : خرج صخرُ الغىّ فى طائفة من قومه يقدُمها خوفاً من أبى المثلّم ، فأغار على بنى المصطلق من خُزاعة ، فانتظر بقية أصحابه ، وَنَذِرَت به بنو المصطلق ، فأحاطوا به فقال :

لو أن أصحابى بَنُو معاوية أهلُ جُنوب(3) النخلة الشاميه
ورهطُ دُهمانٍ وَرهطُ عادية ما تركونى للذئاب العاويهْ

وجعل يرميهم ويرتجز ويقول :

لو أن أصحابى بنُو خُناعَهْ أهلُ النَّدى والمجدِ والبرَاعهْ

(1) الوجار : كل جحر يسكن فيه حنش من أحناش الأرض
(2) تنمى : ارتفع .
(3) جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية

تمـ ـ جلود البَقَر القرّاعة(١) انعوا من هذه البراعه(٢)

وقال أيضاً وهُو يقاتلهم :

لو أن حولي من قُرَيمٍ(٣) رَجْلاً   بيضَ الوجوه يحملونَ النَّبلا
لامنعوني نجدةً وَرِسْلا   سفع الوجوه لم يكونوا عُزْلا

مقتل صخر ورثاؤه

يقول : لمنعوني بنَجدة وشِدّة وَعلى رِسلهم بأهونِ سَعي . قال : فلم يزلْ يُقاتلهم حتى قتلوه —

رثاء أبي المثلم له

وَبلغ ذلك أبا المثلّم ، فقال يَرثيه :

لو كان للدهر مالٌ عند مُتلِده   لكَان للدَّهر صخرٌ مالَ قُنْيانِ(٤)
آبى الهضيمة آتٍ(٥) بالعظيمة مِتْـ   لافُ الكريمة لا سِقطٌ ولا واني
حامي الحقيقة نسّالُ(٦) الوديقة(٧) معـ   تاقُ الوسيقة(٨) جَلْدٌ غير ثِنْيانِ(٩)
رَقّاء(١٠) مرقَبة ، منّاعُ مَغْلبةٍ   ركّابُ سلهبةٍ(١١) ، قطاعُ أقرانِ(١٢)

(١) القراعة : الصلابة .
(٢) البراعة : الضعيف ، وفي الديوان : « المراعة »
(٣) قريم : حي من هذيل
(٤) في س ، ب : « قينان » تحريف
(٥) في الديوان وفي ف « نائب » .
(٦) سآل : مسرع
(٧) الوديقة : شدة الحر
(٨) الوسيقة : الطريدة ، يريد أنه إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها والعرب تقول: فلان يحمي الحقيقة ، وينسل الوديقة ، للرجل الشمر القوي
(٩) في س ، ب : « شيبان » وهو تحريف
(١٠) في الديوان : « رباء » بمعنى علا وارتفع .
(١١) سلهبة : جسيمة طويلة
(١٢) أقران : جمع قرن ، وهو الحبل ، يريد أنه وصول للإخوان قطوع لمن سواهم .

هباطُ أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ حمّالُ ألويةٍ سِرحانُ فِتيانِ

— السرحان : الأسد فى لغة هذيل وفى كلام غيرهم الذئب —

يحمى الصحابَ إذا جدّ الضِرابُ ويكـ ـفى القائلينَ إذا ما كُبِّلَ العانى [1]

فيترك القِرنَ مصفرًّا أناملُه كأنّ فى ريطتيه نضحَ إرقانِ

الإرقان : اليَرقان ، يعنى صُفرته — ٢٢

يعطيكَ مالا تكاد النفسُ ترسلُه من التلادِ وهوبٌ غيرُ منّانِ [2] ٢٢

(١) كذا فى الديوان ، وفى س ، ب : « كبل الهانى »

(٢) فى الديوان « ترمله » بدل « ترسله » .

نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

هو عَمرو بن العَجلان بن عامر بن بُرد بن مُنَبِّه، أحد بني كاهل بن لَحيان بن هُذيل. — اسمه ونسبه

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي: إنما(١) سُمي ذا الكلب، لأنه كان له كلبٌ لا يفارقه.

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلبٌ لا يفارقه، إنما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به، فقال له أصحابه: ياذا الكلب، فثبتت عليه.

قال: ومن الناس من يقول له عَمرو الكلب، ولا يقول فيه: «ذو».

قال: وكان يغزو بني فَهْم غزواً متصلاً، فنام ليلة في بعض غزواته، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادّعت فَهمٌ قتلَه، هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد ابن حبيب، عن ابن الأعرابي وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضّل وغيرهم من الرواة قالوا:

كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ — وكان من رجالهم — أنه كان قد علِقَ امرأة من فَهْم يقال لها: أم جُلَيحة، فأحبّها وأحبّته، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه، وطلبوا دمه، إلى أن جاءها عاماً من ذلك، فنذِرُوا به، فخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم فتبِعوه يومَهم ذلك، وهم على أثره، حتى أمسى، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلماء، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه، فقال: أخطأتُ والله الطريقَ وإن النارَ(٢) لعلى الطّريق، فجار وَشكّ، وقصد للنّار، حتى أتاها، وقد كان يُصبحُ، فإذا رجل قد أوقد ناراً ليس معه أحدٌ، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنتَ؟ قال: أنا رجل من عَدْوان، — عمرو ذو الكلب وأم جليحة

(١) في س، ب: «إنه».
(٢) في س، ب: «الناس».

قال، فما اسم هذا المكان؟ قال: السّدّ، فعلم أنه قد هلك، وأخطأ — والسدّ شيء لا يجاوَز — قال: ويلك! فلِمَ أوقدتَ، فوالله ما تشوى[1]، ولا تصطلَى، وما أوقدتَ إلا لمنية عمرو الشّقى، هل عندك شيء تُطعمنى؟ قال: نعم، فأخرج له تَمرات قد نقّاها فى يده، فلما رآها قال: تمرات، تتبعها عبرات من نساء خَفِرات، ثم قال: اسقنى، قال: ماذا؟ ألبنا؟ قال: لا، ولكن اسقنى ماء قَراحا، فإنى مقتول صباحا، ثم انطلق، فأسندَ فى السّد، ورأى القوم الذين جاءوا فى طلبه أثْره، حيث أخطأ، فاتبعوه، حتى وجدوه فدخل غارًا فى السّد، فلما ظهروا للسّدّ علموا أنه فى الغار فنادوْه، فقالوا: ياعمرو، قال: ماتشاءون؟ قالوا: اخرج، قال: فلِمَ دخلت إذن؟ قالوا: بلى، فاخرجْ، قال: لا أخرُج، قالوا: فأنشِدْنا قولك:

وَمَقْعَدِ كُرْبَةٍ قد كنتُ مِنها[2] مكان الإصبعين من القِبَال[3]

قال: ها هى ذه أنا فيها. قال: وعنّ له رجل من القوم، فرماه عمرو فقتله، فقالوا: أقتلته ياعدوَّ الله؟ فقال: أجَلْ، ولقد بقيتْ معى أربعةُ أسهم كأنها أنيابُ أمِّ جُلَيْحة لاتصلون إلىّ أو أقتلَ بكل سَهم مِنها رجُلا منكم، فقالوا لعبدهم: يا أبا نِجاد، ادخُلْ عليه، وأنت حُرّ، فتهيأ للدخول أبو نِجاد عليه، فقال له عمرو: ويلك! ياأبا نِجاد، ما ينفعك أن تكون حرًّا إذا قتلتك؟ فنكصَ[4] عنه، فلما رأوا ذلك صعدوا، فنقبوا عليه، ثم ٢٣ / ٢٠
رمَوْه حتى قتلوه، وأخذوا سَلَبه، فرجعوا به إلى أم جُلَيحةَ وهى تتَشوّفُ، فلما رأوْها قال لها: يا أمَّ جُلَيحة، مارأيكِ فى عَمرو، قالت: رأيى والله أنكم طلبتموه سريعًا، ووجدتموه مَنِيعا[5]، ووضعتموه صَريعًا؟ فقالوا: والله لقد قتلناه، فقالت: والله

(١) فى س، ب: «تشرب»
(٢) فى س، ب: «فيها»
(٣) القبال، ككتاب: الزمام فى النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها
(٤) فى س، ب «نكصوا».
(٥) فى س، ب: «تبيعا»

ما أراكم فعلتم ، ولئن كنتم فعلتم ، لربَّ ثدىٍ منكم قد افترشه ، ونهبٍ قد احترشه[1] ، فطرحوا إليها ثيابه ، فأخذتها ، فشمَّتها ، فقالت : ريحُ عِطرٍ وثوبُ عمرو ، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[2] جافية ، ولا عانة وافية ، ولا ضالة[3] كافية .

وقالتْ رَيطة أختُ عمرو ذى الكلب ترثيه :

كلُّ امرئٍ لمحال[4] الدهر مكروبُ ... وكلّ من غالبَ الأيامَ مغلوبُ

وكلُّ حيٍّ وإن غزوا وإن سَلِموا ... يومًا طريقُهُمُ فى الشرِّ دُعبوبُ[5]

أبلغْ هذيلا وأبلغ مَنْ يُبلِّغُها ... عنّى رَسولاً وبعضُ القولِ تكذيبُ

بأنّ ذا الكلبِ عَمْرًا خيرهم نسبًا ... ببطن شِريان يعوى حولَه الذيبُ[6]

الطاعنُ الطعنةَ النجلاء يتبعُها ... مُثعنجرٌ[7] من نجيع الجوفِ أُسكوبُ[8]

والتاركُ القِرنَ مصفرًّا أناملُه ... كأنه من نقيع الوَرْسِ[9] مخضوبُ

تمشى النسورُ إليه وهى لاهيةٌ ... مَشْىَ العذارى عليهنّ الجلابيبُ

والمخرجُ العاتقَ العذراء مُذعنةً ... فى السَّبى ينفحُ من أردانها الطيبُ

(١) احترشه : صاده ، وذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنها حية ، فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه .

(٢) الحجزة : موضع التكة من الإزار وهذا كناية عن عفته .

(٣) المراد بها السلاح كله على سبيل الاتساع .

(٤) محال : قوة ، ويروى بطوال الدهر بمعنى طويل ، ويروى بخوال الدهر أى بغيره وصروفه .

(٥) فى « مكذوب » مأخوذ من كذبته نفسه إذا منته الأمانى ، والدعبوب : الطريق الموطوء .

(٦) موضع أو واد باليمن يقال إن به قبر عمرو .

(٧) مثعنجر : سائل .

(٨) أسكوب : منسكب أو مسكوب .

(٩) فى س ، « ب من رجيع الجوف مخضوب » .

صوت

يا دارَ عمرةَ مِن مُحتَلِّها[١] الجَرَعا[٢] هاجتْ لِيَ الهمَّ والأحزانَ والوجَعا

أرى بنِى إذا مالت حمولَتُهم بطن السلَوْطَح[٣] لا ينظُرون من تبعا[٤]

طوراً أراهم وطوراً لا أبِينُهُمُ إذا ترَفَّع حِدْجٌ ساعةً لمعا

الشعر للقيط الأيادىّ يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبِنصر من روايتى حَبَش والهشامى .

(١) فى س ، ب من «محتلها» .
(٢) الجرع : الرملة لا تنبت شيئا ، وهى هنا موضع .
(٣) السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .
(٤) ف : « مرتبعا » .

خبر لقيط ونسبه والسبب فى قوله الشعر

هو لقيطُ بن يعمرَ. شاعر جاهليّ قديم مُقلّ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقطع من الشعر لطاف متفرقة. اسمه ونسبه

أخبرنى بخبر هذا الشعر عمى قال: حدثنى القاسم بن محمد الأنباريّ قال: حدثنى أحمد بن عبيد قال: حدثنى الكلبيّ عن الشَّرقى بن القُطامى قال:

كان سببُ غزوِ كسرى إياداً أن بلادهم أجدبتْ، فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد[1] ونواحيها، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثُروا، وكانوا يعبدون صنَماً يقال له: ذو الكَعبين[2]، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم، فانتشروا مابين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق[3] والخَوَرْنق، واستطالوا على الفُرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، ولم يزالوا يُغيرون على مايليهم[4] من أرض السواد، ويغزون ملوك آل نصر، حتى أصابوا امرأة من أشراف العجم كانت عَروسًا قد هُدِيت[5] إلى زَوجها، فولِيَ ذلك منْها سفهاؤهم وأحداثُهم، فسار إليهم مَنْ كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبرُون إبلهم فى القراقير[6] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول: غزو كسرى لإياد

٢٤ بئس مناخُ الحَلَقات[7] الدُّهْم فى ساحة القُرقور وسْط اليَمِّ
٢٠

وعَبروا الفراتَ، وتبعتهم الأعاجمُ، فقالت كاهنة من إياد تُشجِّعُهم:

(١) سنداد: منازل لأياد أسفل الكوفة.
(٢) فى هد، هج: «ذو الكعبات».
(٣) بارق: ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة.
(٤) فى س، ب: «أهاليهم».
(٥) هديت: زفت إلى بعلها.
(٦) القراقير: جمع قرقور كعصفور: السفينة الطويلة أو العظيمة.
(٧) الحلقات: جمع حلقة: الإبل الموسومة بالحلقات

إن يقتلوا منكم غلاما يلدا   أو يأخذوا ذاك(1) شيخا هِمّا
تُخضّبوا نحورهم دَمًّا   وتُرووا منهم سيوفا ظُمّا(2)

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن محجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم ، فقتلوه ، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ فى آخر النهار ، فهزمت الأعاجم .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن إياداً بيّتت ذلك الجمعَ حين عبروا شطّ الفرات الغربىّ ، فلم يفلت منهم إلا القليلُ ، وَجمعوا به جماجمهم وأجسادهم ، فكانت كالتل العظيم ، وكان إلى جانبهم دَيْر ، فسمّى ديرَ الجماجم ، وبلغ كسرى الخبر ، فبعث مالكَ بنَ حارثة : أحد بنى كعب بن زُهير بن جُشَم فى آثارهم ، ووجّه معه أربعة آلاف(3) من الأساورة . فكتب إليهم لقيط :

يادارَ عمرةَ من مُحتلّها الجَرَعا   هاجت لى الهمَّ والأحزانَ والوجعا(4)

وفيها يقول — قال الشرقى بن القطامى أنشدنيها أبو حمزة الثمالىّ — :

ياقوم لاتأمنوا إن كنتمُ غُيُرًا   على نسائكمُ كِسرى وما جمعا
هو الجلاء الذى تبقى مذلّتهُ   إن طار طائركم(5) يوما وإن وقعا

(1) فى هج س ، ب ؛ هد : « منكم » .
(2) فى س وب : « منها » وهذا القول من قبيل السجع لا من أوزان الشعر .
(3) فى هد : « أربعين ألفا »
(4) فى هد ، هج : « الجزعا » بدل « الوجعا »
(5) فى س ، ب : « طائرهم » .

هو الفناء الذى يجتث أصلكمُ   فمن رأى مثلَ ذا رأيا[1] ومَنْ سَمِعا

فقلدوا أمركم لله دَرُّكمُ   رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضطلِعا

لامترَفًا إن رخاء[2] العيش ساعده   ولا إذا حلّ مكروه به خَشَعا

لا يَطْعَمُ النومَ إلا ريثَ[3] يبعثُه   همٌّ يكادُ حَشاه يقصِمُ الضِّلَعا

مسهَّدُ[4] النوم تَعنيه ثُغورُكُم[5]   يرومُ منها إلى الأعداء مُطَّلَعا

ما انفكَّ يحلُبُ هذا الدهرَ أشطرَه   يكونُ متَّبِعا طوراً ومتَّبَعا

فليس يشغَلُه مالٌ يُثَمِّرُه   عنكمْ ولا ولدٌ يَبغى له الرِّفَعا

حتى استمرَّتْ[6] على شزْرٍ[7] مريرتُه[8]   مستحكِمَ السنِّ لاقحْمًا[9] ولا ضَرَعا[10]

كمالِكِ بن قِنان[11] أو كصاحبه   زيدِ القنا حين لاقى الحارِثَيْنِ[12] مَعَا

إذ عابه عائبٌ يوما فقال له :   دَمِّثْ لجنبك قبلَ الليل مُضطَجَعا

(١) فى س ، ب : «يوما» .

(٢) فى س ، ب : «رخى» .

(٣) فى س ، ب «[illegible]» .

(٤) فى س ، ب : «[illegible]» .

(٥) كذا فى منتهى الطلب وفى مج س ، ب ، هد : «أموركم» .

(٦) استمرت : استحكمت وقويت.

(٧) شزر : ما يفتل على غير وجهه ، أى يفتل من اليسار .

(٨) المريرة : طاقة الحبل والمراد أنه قوى متين

(٩) قحما : شيخا فانيا عجوزا .

(١٠) ضرعا : ضعيفا ذليلا مستكينا .

(١١) فى س ، ب : «سنان» .

(١٢) يقصد بهما الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المريين .

فساوِرُوه(١) فألفوه أخا عَلَلٍ في الحرب يَحْتَبِلُ الرِّئبالَ والسَّبُعا
عبلَ الذراع أبِيًّا ذا مُزابنَةٍ في الحرب لا عاجزا نِكْسا ولا وَرَعا(٢)
مُستنجدًا يتحدَّى الناسَ كلَّهمُ لو صارعوه جميعًا في الورى صَرَعا
هذا كتابى إليكمْ والنذيرُ لكمْ لمن رأى الرأى بالإبرام قد نَصَعا
وقد بذلتُ لكم نُصحى بلا دَخَلٍ فاستيقظوا إنّ خيرَ العلم ما نَفَعا

وجعل عنوان الكتاب :

سلام في الصحيفة من لَقِيطٍ إلى مَن بالجزيرة من إيادِ
بأن الليثَ كسرى قد أتاكمْ فلا يحبسكمُ سوقُ النِّقادِ(٣)

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبىّ بالأعاجم حتى لقىَ إيادًا ، وهم غارُّون لم يلتفتوا إلى قول لَقِيط وتحذيرِه إياهم ثِقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم . فلقيهم بالجزيرة في مَوضع يقال له مَرْج الأكم ، فاقتتلوا قِتالاً شديدًا ، فظفر بهم ، وهزمهم ، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات ، ولحقت إيادٌ بأطراف الشأم ولم تتوسَّطها خوفًا من غسّان يوم الحارثين ، ولاجتماع قُضاعة وغسّان في بلد خوفًا من أن يصيروا يدًا واحدةً عليهم ، فأقاموا ، حتى أمنوا . ثم إنهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة ، ففي ذلك يقول الشاعر : موقعة مرج الأكم

حلُّوا بأنقرةٍ يسيل عليهمُ ماءُ الفُرات يجىءُ من أطواد

(١) فى س ، ب «فثاوروه» ، ومعناه واثبوه .
(٢) الورع : الجبان الضعيف .
(٣) النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد بالتحريك وفى س ، ب : «النفاد» وهو تحريف .

صوت

أللبين يا ليلى جمالُكِ تُرحَلُ ... أيَقطَعُ منا البينُ ما كان يوصَلُ؟
تُعلّلنا بالوعد ثُمّت تلتوي ... بموعودها حتى يموتَ المؤمَّلُ
ألم ترَ أنّ الحبْلَ أصبحَ واهنًا ... وأخلفَ من ليلَى الذي كنتَ تأمُلُ
فلا الحبلُ من ليلى يُؤاتيك وصلُه ... ولا أنت تنْهى القلبَ عنها فيَذهلُ

عَروضه من الطويل، الشعرُ لنُصيب الأصغر مولى المهدي، والغناء ليحيى المكيّ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر، وكذا نسبتُه تدلُّ عليه.

وذكر عمرو بن بانة في نسخته أن خفيف الرَّمل لمالك وأنه بالوسطى، والصحيح أنه لابن المكي.

انتهى الجزء الثاني والعشرون ويليه الجزء الثالث
والعشرون وأوله أخبار نصيب الأصغر

فهارس

الجزء الثاني والعشرين من كتاب الأغاني

فهرس التراجم

فهرس الموضوعات

صفحة

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

فهرس أسماء الأماكن

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
(ا)				
يابن على	الخفاءُ	رجز	٢٦١	٥
لا تُطِل	بلاءَ	مجزوء الرمل	١٨٤	٧
(ب)				
أبي ليلى	بالكواكبْ	هزج	٥٢	٣
لما	المناصبْ	سريع	٣٤٧	١
سلام	مكتئبْ	متقارب	٤٦	١٣،
			٤٧	٣
هجرت	ترتبا	طويل	١١٠	٥
إلى	مشربا	»	١٩٨	٤
سلبت	مذهبا	»	٣٣٦	١٥
زعموا	عجيبًا	مديد	١٧٩	٨
بالكاهنين	جُنْدُبا	بسيط	١١٠	٣
ما نقموا	شزبا	»	٣٢٣	١٤
يا ربة البيت	والقربا	»	٣٢٠	٢ ،
			٣٢٣	١١،
			٣٢٤	١٠
لم ألق	المحبوبا	كامل	٥٠	٦٠
ولقد قلت	كثيبا	خفيف	٢٩٥	٩
خرجت	المضيبُ	طويل	١٣	٨
أحبتَ	غريب	»	٧٦	٢
إذا شئت	جنوب	»	٧٧	١٣
من مبلغ	قليب	»	٢٣٣	١١
تدارك	جلائبه	طويل	٥	١٠
سقى	وذهابها	»	١٣٦	٣
كل امرئٌ	مغلوب	بسيط	٣٥٣	٥
هون	ينشعب	»	١٤٤	١٢
ولقد	وطيبُ	كامل	٣٠٧	١
أني تذكر	صعب	»	١٠٦	٢
كيف	الطرب	»	١٨١	١٦
شدوا	قريب	»	٣٠٩	٣
يأيها	مذهبه	رجز	٨٥	١١
نعى	الخطوب	متقارب	٥١	٣
تحب	القربِ	طويل	٤٥	٤
لعمرك	عريب	»	١٦٢	٦
إلى الله	عريب	»	١٧٤	٢
ألا رب	قرب	»	١٨٢	٣
وإني	وأحبابي	»	١٨٤	١
فو الله	إلى غرب	»	٢٦٤	١١
جزى الله	كاذب	»	٢٧٦	٩
لازال	فيثرب	طويل	٢٨٠	١٠
أعاذل	قريبي	»	٢٨١	١
أذئب	إلى غرب	»	٢٩٥	١٠
لعمر	بالأهاضب	»	٣٤٨	٤
لقد بلوكم	تكذيب	»	٧١	٢

فهرس أنصاف الأبيات

مرتبة بحسب أوائل كلماتها

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن

فهرس مراجع التحقيق

الاصابة فى أسماء الصحابة لابن حجر (نشرة المكتبة التجارية سنة ١٩٣٩ م) ٢٢٧ : ١٨ .

أمالى القالى (طبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ)
٣٢١ : ١٥ ، ١٨ .

جمهرة أنساب العرب لابن حزم (دار المعارف ١٩٦٢ م)
٣٢٧ : ١٧ ؛ ١٨ ؛ ٣٤١ : ٢١

الحيوان للجاحظ (مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٥٧ هـ)
٢٦١ : ١٨ .

رغبة الكامل من كتاب الكامل للمرصفى (مطبعة النهضة ١٣٤٦ هـ)
٢٧١ : ٢٢ ، ٢٧٧ : ٢٠

شرح ديوان الهذليين للسكرى (مطبعة مدنى)
٣٤٦ : ٢١ .

الشعر والشعراء لابن قتيبة (مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٤ هـ)
٢٢٧ : ١٨ ، ٢٨٨ : ٢٤

شرح شواهد المغنى للسيوطى (المطبعة البهية ١٣٢٢ هـ)

العقد لابن عبد ربه (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
٢٢٠ : ١٩ .

الكامل للمبرد (مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م)
٢١ : ٢١ ، ٢٧٠ : ١٨ ، ٢٧٧ : ٢٠

كتاب التنبيه لأبى عبيد البكرى (مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ)
٢٢٥ : ٧ ، ٨ .

لسان العرب لابن منظور (المطبعة الأميرية سنة ١٣١٠ هـ)
١٨٨ : ٢٤ ؛ ٢١٧ : ١٧ ، ٣٢٣ : ١٧

مختار الأغانى لابن منظور (الدار المصرية للتأليف والترجمة)
٢٠ : ١٥ ، ٤٦ : ١٧ ؛ ٤٨ : ١٦ ؛ ١٨ ؛ ٨٤ : ٢٣ ، ٨٦ : ١٨ ؛ ٩٩ : ٢٣ ؛
١٠٠ : ١٦ ؛ ١٠١ : ١٨ ، ١٠٣ : ١٧ ، ١٠٤ : ١٤ ؛ ١٧ ؛ ١٠٥ : ١٤ ،
١١٨ : ٢٠ ، ٢٢ ؛ ١٢٠ : ١٧ و ١٩ ، ١٢٣ : ١٧ ؛ ١٨ ، ٢٠ ؛ ١٢٩ : ١٩ .

معجم البلدان لياقوت (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)
٢٨٩ : ١٩ .

منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك (مخطوطة دار الكتب) ٥٣ أدب ش
٢٧٢ : ٥ ، ٢٨١ : ١٨ ، ٣٥٧ : ١٥

مهذب الأغانى للخضرى (مطبعة السعادة ١٩٢٥ م)
٢٩٤ : ١٨ .

التصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٧	١٢	الزبيرى	الزبير
٩٢	٢	قا داهما	قبراهما
١٠٥	٨	الهود	اليهود
١٠٧	١٤	يدل	ينزل
١٥١	٦	آبو عمر	أبو عمرو
١٥٤	٥	خبر بن مجزز	خبر ابن مجزز
١٧٦	٨	تحية الى	تحية الى
١٩٩	٦	الغناء لغريب	الغناء لعريب
٢٤٢	١٤	الهودية	التهودية
٢٦٠	١٠	دخلى	دخل
٢٨٦	١٨	داود بن الحكم	مروان بن الحكم
٢٩٤	٨	ايل	ابل
٣٠٠	٣	اشطاط	اشتطاط
٣١٠	١٦	بتى	بنى
٣٢٢	١٢	يكبد	يكيد
٣٤٣	١	شعر العديل بن	شعر العديل بين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١١٢٠٠/١٩٩٢

I.S.B.N 977-01-3612-3



